

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

التَّضَادُّ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِرْهَابِ

مَجْلَدُ الْمَلَايِكَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الثامن والثلاثون بعد المائتين

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أساتذة الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، والذي خلق السموات والأرض من غير تفكير أو تدبر ، بل بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١).

لتكون هذه الآية باعثاً للمسلمين والناس جميعاً لسؤال عاجل فضل الله ، ونعمه السابغة بأمر منه سبحانه ، وهل في هذه الآية دعوة للناس للدعاء للإنتفاع الأمثل من مضامينها وفيوضات الكاف والنون ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٢).

ولرحمة الله بالخلائق ، وإستدامة النعم تفضل سبحانه يجعل الإرادة والمشیئة في السموات والأرض له وحده لا يشاركه فيها أحد من غير أن يلحقه نصب أو شغل عن شغل ، قال تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسْتَأْذِنُ لِقَابِ ﴾^(٣).

(١) سورة يس ٨٢.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) سورة ق ٣٨.

ليبان أن الله عز وجل هو ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المتصرف في شؤون الخلائق كلها ، وقد فاز المسلمون بتلاوة كل واحد منهم ذكراً أو أنثى قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) سبع عشرة مرة في الصلاة كل يوم لا يستثنى منها يوم ، لأن الصلاة تؤدي على كل حال ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^{(٢)(٣)}.

وهو من مصاديق كون الصلاة واجباً مطلقاً يؤدي على كل حال ، لبيان قانون الملازمة بين الإسلام والهج بالحمد لله .

فقد أراد الله عز وجل استدامة ذكره ، والثناء عليه في الأرض كي تدوم النعم على الناس فبعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل عليه القرآن .

وكانت أول فريضة في الإسلام هي الصلاة التي جاء الأمر بها وبأجزائها بالوحي ، ومنها قراءة سورة الفاتحة فيها .

فهذه السورة من أوائل السور التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بدايات البعثة النبوية في

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) انظر الجزء السابق وهو السادس والثلاثون بعد المائتين من تفسيري هذا للقرآن والذي اختص بتفسير الآية أعلاه .

مكة ، وتبدأ سورة الفاتحة بالبسملة ، وكان العرب يقولون (بسمك اللهم) ولم يعهدوا قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

و(عن ابن عباس قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالت قريش : دق الله فاك) ^(١).

و(عن أبي صالح عن ابن عباس قال : قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فقال ﴿يَا سَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ) ^(٢)، فقالت قريش : دق الله فاك) ^(٣).

وقد تقدم كل من :

الأول : قانون البسملة سلام ^(٤).

الثاني : قانون البسملة برزخ يومي دون الإرهاب ^(٥).

الثالث : قانون فيض البسملة ^(٦).

وسياتي (قانون جهاد النبي بالبسملة)

مع كثرة الموارد التي يستحب فيها قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ﴾ منها عند الإبتداء بالكلام أو الأكل ، وعند الوضوء ، وعند

(١) تفسير الرازي ١/١٦٠.

(٢) سورة النمل ٣٠-٣١.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢/١.

(٤) انظر الجزء الواحد والثلاثين بعد المائتين ص ٣٤ .

(٥) انظر الجزء الرابع والثلاثين بعد المائتين ص ٥٢.

(٦) انظر الجزء الرابع والثلاثين بعد المائتين ص ٥٧.

الشروع بعمل ، ونحوه للنص والبركة واستحباب الذكر والإكثار منه ، ولطرد الغفلة.

و(عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال : في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: يا علي إذا أكلت فقل: بسم الله، وإذا فرغت فقل: الحمد لله، فان حافظيك لا يبرحان يكتبان لك الحسنات حتى تبعده عنك)^(١).

ترى ما هي النسبة بين ذكر الله وبين الظلم والإرهاب ، الجواب هو التباين والتضاد.

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا دار الحمد والشكر له سبحانه ، وهدى الله الناس طوعاً وإنطباعاً وقهراً إلى حمده والثناء عليه ، ليفوزوا بالأجر والثواب والنفع الحاضر والآجل ، فلا يعلم منافع وبركة قول الحمد لله إلا هو سبحانه الذي جعل خزائنه لا تفد عدداً وكماً وكيفاً ، وما من أحد من الناس إلا وينال من هذه الخزائن في كل يوم من أيام حياته .

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وبديع صنعه ، الذي جعل السموات والأرض وما بينهما من ملكه وعلمه بها ونفاذ مشيئته وسلطانه فيها ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

الحمد لله الذي أضاء القلوب بذكره ، وأصلح النفوس

(١) البحار ٣٧١/٦٣.

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

بالحمد والثناء عليه ، سبحانه لا يُدرك كنهه ، وعلمه حاضر معنا في كل آن ، وفي التنزيل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١).

وكان الله عز وجل ، وليس من مكان ، وهو سبحانه بائن عن خلقه ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢).

الحمد لله عدد ذرات الكون ، ونسمات الهواء ، وجبات الرمل ، الحمد لله الذي جعلنا في حاجة متصلة للحمد والثناء عليه ، ولتتوالى النعم مع تعاهد الحمد .

وقد تفضل الله عز وجل ورزق كل مسلم ومسلمة قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) سبع عشرة مرة في الصلاة اليومية ، وبحال الخشوع والخضوع في الصلاة ، والتسليم له سبحانه بالربوبية المطلقة على الخلائق .

الحمد لله بعدد الملائكة وتسييحهم ، وذكرهم لله عز وجل ، ونفادر الدنيا بالموت والملائكة مشغولون بالذكر والتسييح ، ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٤) فنسأل الله عز وجل أن يكتب لنا أجر وثواب حمدهم وتسييحهم قبل أن نهلك ، وأثناء وجودنا في الدنيا وبعد الممات .

وصحيح أن الآخرة دار حساب من غير عمل إلا أن الثواب

(١) سورة الحديد ٤.

(٢) سورة الأعراف ٥٤.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

(٤) سورة الأنبياء ٢٠.

ومضاعفته لا ينقطع عن الناس ، فيموت المؤمن ولكن الأجر يأتيه من وجوه :

الأول : الفعل المترتب عليه النفع بعد الممات ، كالصدقة الجارية ، والكتاب النافع ، وبناء المسجد ، والأمر بالصلاح والتقوى ، وبيان أضرار الإرهاب والنهي عنه ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) ^(١).

الثاني : فضل الله عز وجل على العبد بعد موته وهو من جهات منها :

الأولى : الأجر والثواب على النوايا الحسنة ، كما لو كان العبد عازماً على عمل صالح مستديم ، وحالت أسباب قاهرة دونه ، وهو من مصاديق ما ورد (عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة) ^(٢).

الثانية : مضاعفة الثواب الذي ناله العبد في الدنيا .

الثالثة : الأجر والثواب ابتداء من عند الله عز وجل .

(١) سورة الإسراء ٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٧٣١.

الثالث : استغفار المؤمنين للميت ، ودعاؤهم له .

الرابع : أداء أوليائه ما فاته من الفرائض العبادية ، والكفارات والندور ونحوها .

الحمد لله على كل نعمة أنعم الله عز وجل بها علينا ، وليس من حصر لنعمه المتوالية على الفرد أو الجماعة .

لقد استعلى القرآن على كلام الناس فهو أسمى مرتبة وأعلى درجة ، وتعجز العقول عن درك مقاصده السامية .

وهو من الشواهد على أن الإنسان من عالم الممكن الذي تلازمه الحاجة والنقص والضعف والعجز والتفاوت بين الآماني والقدرة الذاتية للفرد والجماعة.

وقال المتنبي في قصيدة يمدح بها كافوراً الأخشيدي حاكم مصر يومئذ :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفْنُ^(١) .
ولغة القرآن اسمى من افكار وأوهام الشعراء فلا يدرك المرء والجماعة ما يتمناه حتى وإن جرت الرياح بما تشتهي السفن وربانها وإن شقت الماء بجؤجؤها ، ومن غير أن تجنح وتبلغ ماءً قليلاً وتلتصق في الأرض ، **وكذا العكس ، إذ أن فضل الله أكبر من التمني وليس دونه مانع .**

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا دار النبوة والتنزيل ، فقد صاحبت النبوة والوحي الإنسان حال عمارته الأرض ، وكان آدم

(١) السفن : جمع سفينة ، ومنهم من يقرأها بفتح السين السفن ولكنه خلاف و(السفن : السفن : جلد الأطوم ، وهي سمكة في البحر يجعل على قوائم السيوف ، وقد يسفن به الخشب أي : يحك حتى يلين ، فإذا كان مثله من غير سفن فهو مسفن والسفن : الحديد التي ينحت بها ، قال الأعشى .

وفي كل عام له غزوة ... تحت الدوابر حت السفن العين ٦٦/٢ .

أبو البشر نبياً ، وهل كان رسولاً أيضاً ، الجواب نعم ، وهو من فضل الله عز وجل وحجته على الناس .

و عن أبي ذر (يا رسول الله كم الأنبياء ، قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

قال : قلت : يا رسول الله كم المرسلون منهم ، قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم أنبياء قلت : أكان آدم نبياً ، قال : نعم كلمه الله سبحانه وخلقه بيده ، يا أبا ذر أربعة من الأنبياء عرب : هود وصالح وشعيب ونبيك.

قلت : يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب ، قال : مائة وأربع كتب.

منها على آدم عشر صحف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ ، وهو إدريس ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان^(١).

ليان مصاحبة النبوة والتنزيل للإنسان في أول هبوطه إلى الأرض ، وهو من فضل الله على الناس جميعاً ، وفيه دعوة للسلم المجتمعي والتراحم للجامع المشترك بينهم بالأبوة والأمومة المتحدة بآدم وحواء.

وأن معنى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، أعم من أن ينحصر بخلافة الناس بعضهم لبعض ، وجيلاً بعد جيل ، وأمة لأخرى وإن تباينت في المبدأ والعقيدة ، إنما جعل الله عز وجل

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٨٠/١٤ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

الإنسان خليفة الأرض يتصرف ويمتلك ويتنعم فيها ، وفي قوم يونس قال الله ﴿فَأَمْنُوا بِرَبِّكُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١).

وهل يصدق تقدير الآية أعلاه من سورة البقرة خطاباً لآدم عليه السلام (اني جاعلك خليفة في الأرض) الجواب نعم.

وهل يصدق ذات التقدير على حواء ، الجواب إذا كان المراد من الخليفة النبي فلا يصدق ، أما إذا كان المعنى جنس البشر فيصدق على حواء وعموم النساء أنهن من الخلفاء في الأرض فلا بد من التحلي بالتقوى.

ولا مانع من شمول الخليفة في المقام للمعنيين أعلاه ، فاذا ورد لفظ الخلفاء في الأرض دخلت فيه النساء ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُلْوَكُم فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢)، أما بخصوص خلافة الأنبياء ، فليس بينهم امرأة.

وقد لا تدل النكرة في مقام الإثبات على إفادة العموم إذا كانت مجردة من القرائن ، كما في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَىٰ لَتَمُرُونَّ بِكَ لِتَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الصافات ١٤٨.

(٢) سورة الأنعام ١٦٥.

(٣) سورة القصص ٢٠.

فمعنى الآية جاء رجل مخصوص وليس كل الرجال ، وهو مؤمن آل فرعون ، وابن عم فرعون ، واسمه حزقيل . ونسبه الثعلبي إلى أكثر أهل التأويل وهو المختار لورود الحديث النبوي أدناه بخصوصه .

وقال الجبائي اسمه شمعون ، وقيل شمعان^(١) . وهو الذي قام بانذار موسى وطلب منه مغادرة مصر لأن آل فرعون يتشاورون في القبض عليه وقتله . فتوجه إلى مدين ولم يكن يعلم الطريق ، ولكنه يهتدي بالوحي .

ليبان الشدة والخرج وضيق المخرج عندما تبعث السلطة على الشخص لإرادة حبسه ، وموسى عليه السلام نبي رسول هداه الله للنجاة من آل فرعون بمعجزة إذ لا يعلم أين يتوجه وإلى من يلتجأ .

والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزل عليه جبرئيل في ذات الليلة التي عزم كفار قريش على قتله فيها وأمره بالهجرة إلى المدينة ليبان تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتوجه إلى أنصار وبلدة تنشئ فيها المساجد حال وصوله ويتغير اسمها من يثرب إلى طيبة والمدينة ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢) .

(١) الكشف والبيان ٣٩/١٠ .

(٢) سورة الأنفال ٧٤ .

ونزلت سورة الأنفال بعد معركة بدر في السنة الثانية للهجرة ،
 وورد موضوع الآية أعلاه في آية أخرى قبل هذه الآية بآيتين فقط ،
 فهل تكون هذه السورة فيصلاً بين المهاجرين وغيرهم ، وإن القول
 بأن معنى الصحابي هو كل من رأى النبي محمداً صلى الله عليه وآله
 وسلم وهو مسلم أعم من موضوع هذه الآية كما أن النسبة بين
 الصحابي والمهاجر عموم وخصوص مطلق .

فكل مهاجر هو صحابي وليس العكس ، وستبقى هجرة النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وإعراضه عن المشركين بأمر من الله عز
 وجل حجة في لزوم إجتناّب الإرهاب وإيذاء أهل البلد والناس .

ومن إعجاز القرآن ورود قوله تعالى ﴿وَجَاءَ مِنْ
 أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(١) ، مرتين في القرآن مع تعدد
 واختلاف الموضوع ، إذ ورد مرة أخرى في سورة يس الآية
 (٢٠) وعن ابن عباس اسمه حبيب النجار^(٢) .

إذ سمع بالرسول الذين بعثهم عيسى عليه السلام إلى أهل
 انطاكية ورأى كرامة ومعجزة لهم ، فخرج من غار كان يعبد الله فيه
 ، وسألهم : تسألون أجراً ، فقالوا : لا ، فقال لقومه ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا
 يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة يس ٢٠ .

(٢) الدر المنثور ٨/٢٩٥ .

(٣) سورة يس ٢١ .

و) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
:الصديقون ثلاثة : حزقيل مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار
صاحب آل ياسين ، وعلي بن أبي طالب .

وأخرج أبو داود وأبو نعيم وابن عساكر والديلمي عن أبي ليلى
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصديقون ثلاثة :
حبيب النجار مؤمن آل ياسين ، الذي قال ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
الرَّسُلِينَ﴾^(١) ، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال ﴿أَقْتُلُونِ
رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٢) ، وعلي بن أبي طالب وهو
وهل انقطعت النبوة ، الجواب نعم عندما غادر النبي محمد صلى
الله عليه وآله وسلم الحياة الدنيا ، ولكن أحكام النبوة والتزويل باقية
إلى يوم القيامة ، وهو من فضل الله عز وجل على الناس من
جهات :

الأولى : نزول القرآن كاملاً على النبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم قبل أن يفارق الدنيا خاصة وأن القرآن كان
ينزل نجوماً وعلى نحو التوالي والتعاقب ، وقال تعالى ﴿الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾^(٣) .

(١) سورة يس ٢٠ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) الدر المنثور ٢٩٨/٨ .

(٤) سورة المائدة ٣ .

الثانية : سلامة القرآن وإلى يوم القيامة من التحريف أو الزيادة أو النقص ، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

الثالثة : بيان القرآن والسنة النبوية لأحكام الشريعة على نحو التكامل .

الرابعة : بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات وأحكام القرآن ، وإجابته على الأسئلة التي تتعلق بالقرآن ، والسؤال من كل من :

الأول : أهل البيت وأزواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال (سأل علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) ، قال: يا علي إن الوفد لا يكونون إلا ركبانا، أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم فسماهم الله المتقين.

ثم قال: يا علي أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم ويياض وجوههم كياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كياض اللبن، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألؤ)^(٣).

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) سورة مريم ٨٥.

(٣) البحار ١٧٢/٧.

و(عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إنها قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا﴾^(١) .

فقال : يا أم سلمة، هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً عمشاً رمصاً جعلهن الله عز وجل بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء)^(٢) .

الثاني : توجه المهاجرين والأنصار بالسؤال إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمسألة ، وإرادة البيان ذي صبغة الإعجاز من وجوه :
أولاً : إعجاز القرآن .

ثانياً : معجزة تفسير النبي بالوحي لآيات القرآن ، لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣) .

ثالثاً : إنتفاء التعارض بين القرآن والسنة .

رابعاً : معرفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخزائن القرآن الكريم ، فمن آياته ما يفهم ظاهرها العرب ولا يلجأون إلى السؤال بخصوصها ، نعم إنهم يدركون تعدد معانيها الظاهرة والخفية ، وأن في كل آية من القرآن ذخائر علمية متجددة ، وتستقرأ مع تقادم الأيام من غير أن تنفذ .

الثالث : سؤال المهاجرين والأنصار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن آيات القرآن وأحكام الشريعة .

(١) سورة الواقعة ٣٤-٣٧ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٠٤/١٣ .

(٣) سورة النجم ٣-٤ .

وليس من حصر لأوان ومكان هذه الاسئلة فتأتي في المسجد والنبى على المنبر ، وقبل وبعد الصلاة ، وفي المجالس ، وفي السفر ، والكتائب ، وفي الليل والنهار ، وقد نزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) ، لبيان كيفية وأوان سؤال النبى صلى الله عليه وآله وسلم وترك غير المناسب وقد يأتي السؤال من المتعدد والجماعة.

و(عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في الموسم ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢) ، في مواسم الحج)^(٣).

وعن ابن عباس قال (إن الله لما أنزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...﴾^(٤) ، كرهه المسلمون أن يضموا اليتامى وتخرجوا أن يخالطوهم في شيء ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ﴿قُلْ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَكَوْشَاءُ

(١) سورة الحجرات ٤.

(٢) سورة البقرة ١٩٨.

(٣) الدر المنثور ١/٤٤٥ .

(٤) سورة النساء ١٠.

اللَّهُ لَأَغْنِيَنَّكُمْ^(١)، يقول : لأخرجكم وضيق عليكم ، ولكنه وسع ويسر^(٢).

الرابع : مجئ السؤال من يهود المدينة ، إذ كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم سؤال اختبار تارة ، وأخرى طلباً للبيان ، أو لاستقراء المستقبل ، أو للإطلاع على أسرار التنزيل ، ولا ينحصر سؤا لهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما بعد الهجرة إلى المدينة حيث جوارهم له ، إنما سألوه أيضاً وهو في مكة قبل الهجرة .

(قال المفسرون : سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله بمكة ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾^(٣)، فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أhabار اليهود، فقالوا : يا محمد بلغنا عنك أنك تقول : وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، أفغنيتم أم قومك . فقال عليه السلام : كلاً قد غنيت. قالوا: ألسن تتلو فيما جاءك : إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم. قالوا : يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٤)، فكيف يجتمع هذا قليل وخير كثير^(٥).

(١) سورة البقرة ٢٢٠.

(٢) الدر المنثور ١٥/٢ .

(٣) سورة الاسراء ٨٥ .

(٤) سورة البقرة ٢٦٩ .

(٥) الثعلبي / الكشف والبيان ٥٣/١١ .

فأنزل الله ﴿وَكُونَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرَ مَا نَقَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، وليس من حصر للأسئلة التي توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضوعها فتشمل أمور الدين والدنيا وإعجاز القرآن ودلالاته ، وما فيه من الجميل والمبين ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والمكي والمدني ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد وأسباب النزول ، والتأويل وتفاصيل قصص الأنبياء ومواعظ القرآن.

وتفسير القرآن بعضه لبعض ، ومصاديق الرحمة والرفقة والعفو والصفح وقبح الظلم وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يبين هذه العلوم ابتداء من غير أن يسأله أحد.

(وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الإيمان بضع وسبعون باباً ،

أدناها إمطة الأذى عن الطريق ، وأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله)^(٢).

ويستقرأ من الحديث لزوم تنزه المسلم عن الإرهاب من باب الأولوية القطعية لأن وظيفته الصلاح والإحسان لعموم الناس ، فالطريق سور الموجبة الكلية ومن الكلي الطبيعي الذي يشترك بالإنتماع منه الناس جميعاً على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم .

ومن خصائص الآية القرآنية بعثها النفرة في النفوس من الظلم والإرهاب والتعدي ، سواء في منطوقها أو مفهومها ،

(١) سورة لقمان ٢٧.

(٢) الثعلبي/الكشف والبيان ٧٠/١.

كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١) .

إذ تدعو الآية الأولى أعلاه إلى فعل الخيرات وترغب بالقليل والصغير منها لبيان البشارة والثواب العظيم في الكثير والكبير منها .

وتدل في مفهومها على لزوم الإمتناع عن الإرهاب لخلوه من النفع مطلقاً .

أما الآية الثانية فتزجر عن السيئات والظلم والإرهاب وتتضمن في ذات الوقت الإنذار والوعيد عليه ، وهي في مفهومها دعوة للأمر بالمعروف ، وتأديب الناشئة على بغض الإرهاب وبيان منافاته للإيمان ولسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تتجلى فيها معاني الرحمة والرأفة والحكمة ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

الحمد لله الذي جعل القرآن كتاب السلم والأمن والسلام ، وتبعث تلاوة آياته السكينة في النفوس ، وتنمي ملكة الأخوة الإنسانية والإيمانية ، وفيها درء للفساد ، ومنع من الظلم وسفك الدماء ، وتدعو الآية القرآنية إلى الإحسان إلى الآخرين ونشر شآبيب الرحمة ، قال تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ .

(١) سورة الزلزلة ٧-٨ .

(٢) سورة ن ٤ .

الحمد لله الذي أنعم علينا بتوالي أجزاء هذا السفر والتفسير الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً تأويلاً واستنباطاً من ذخائر القرآن ، ومع بلوغ أجزاء هذا التفسير (237) جزءً بفيض من الله سبحانه ، فلا زلت في سورة آل عمران ، كما صدرت أجزاء متعددة بقوانين مستحدثة مستقرة من آيات القرآن ، منها قانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) الذي صدرت بخصوصه الأجزاء (١٧٩-١٨٠-١٨٣-١٩١-١٩٤-١٩٥-١٩٨-٢٠٦-٢٠٧-٢١٦-٢٣٤-٢٣٥-٢٣٧)

ليبان أن كل آية من القرآن تدعو في منطوقها أو مفهومها أو بالجمع بينها وبين آية قرآنية أخرى إلى التراحم العام ، وتدل على حرمة الإرهاب والتفجيرات العشوائية مطلقاً. والمساهمة في تنضيد وطبع أجزاء هذا السفر المبارك من الخمس والحقوق الشرعية مبرئة للذمة ، وفيها النماء والبركة. وأكتب وأراجع وأصحح كتبي في التفسير والفقه والأصول بمفردي والحمد لله ، وهي معروضة على موقعنا (www.marjaiaa.com).

و(عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين)^(١). وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنما أنا رحمة مهداة.

ليبان إتصال واستدامة مصاديق الرحمة في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة ، فتطل مصاديق الرحمة الواردة في القرآن والسنة على كل جيل

وطبقة من الناس ، ومنها دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسلم ونشره الأمن ، ومنعه السلب والسي ، ونهيه عن إرتكاب السيئات والمعاصي والظلم والإرهاب .
والنسبة بين الظلم والإرهاب هو العموم والخصوص المطلق ، فالإرهاب فرع الظلم ، وقال تعالى ﴿وَالَى اللّٰهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١).

فالله سبحانه القادر على كل شئ ، وهو المتصرف بأمور الخلائق والحاكم المطلق في الدنيا والآخرة ، فلا بد أن يتحلى المسلم بالصبر ويظهر الرحمة والرأفة بالناس جميعاً لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ومن الإعجاز في السنة النبوية جهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس ، والإرشاد إلى العمل الصالح ، وإجتنب الفعل القبيح .
وعن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تبكي السماء من عبد أصبح الله جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا ، فكان للناس ظلوماً ، فذلك العتل الزنيم)^(٣).

(١) سورة البقرة ٢١٠.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) الدر المنثور ٧٧/٥.

في اشارة إلى قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مِّمِْن﴾ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿^(١) .

وقد وردت كلمات في هذه الآيات القصيرة لم ترد في غيرها وهي ﴿حَلَاْفٍ﴾ * هَمَّازٍ * مَشَاءٍ * بَنِيمٍ * عُلٌّ * زَنِيمٍ * لإنذار المسلمين من ذوي الأخلاق المذمومة ، ولزوم إجتنب طاعتهم أو الإنصات إليهم ، إنما أمر الله عز وجل بالإنصات إلى القرآن ، والإستماع لصوت الإرهاب ضد للقرآن ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ^(٢) .

كما ورد لفظ ﴿مَنَاعٍ﴾ و﴿مُعْتَدٍ﴾ مرة أخرى في قوله تعالى ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ ^(٣) لبيان أن الإرهاب حاجب للخير عن الذات والغير ، وهو بذاته اعتداء على الناس ، قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٤) .

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار امتحان واختبار ومن واجبات الأمة مجتمعة كذا الأفراد والرؤساء منها تعاهد منزلتها وأمنها ، والنعم التي أسبغها الله عز وجل عليها ، بالتقوى والصبر والتقية ، والإمتناع عن الظلم والتعدي خاصة مع التداخل بين الأمم

(١) سورة ن ١٠-١٣ .

(٢) سورة الأعراف ٢٠٤ .

(٣) سورة ق ٢٥ .

(٤) سورة النحل ١١٨ .

والتقارب بين البلدان بوسائط النقل فائقة السرعة ووسائل الإعلام التي جعلت البعيد قريباً عند الناس جميعاً ، وشدة فتك الأسلحة الهجومية وتطورها بسرعة مستمرة.

ولابد من اللجوء إلى حكم العقل العام ، وحفظ أنظمة الحياة ، ومنع أسباب الأزمات في الغذاء أو الطاقة أو السياسة ، ولابد من السعي لاستقرار العملات والأسواق العالمية ففيه نفع للجميع ، والتنزه عن الإرهاب والتفجيرات وما يثير الخوف بين عامة الناس مما هو ضرر محض على الذات والغير وضد الخشية من الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

لقد نزل القرآن وجاءت السنة النبوية بلزوم حبس النفس عن الغضب وأنه طريق لفتنة الشيطان، وقال يوسف عليه السلام ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بُنْيَ وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾^(٢).

وقد حذر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الإرهاب ومقدماته ، قال صلى الله عليه وآله وسلم (لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح لا ينزع الشيطان في يده فيلقيه في حفرة من حفر النار)^(٣).

و(في الحديث: إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها)^(٤).

(١) سورة البقرة ٢٠٨.

(٢) سورة يوسف ١٠٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢٤/٦.

(٤) تفسير ابن كثير ٥٩٦/٤.

ومن وظائف السلم السعي في مسالك الأخلاق الحميدة ،
وحسن المعاملة مع الناس جميعاً ، وتعاهد معالي الأخلاق ،
ولاجتناب الإرهاب الذي يبعد الإنسان عنها .

(عن أبي أيوب قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقال : دلني على عمل أعمله يدني من الجنة ويباعدني من
النار . قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي
الزكاة ، وتصل ذا رحمك . فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم : إن تمسك بما أمر به دخل الجنة) ^(١).

وكل أمر من هذه الأمور دعوة نبوية للعصمة من الإرهاب
والتنزه عنه ، وإخبار بأنه يبعد الإنسان عن طريق الهداية إلى الجنة ،
لذا يتلو كل مسلم ومسلمة سبع عشر مرة في الصلاة اليومية
﴿أَمِدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٢) والإرهاب طريق غواية ، وبعيد عن
الإستقامة عقلاً وشرعاً وعرفاً .

حرف في السادس من شهر ذي الحجة ١٤٤٣

٢٠٢٢/٧/٨

(١) الدر المنثور ٩٢/٢ .

(٢) سورة الفاتحة ٦ .

أسماء القرآن دعوة للتراحم

لقد وردت أسماء للقرآن متعددة في ثنايا آياته تدل على قدسيته وحاجة الناس إليه ومع أن المدار على المسمى إلا أن أسماء القرآن لها موضوعية لأن الله عز وجل هو الذي اختارها له ، فلا بد لها موضوعية من جهة المعنى أو الدلالة أو المفهوم ، وما فيه الهداية والإصلاح وتأكيد نزول القرآن من عند الله عز وجل ، ومن هذه الأسماء :

الأول : الكتاب ، فالقرآن هو الكتاب السماوي الجامع للأحكام الشرعية ، والذي فيه السلامة والنجاة ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾^(١).

وفي تسمية القرآن بالكتاب دعوة للمسلمين لتعاهده وحفظه برسمه وكلماته وآياته ، لبيان أنه خزينة سماوية وعهد من عند الله عز وجل يجب تعاهده ، وبيان لزوم العمل بأحكامه .

الثاني : تسمية القرآن بشطر من الكتاب لمقام حرف جر التبعية (من) في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾^(٢) لبيان أن النسبة بين الكتاب والقرآن هي العموم والخصوص المطلق ، وأن الكتاب أعم ، وليس من حصر للأحكام والكتب السماوية .

(١) سورة الزمر ٢.

(٢) سورة فاطر ٣١.

إن تسمية القرآن بالكتاب عهد وميثاق بين الله عز وجل وبين المسلمين بلزوم عملهم بمضامينه وما فيه من الأوامر والنواهي ، وهل يتضمن اسم القرآن معاني النهي عن الإرهاب ، الجواب نعم .
لأنه دعوة لقراءة آياته والعمل بأحكامها ، ولأجر والثواب العظيم في قراءته والتدبر بمضامينه ، وذات قراءة الكتاب المنزل رحمة ، وإشاعة للتراحم والصفح بين الناس .

ومن معاني تسمية القرآن بعث المسلمين والناس على قراءته والترغيب فيها ، وتأکید استقرار الإعجاز في تنزيله عند قراءته ، وترشح المنافع عن هذه القراءة ، وفيها تأديب وإصلاح للناس ونبذ للإرهاب .

الثالث : الذكر : يأتي الذكر في القرآن بمعاني متعددة منها أنه أنباء الأمم السابقة ، وموضوع التذكر والتذكير وأسباب الإنذار ، منه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾^(١) .

ومن أسماء القرآن الذكر ، ووردت فيه آيات عديدة منها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾^(٢) ومنها ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٣) ومنها ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة القمر ١٧ .

(٢) سورة الطلاق ١٠ .

(٣) سورة الأنبياء ٥٠ .

(٤) سورة النحل ٤٤ .

ويذكر القرآن الناس بأصول وفروع الدين ، ومن الأصول وجوب عبادة الله عز وجل والتصديق برسوله ، والإقرار باليوم الآخر ، وكل منها دعوة لنبذ العنف والإرهاب ، فذات العبادة وأداء الفرائض العبادية تقوى وتدعو إلى الخشية من الله عز وجل .

ويقود التصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلم إلى الصبر والتواضع ، والرأفة بالناس .

أما الإقرار بيوم القيامة فهو زاجر عن الإرهاب لما فيه من إدراك لقانون إنتقاء الناس جميعاً في المحشر ، وإقتصاص المظلوم من الظالم .

ومجئ المقتول وأوداجه تقطر دماً يسأل الله عز وجل أخذ حقه من الذي قتله ، وهل يشكو الأيتام لله عز وجل ، قتل أبيهم أو أمهم .

الجواب نعم ، وكذا بالنسبة للآباء والأمهات الذين ذهب أبناؤهم ضحية الإرهاب والتفجيرات .

ليبان تبعات الإرهاب وأضراره وأنها متصلة في الدنيا والآخرة .
فجاء القرآن ذكراً وتذكيراً وإصلاحاً للناس ، ولمنع الإنسان من إلحاق الأذى بنفسه وغيره من الناس ، لقد أثنى الله عز وجل على نفسه بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) من جهات :

الأولى : صيغة الجمع في الوصف ، لينفرد الله عز وجل باسم ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ الذي ورد في خمس آيات وهي :

أولاً : قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٢) .

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

ثانياً : قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي نَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾^(١).

ثالثاً : قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

رابعاً : قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾^(٣).

خامساً : قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّكَ عَلَى الْقُرْآنِ نَزِيلًا﴾^(٤).

ومن الإعجاز في الآيات أعلاه تأكيد قانون وهو المراد من الذكر هو القرآن فأية تقول نزلنا عليك الذكر ، وأخرى تقول نزلنا عليك القرآن ، وقد تقدم في الجزء السابق إنفراد الله عز وجل باسم التقديس ﴿سُبْحَانَكَ﴾^(٥) .

الثانية : تفضل الله عز وجل بتنزيل القرآن لبيان الأمن والسلامة للتنزيل في طرق السموات وإنعدام المسافات بين السماء والأرض .

الثالثة : تفضل الله عز وجل بتسمية القرآن بالذكر ليبقى ذكرى وذاكرة وتذكيراً لأجيال الناس جميعاً وإلى يوم القيامة .

ومن معاني الجمع بين الآيتين أعلاه أن نزول الذكر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى التوالي والتعاقب .

(١) سورة مريم ٤٠ .

(٢) سورة يس ١٢ .

(٣) سورة ق ٤٣ .

(٤) سورة الإنسان ٢٣ .

(٥) أنظر الجزء السادس والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر وهو خاص بتفسير الآية ١٩١ من سورة آل عمران .

وتقدير الآية : انا نحن نزلنا عليك الذكر تنزيلاً ، وكان عمر مدرسة تنزيل القرآن ثلاثاً وعشرين سنة في تأديب الناس وإرتقائهم في سلم المعارف .

وكان الذي يدخل الإسلام يلتحق بهذه المدرسة ، فمن أسلم أو ان الهجرة مثلاً استعداد التدبر في آيات القرآن التي نزلت في مكة ، ومن أسلم بعد صلح الحديبية ، وفك الإشتباك بين المسلمين والمشركين ، أعاد دراسة آيات القرآن ومضامينها القدسية ، وكذا بالنسبة للذي دخل الإسلام عام الفتح أو عام الوفود ، أو في العام العاشر عام حجة الوداع .

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ^(١) ، الدلالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الدخول في دين الله التفقه في الدين ، ومنه النفرة من الإرهاب ، والإمتناع عنه ، للتسليم بأن القرآن ينهى عنه ، ويذكر المسلمين بوجوب تنزه المؤمنين عن الظلم والإرهاب والتعدي .

الرابعة : إخبار الله عز وجل للناس بأنه سبحانه حافظ للقرآن ، وفيه تحد للمشركين وتأکید لسلامة القرآن من التحريف والنقص ، ودعوة الناس في كل زمان للعمل بمضامينه ، ومنه التعاون والتأزر لنشر الأمن ، وتحقيق السلم والمصالحة والتنزه عن العنف والإرهاب .

الرابع : الفرقان : وهو مشتق من الفعل فرق ، ويراد منه التفريق بين اثنين أو أكثر ، وقد وردت سورة كاملة في القرآن باسم

﴿الْفُرْقَانِ﴾ وتبدأ بقوله تعالى ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(١).

ومن حيث التذكير والتأنيث فإن الفرقان اسم علم مذكر مفرد ، وهو من أشهر أسماء القرآن بعد تسمية القرآن والكتاب ، ويدل كل واحد منها على معاني قدسية متعددة ، ويبعث الشوق في النفوس لقراءته ، كما أن الجمع بينها له دلالات وفيه مواعظ متعددة ، فهو الكتاب النازل من عند الله الجامع للأحكام الشرعية والمفرق بين كل من :

♦ الإيمان والكفر .

♦ الحق والباطل .

♦ الفعل الحسن والفعل القبيح ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

♦ التنزيل ، فلا يعني الفرقان إنحصار موضوعه بالتفريق بين اثنين أو أكثر ، فقد يصدق على تمييز الفرد الواحد ، كالهدى والصدق والسلم والعدل .

وهو لا يتعارض مع التفريق بينها وبين ضدها من الكفر والكذب والحرب والظلم ، وإرهاب عامة الناس .

وليس من حصر لمعاني أسماء القرآن التي جعلها الله موعظة سواء بذاتها أو بمعانيها أو بما يترشح عنها ، ويفرق القرآن بين الدفاع

(١) سورة الفرقان ١.

(٢) سورة الإسراء ٩.

والغزو ، فقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

ومن معاني الجمع بين اسم الفرقان واسم التبيان للقرآن وضوح معاني ودلالات القرآن ، وتعيينه لمنهاج الإيمان وسنن التقوى ، وأن الظلم والإرهاب ضدّها .

ومن معاني تسمية القرآن بالفرقان أنه ميزان للأعمال ، ويستطيع الذي يتلوه وينصت له أن يميز بين الحق والباطل ، فالقرآن بذاته فرقان ، ويجعل الإنسان يرتقي إلى مرتبة التفريق بين الحق والباطل في المسائل الإبتلائية، ويدرك وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : الظلم قبيح .

الصغرى : الإرهاب ظلم .

النتيجة : الإرهاب قبيح .

ومن أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة اليومية تنمية ملكة الفرقان عندهم ، لذا فهم يقرأون سبع عشرة مرة كل يوم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) إذ أن الفرقان طريق الهداية والرشاد ، وسبيل النجاة .

الرابع : البلاغ : من أسماء القرآن (البلاغ) فهو تبليغ وموعظة ، قال تعالى ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا

(١) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٢) سورة الفاتحة ٦.

الْأَبَابِ^(١) وأيهما أكثر وجوه وأفراد البلاغ التي يتضمنها القرآن أم عدد آياته والتي مجموعها (٦٢٣٦) آية .

المختار هو الأول ، فوجوه البلاغ هي الأكثر ، وهو من إعجاز القرآن ، وبالإمكان إحصاء وجوه متعددة من بلاغات القرآن منها :
الأول : ما يتعلق بالتوحيد .

الثاني : بيان سعة ملك الله وقدرته المطلقة ، وفي التنزيل ﴿وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢)﴾^(٣) .
الثالث : ما يخص حاجة الخلائق لله .

الرابع : مدرسة الدعاء والفيوضات التي تترشح عنها في النشأتين ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ^(٤)﴾ .
الخامس : ما يخص الرسائل السماوية .

السادس : ما يتعلق بالإيمان ، ونبذ الكفر .
السابع : بلاغات البشارة والإنذار والبلاغ المتعدد عن عالم الآخرة .

إلى جانب أمر الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقيام بالتبليغ ، ليتفرع عنه قانون وهو (بلاغات الرسول) وذكرها وإحصاؤها وهذا الإحصاء مستقراً من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ يُعْصِمُكَ

(١) سورة إبراهيم ٥٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٣) انظر الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين من هذا السفر المبارك .

(٤) سورة غافر ٦٠ .

مِنَ النَّاسِ إِنْ أَلَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ ، وقوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (٣).

لتدل هذه الآية على لزوم تعاهد المسلمين لسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإقامة على أداء الفرائض ونشر سنن الإيمان ومفاهيم الإحسان والرحمة والمودة بين الناس ، وما الإرهاب إلا ضد لها ، فيجب الإمتناع التام عنه ، وحض الناس على التنزه عنه وعن مفاهيمه .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٤) ، الجهاد لنشر الفضيلة والأخلاق الحميدة ، ومنها الصبر والصفح والعفو ، واختبار السلم والموادعة ، وفي التنزيل ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٥).

ومن خصائص الأنبياء النصح لعامة الناس ، وهي وظيفة أتباع الأنبياء الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، لذا يجب نصح عامة الشباب بأن الإرهاب ضرر محض ، ويعود أذاه على ذات الشخص وعلى الطائفة والملة .

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) سورة النحل ٨٢.

(٣) سورة التغابن ١٢.

(٤) سورة الأحزاب ٢١.

(٥) سورة الأعراف ٦٨.

ومن معاني بقاء أحكام القرآن غضة طرية إلى يوم القيامة ، أنه كتاب النصيح والهداية ، وما من نبي إلا واتصف بالنصح لقومه .
 ويمتاز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن كل آية نزلت عليه من القرآن هي ناصح للأجيال المتعاقبة من المسلمين والناس جميعاً ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(١) ، ويلزم المسلمين في هذا الزمان التعاون للنصح لنبيذ الإرهاب والتبرأ منه ، وهو ضد للإيمان ، وسبب لجلب البلوى على فاعله والمقصود منه بغير حق ، وما هو أعم وإذ ينقطع العمل الإرهابي في ساعته فان آثاره السلبية وأضراره مستمرة ، إذ قال تعالى ﴿وَأَتَوْا فَتَنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٢).

ومن أسرار كون الإسلام الشريعة الباقية إلى يوم القيامة واتخاذ المسلمين القرآن دستوراً في الحياة نصح آياته للناس لنبيذ الظلم والتعدي ، والإرهاب فرع الظلم وفرع التعدي .
 وكذا بالنسبة لأسماء القرآن الأخرى ، فمن إعجاز القرآن نهيهِ عن الإرهاب ، وكون أسماؤه هي الأخرى ضد للإرهاب ، وعون على دفعه .

وصحيح أن المدار على المسمى ، وليس على الاسم إلا أن القرآن ينفرد بأن كل اسم من أسمائه زاجر عن الإرهاب .
 وتعدد معنى كل اسم من أسماء القرآن فضل ولطف من عند الله لإصلاح النفوس والهداية لسبل الرشاد .

(١) سورة الأنعام ١٩.

(٢) سورة الأنفال ٢٥.

ليكون من معاني وتقدير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) ، (إن أسماء هذا القرآن تهدي للتي هي أقوم) ، وهو من الإعجاز في كون هذه الأسماء توقيفية من عند الله ، وهو لا يمنع من اسماء للقرآن من السنة النبوية أو أسماء مستقراة من آيات ومضامين القرآن.

قانون اسم القرآن مانع من الإرهاب

القرآن الكتاب السماوي الذي يتضمن كلام الله الذي أنزله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرئيل ، والمصحف هو كتاب جامع يقع بين دفتين ، فلا ينحصر هذا الاسم بالقرآن ، لذا لم يرد لفظ (المصحف) في القرآن إنما وردت تسميته على وجوه ، منها القرآن ، وهو أشهر أسمائه ، والاسم الذي ينفرد به من بين الكتب السماوية .

ومن الإعجاز في المقام ورود لفظ (هذا القرآن) ست عشرة مرة في القرآن كلها تشير إلى خصوص القرآن منها ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢) .

ومنها ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٣) .

(١) سورة الاسراء ٩.

(٢) سورة الزمر ٢٧.

(٣) سورة الفرقان ٣٠.

ويراد منه شكاية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله على القوم الكافرين من قومه لاستهزائهم بالتنزيل ، وهجران وترك القرآن ، وفيه دعوة للمسلمين بال العناية بالقرآن والصدور عنه ، ومنه التنزه عن الإرهاب والإمتناع عن الإضرار بالناس .

وقالوا إنه سحر ، وهل إرتكاب الإرهاب من الهجران للقرآن ، والإبتعاد عن أحكامه وسنته ، وأسباب الرحمة فيه ، الجواب نعم .
وصحيح أن المدار على المسمى ، ولكن للأسم العقائدي والشرعي أمارات ودلالات ، ومنها اسم القرآن فهو سور جامع في التربية والتأديب .

ومن خصائص المؤمن إدراكه لقانون توجه خطابات القرآن له ، فهو يعلم أن الأوامر القرآنية موجهة إليه للعمل بها ، وأن النواهي القرآنية زاجرة له ، وهو من أسرار وجوب قراءة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في اليوم في صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء لتنمي هذه القراءة ملكة حب القرآن في النفوس ، وفي هذه الملكة عصمة مسائل :

الأولى : إنها عصمة من الإرهاب .

الثانية : إنها مانع من إختيار الفعل الذي يضر عامة الناس .

الثالثة : لزوم ترك الفعل الذي يسبب سفك الدماء كالتفجير

العشوائي .

ومن معاني اسم القرآن دعوة المسلمين لقراءته ، والتفقه في الدين ، وهذه القراءة حجاب وبرزخ دون الإرهاب والظلم

والتعدي ، فلا غرابة أن أول آية نزلت من القرآن هي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) وسيأتي بيان مفهومها في نبذ الإرهاب.

وفي قراءة القرآن والتدبر في مضامينه عز للمؤمنين ، وسعادة وباب للرزق الكريم ، فلا يصح أن يخذش الإرهاب هذا العز ، أو يحجب أبواب الرزق عن الفرد أو الجماعة والأمة .

ويمكن القول أن اسم القرآن وحده حرب على الإرهاب ، لما يتبادر من النطق به أو سماعه من الإقرار بالتنزيل ، ولزوم التحلي بالأخلاق الحميدة ، واتباع الأوامر التي وردت فيه ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحرص وعلى نحو يومي على إكرام القرآن ، وتأکید موضوعيته في الحياة العامة ، وأنه حق وصدق ، وجزء من حياة المسلم اليومية .

ومن معاني وأسماء القرآن أنه نور ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

ومن خصائص نور التنزيل طرده لظلمة الإرهاب والعتمة التي تترشح عنه .

ومن أسرار بقاء آيات القرآن غضة طرية كشف الحقائق للناس ، فالفرد الذي يرى جواز الإرهاب تنكشف له أمور :

(١) سورة العلق ١.

(٢) سورة الشورى ٥٢.

الأول : قبح الإرهاب .

الثاني : ضرر الإرهاب الخاص والعام .

الثالث : سوء عاقبة الإرهاب .

الرابع : نفرة الناس من الإرهاب .

الخامس : التنافي والتضاد بين القرآن والإرهاب .

وهل نهى القرآن من الإرهاب من باب القطع أم الظن ، الجواب هو الأول ، فقد نزل القرآن لتنزيه الأرض من الإرهاب وإلى يوم القيامة إلى جانب إدراك العقل لخلو الإرهاب من النفع الخاص أو العام .

ومن معاني تسمية القرآن بالنور أنه يملأ الصدور بالمعرفة ويضيئ للناس سبل الهداية فيرتقي المسلم إلى مراتب العصمة من الإرهاب ، ولا عبرة بالقليل النادر .

(عن جابر بن عبد الله قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخط خطأ هكذا أمامه فقال : هذا سبيل الله ، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال : هذا سبيل الشيطان . ثم وضع يده في الخط الأوسط وتلا ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية) (١) (٢) .

ووردت آية أخرى بتسمية القرآن نوراً مبيناً ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (٣) في دلالة على

(١) سورة الأنعام ١٥٣ .

(٢) الدر المنثور ٤/١٦٣ .

(٣) سورة النساء ١٧٤ .

أن القرآن كتاب هداية ورشاد للناس جميعاً ، وأنه فرقان يميز معه الإنسان بين الحق والباطل ، ويُدرك معه إقامة الله عز وجل الحجة على الناس بأن الظلم قبيح ، وأن الإرهاب منهي عنه .

قانون المواطنة مانع من الإرهاب

الحمد لله الذي جعل آيات القرآن تستوعب التبدل والتغيير في حياة الأمم والشعوب بما يفيد الصلاح ونبذ الظلم والإرهاب ، لقانون القرآن كتاب السلم السماوي ، فلا ينزل الله عز وجل كتاباً إلا وهو يدعو إلى السلم ، ويأمر به ويحض عليه ، ويخبر عن الثواب العظيم بانتهاج السلم ، وينذر من الإقتال والظلم والإرهاب ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

وهل هذا الدخول خاص بالمسلمين الجواب لا ، فهو عام لأن إثبات شئ لشيئ لا يدل على نفيه عن غيره ولأن النبي محمداً رسول إلى الناس جميعاً ، ولورود آيات تدعو الناس للسلم وتعاهد السلم المجتمعي ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

ليبان أن تعاهد الأمن العام مسؤولية تكافلية على الناس جميعاً ، وهو غير الإيمان أو الكفر .

نعم لا يتم السلم العام إلا بالخشية من الله عز وجل واتباع سنن التقوى لذا أبى الله عز وجل أن تغادر النبوة والتزليل الأرض ، واصطلاح المواطنة مأخوذ من مادة وطن .

(١) سورة البقرة ٢٠٨.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

(وَالْغُرْبَةُ: الْاِغْتِرَابُ مِنَ الْوَطَنِ. وَالْغُرْبُ: الذَّهَابُ وَالتَّحْي عَنْ النَّاسِ، غَرَبَ غُرْبًا. وَأَغْرَبْتَهُ وَغَرَبْتَهُ: إِذَا نَحَيْتَهُ، وَأَغْرَبَهُ وَغَرَبَهُ) ^(١).

ليكون مفهوم الوطن لغة من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة فيشمل المسكن والمحلة والقرية ، ومحل الإقامة والبلدة.

وهو في إصطلاح هذا الزمان الدولة والدستور التي هي الخيمة وسور الموجبة الكلية والانتماء إليه سواء حصل التقسيم وضبط حدود الوطن تاريخياً أو عبر إتفاقات أو حروب أو بالسلم والصلح .

ومن خصائص المواطنة المساواة بين الأفراد في الواجبات والحقوق ، ولزوم خضوع والتزام الفرد بقوانين البلد ، لقانون الإشتراك في الوطن ، ولا يختص هذا الإلتزام بالمواطنين بل يشمل عموم المقيمين والمسافرين إليه ، وفي الفقه من أقام عشرة أيام في بلدة يؤدي الصلاة تماماً ويصوم اليوم من رمضان لأنه كأهل تلك البلدة في الحكم ، وتلمي قوانين المواطنة وحسنها الموضوعي على المواطنين والمقيمين جميعاً التنزه عن الإرهاب ، والإبتعاد عنه ، فهو ضد لكل من واجبات وحقوق المواطنة .

وهل يدخل تقسيم الأرض والأمصار إلى دول في هذا الزمان في مصاديق الشعوب في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ^(٢) الجواب نعم .

ومن الإعجاز في المقام نسبة الشعب إلى الوطن في هذا الزمن فيقال الشعب العراقي ، والشعب المصري ، والشعب الإيراني ، والشعب الأمريكي وغيره .

(١) المحيط في اللغة ١/٤١٠.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

مما يلزم عناية الأفراد بمصالح الشعب ومنها منع حدوث الإرهاب أو التفجيرات العشوائية بين ظهرانيهم .

قانون آية النفر دفع للإرهاب

صار لنزول القرآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، ولم يخط علم التفسير والتأويل إلا خطوات عديدة مباركة ، ولم يحط بتسمية واحد إلى ألف من علوم القرآن ، وإن كانت هناك شهرة لعدد من كتب التفسير ورجالاته الذين بذلوا الوسع في التحقيق والتفسير ، ولكن كنوز وخزائن القرآن عظيمة .

وهل هو من الصرفة أي أن الله عز وجل صرف العلماء عن سبر أغوار القرآن واستخراج كنوزه ، الجواب لا ، إنما يدعو الله عز وجل العلماء والناس للنهل من القرآن ، والتدبر فيه ، وبيان ذخائره ، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(١).

وأستدل في علم الأصول بالآية أعلاه على حجية خبر الواحد الثقة لأن من معاني الطائفة لغة هو الفرد الواحد ، ومع أن المختار هو حجيته فقد رددت على هذا القول بأفادة معنى الطائفة في الآية الجمع ، إذ ورد قوله تعالى في وصفهم ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾.

وتدل واو الجماعة المتكررة أعلاه الجمع .

وكذا الضمير (هم) في ﴿قَوْمُهُمْ﴾ .

ومن وجوه تقدير الآية :

الأول : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتدارسوا القرآن ويظهروا علومه ، ويبينوا أحكامه والسنة النبوية .

الثاني : لينذروا قومهم من الإرهاب والتعدي .

الثالث : لينذروا قومهم من الركون إلى الإرهاب للزوم النهي عنه .

الرابع : لينذروا قومهم من الاضرار الخاصة والعامة التي تترتب على الإرهاب ، إذ يقوم بالفعل شخص واحد ، ولكن الأذى قد يلحق الطائفة والدولة والأمة .

الخامس : من دلالات ﴿وَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾^(١) براءة الإسلام والسنة النبوية من الإرهاب .

السادس : بيان قانون التفقه في الدين واقية من الإرهاب .

السابع : قانون وجوب البيان على الفقهاء لأنهم لم ينفروا إلى القتال أو مرابطة في الثغور، إنما وصفت الآية طلبهم العلم بأنه نفي مرابطة مما يلزم ترتب الأثر عليه من التفقه والتعليم ، وبيان أحكام الشريعة للناس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

(١) سورة التوبة ١١.

(٢) سورة آل عمران ١٠٤.

الثامن : قانون وجوب إخلاص الفقهاء في عملهم وسعيهم ، والقيام بالتبليغ وفق الكتاب والسنة .

التاسع : آية النفر أعلاه شاهد سماوي ووجداني على أن الله عز وجل أراد حفظ القرآن من الزيادة أو النقصية أو التحريف ، لتكون من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) .

العاشر : قراءة القرآن وتبليغ أحكامه زجر عن الإرهاب ، ودعوة لإجتنابه .

الحادي عشر : في تبليغ أحكام الشريعة تهذيب للسلوك .

الثاني عشر : من مصاديق النفر للتفقه في الدين تولي إمامة الجماعة في الصلاة ، وفيه تعاهد للصلاة ، ومن خصائصها النهي الفعلي عن الإرهاب لقوله تعالى ﴿ إِنِ الصَّلَاةُ تَنَهَّى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾^(٢) وبين المنكر والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإرهاب والإضرار بالأنفس والممتلكات من المنكر .

ومن منافع صلاة الجماعة إصلاح النفوس ونشر ألوية السلم ، والتعاون لمنع الإنسان من التعدي والعدوان ، قال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴾^(٣) وخصت الآية الركوع لانفراد صلاة المسلمين به وما فيه من الخشوع وتعظيم مقام الربوبية ، وفيه تأديب للإمتناع عن الظلم والإرهاب .

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) سورة العنكبوت ٤٥.

(٣) سورة البقرة ٤٣.

وسواء كان النفير للتفقه أو نفير الأمة للدفاع فانه ضد للإرهاب ، وإنصراف عنه ، ومن خصائص التفقه في الدين بعث النفرة في النفوس من الإرهاب .

وهل تدل الآية على أن النفر للتفقه على نحو الواجب الكفائي ، الجواب نعم ، وقد يكون واجباً عينياً على بعض العلماء ، وأمناء الشريعة ، وليس في الآية ما يدل على الغزو والنفر له .

إذ تدل الشواهد على قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالدفاع في معركة بدر ، ومعركة أحد ، ومعركة الخندق ، ومعركة حنين .

يطل المشركون على المدينة لغرض استباحتها ، فينفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للدفاع وتبقى طائفة لإقامة الصلاة في المدينة ، والإجابة على الأسئلة من عامة المسلمين الذين لم يخرجوا للنفر عن عذر ونحوه ، وأسئلة المسلمات ، إذ يسقط عنهن الجهاد ، وأسئلة اليهود وغيرهم ، وفك الخصومة ، والتصدي للمنافقين ، ومنع الفتنة .

وتلقي رجال ووفود القبائل والبدو الذين يأتون إلى المدينة لرؤية دلائل النبوة ، وقدمهم هذا مقدمة واستعداد لنبذ الإرهاب والغزو والسلب والنهب بين القبائل ، ليكون ذات القدوم هذا من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما يتضمن من المعاني والدلائل والمقاصد .

وتبين آية النفر قانون ثبوت قواعد الإسلام وإنشاء دولته في المدينة المنورة لا تغادرها الفقهة وإلى يوم القيامة ، لبيان قانون وهو التضاد المستمر والمتجدد بين الفقهة والإرهاب ، فالذي يتفقه في الدين يمتنع عن الإرهاب ، ويدعو الناس لإجتنابه والنفرة منه .

وإذا جاءت الوفود والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتيبة خارج المدينة فهل يرون شواهد ومعجزات في المدينة تدل على صدق نبوته ، الجواب نعم ، وهو من الإعجاز الغيري في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ يرون إقامة صلاة الجماعة خمس مرات في المدينة ، ومن وظائف الطائفة التي تنفر للفقاهة تعاقد إقامتها لعمومات قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١) .

ويرون الأخلاق الحميدة التي صار عليها الناس ، والتتزه عن الإرهاب ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه البركة ومنافعها متجددة وباقية في عموم الأرض إلى يوم القيامة ، وهو من رشحات إعلان الأذان خمس مرات يومياً في ربوع الأرض ، ودعوة المسلمين للصلاة ، وللتأسي بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي بعثه الله عز وجل رحمة للناس ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

(عن ابن عباس في قوله { وما كان المؤمنون لينفروا كافة }^(٣)) يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده { فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة }^(٤) يعني عصابة يعني السرايا فلا يسيرون إلا باذنه .

(١) سورة البقرة ٢٣٨.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة التوبة ١٢٢.

(٤) سورة التوبة ١٢٢.

فإذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قالوا : إن الله قد أنزل على نبيكم بعدنا قرآنًا وقد تعلمناه ، فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم بعدهم ، ويبحث سرايا آخر ، فذلك قوله { ليتفقهوا في الدين } يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم { لعلهم يحذرون }^(١).

ومن معاني تسمية القرآن بالكتاب أنه جامع للأحكام الشرعية ، وفيه ما يحتاج الناس ليعرض العمل الإرهابي عليه ، فتجد القرآن ينهى عنه سواء كان الإرهاب ضد مسلم أو كتابي أو غيرهما ، وكذا بالنسبة للسنة النبوية ، فقد كان بعض رجالات قريش يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدايات الدعوة في مكة ، ولم يأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باغتيال أحدهم ، وقتلوا بعض الصحابة تحت التعذيب ، مثل سمية بنت خياط أم عمار ، قتلها أبو جهل ومع هذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقصاص إنما كان يقول حينما يمر عليهم أثناء التعذيب ، صبراً آل ياسر.

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخْرُجُونَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَيِّهِ وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ إِذَا حَمَيْتِ الظَّهِيرَةُ يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمَضَاءِ مَكَّةَ ، فَيَمْرُ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ ، فِيمَا بَلَغَنِي : صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا ، وَهِيَ تَأْبَى إِلَّا الْإِسْلَامَ)^(٢).

(١) الدر المنثور ١٩١/٥.

(٢) ابن هشام/السيرة ٣١٩/١.

و(عن جابر ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بعمار بن ياسر وبأهله ، وهم يعذبون في الله عز وجل ، فقال : أبشروا آل ياسر ، موعدكم الجنة) (١).

ومن معاني تسمية القرآن الكتاب أنه الفيصل والحكم ، وفيه دعوة لصدور المسلمين عنه ، واستنباط الأحكام منه ، ويمكن القول أن كل آية مسألة أصولية يقع مضمونها ونتيجتها في طريق استنباط الحكم الشرعي ، وفيه حرمة الإرهاب مثلما يدل القرآن على حرمة الربا والكذب ، بل من باب الأولوية القطعية لأنه أضرار بالنفس والغير ، وبقاء التبعات التي تترتب عليه إلى أجل ، قال تعالى ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢).

ومن إخلاص العبادة التنزه عن الإرهاب ، وعن الإضرار بالآخرين مسلمين أو غيرهم ، ومن معاني إخلاص العبادة الإمتناع عن الإرهاب ، والتنزه عن مفاهيمه ، وعدم نصرة أو تعضيد الذي يقوم به .

ولم يرد لفظ ﴿ كِتَابَنَا ﴾ في القرآن إلا مرة واحدة بقوله تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ويتعلق موضوع الآية بالدار الآخرة ، وهل يشمل القرآن .

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٢٦/٤ .

(٢) سورة الزمر ١-٢ .

(٣) سورة الجاثية ٢٩ .

الجواب نعم ، ففيه إنذار من فعل السيئات وما يخالف آداب
وسنن القرآن ، وإرتكاب المعصية التي نهى عنها ، ومنها الظلم
والتعدي .

والنسبة بين كل واحد منهما وبين الإرهاب هو العموم
والخصوص المطلق .

وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(١) ومن معاني الميزان العدل وانزاله أي إحكامه بالعدل
، وتقريب الناس للعمل به .

ترى ما هي النسبة بين العدل والإرهاب ، الجواب هو التضاد ،
لذا لا بد من الإحتراز من الإرهاب ومقدماته .

قانون ذهاب إرهاب قريش هباءً

لقد ابتدأت دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو
القضية الشخصية بعد أن نزل عليه جبرئيل بالوحي والتنزيل ،
وعندما توالى آيات القرآن ، وتضمنت ذم الأصنام وعبادتها قال
تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ
فَلَيْسَ بِجِوَارِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾^(٣).

ومع توالي نزول آيات القرآن فكلما نزلت سورة أو آيات من
القرآن يزداد أذى الكفار على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الشورى ١٧.

(٢) سورة الأعراف ١٩٤.

(٣) سورة الفرقان ٥٥ .

، ويحاربونه بالسخرية والإستهزاء والإفتراء ، ثم ادركوا أن هذه الصيغة من الحرب لم تمنعه من مواصلة التبليغ ، ولا تحجب الناس عن دخول الإسلام .

وكانت قريش ذات معرفة بالتأريخ ومعارك العرب وتداول الأيام بين الدول فأدركوا عقلاً ووجداناً أن النبوة ظاهرة وأن الناس تنجذب إلى رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن دولتهم إلى زوال فلا بد من حكم الشريعة عندها عزموا على التخلص من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأحد وجوه :

الأول : السجن كما يسجن بعض الشعراء ، الذين يكثرون الهجاء والذم لقومهم فيرمون بالجنون ونحوه .

الثاني : القتل ، ودفع دية النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني هاشم .

الثالث : الإخراج من مكة وإغراء القبائل به .

وقد وثق القرآن مكر ودهاء وخبث قريش هذا وخبثتهم وعجزهم فقال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

لتكون نجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معجزة من جهات :

الأولى : سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عزم المشركين على قتله مع سهولة الإغتيال والغدر عندهم ، وتحريض بعض الغلمان والعبيد عليه .

الثانية : نجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل ، وهل يمكن القول بقرب القتل منه كل يوم قبل الهجرة ، الجواب نعم ، لتكون هذه النجاة معجزة له .

وهل تختص مصاديق هذه المعجزة بوجود النبي بين ظهرائي المشركين في مكة ، الجواب لا ، فان قرب الموت منه مصاحب لأيام النبوة ، وحتى بعد الهجرة ، ومن الآيات التي نزلت في المدينة قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

الثالثة : معجزة هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة إرادة قريش قتله بخطة محكمة ، قال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٢) .

الرابعة : خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ميدان معركة بدر ، وأحد ، والخنندق ، وحنين سالماً من القتل مع أن قصد المشركين في كل معركة من هذه المعارك الأربعة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعله الهدف الأول .

الخامسة : عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من محاولات الإغتيال العديدة .

ويدل عليه توالي غزو المشركين للمدينة وتجاهرهم بقصد قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان المعركة ، وندمهم

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠ .

بعد المعركة على عجزهم عن قتله ، ولم يعلموا أن هذا العجز معجزة من عند الله عز وجل ، كما في معركة أحد .

فعندما انسحب المشركون في ذات يوم المعركة ووصلوا إلى بعض الطريق باتجاه مكة أظهروا الندم ، واتفق أنلقى معبد الخزاعي أبا سفيان وجيشه في الروحاء عائدتين من معركة أحد فسمعهم (يقولون: لا محمداً أصبت، ولا الكواعب أردفت، فبئس ما صنعتم! فهم مجمعون على الرجوع، ويقول قائلهم فيما بينهم: ما صنعنا شيئاً، أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم، قبل أن يكون لهم وفرٌ والمتكلم بهذا عكرمة بن أبي جهل) ^(١).

وكان معبد هذا يومئذ مشركاً ، ولكن خزاعة سلم للنبي ، وكانوا لا يخفون عنه شيئاً ، حتى إذا ما تم صلح الحديبية بادرت خزاعة في الدخول في صلح محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبني هاشم مطلقاً ، وكان يتأسف لما لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الخسارة يوم أحد ، إذ خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما التقى به في حمراء الأسد حيث خرج النبي وطائفة من أصحابه في طلب أبي سفيان وجيشه عندما بلغ المدينة أنهم ينوون العودة لغزوها قبل لقائه بأبي سفيان (يا محمد، لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله أعلى كعبك، وأن المصيبة كانت بغيرك) ^(٢).

مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يتعرض للمشركين في الجادة العامة ، وحتى في المدينة ، ولم ينتقم لخسارته في

(١) مغازي الواقدي ١/١٢٩.

(٢) مغازي الواقدي ١/١٢٩.

معركة أحد من الذين لم يشاركوا في القتال منهم ، بل حتى الذين شاركوا فيها فلا انتقام منهم .

وحينما رأى أبو سفيان وأصحابه معبداً قادماً من ناحية المدينة ويعلمون أنه مشرك مثلهم ولا يشكون فيه .

قال أبو سفيان عندما رآه : هذا معبد وعنده الخبر ، ما وراءك يا

معبد ؟

لقد انقطع جدالهم بخصوص الكرة ثانية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، والذي كان أكثر المحرضين فيه عكرمة بن أبي جهل إذ يطلب ثار أبيه الذي قُتل في معركة بدر .

حينئذ أجابهم معبد بما بعث الخوف في قلوبهم إذ قال (محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحق عليكم شئ لم أر مثله قط)^(١).

فاصابت الدهشة أبا سفيان وأصحابه .

فقال لمعبد : ويلك ما تقول ، ولم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ في حمراء الأسد سوى مائتين ونيف من أصحابه ، وكثير منهم أثقلتهم جراحات معركة أحد التي لم يمض عليها إلا يومان أو ثلاث .

فأجابه معبد من غير تردد (والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل)^(٢).

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٩٩/٣.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٩٩/٣.

ليدب الخوف في قلوب المشركين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢).

عندئذ عرض أبو سفيان نيتهم العودة للإغارة على المدينة ، إذ قال (فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم)^(٣). ويدل هذا الكلام على عزم المشركين على الإبادة الجماعية ، وهو من أشد ضروب الإرهاب ، وأنهم لن يرضوا إلا بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .
فنهأ معبد وحذره وأخبره بلحوق الخسارة بهم إن أعادوا الكرة ، ثم صار يقرأ آياتاً من الشعر نظمها خاصة بالمناسبة :
كادت تهد من الأصوات راحلتي .. إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل
تردى بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا خرق معازيل
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم .. إذا تغطمطت البطحاء بالجليل
إني نذير لأهل البسل ضاحية ... لكل ذي إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش قنابله. وليس يوصف ما أنذرت بالقليل)^(٤).
فامتنع أبو سفيان ورؤساء الجيش عن العودة إلى الهجوم على المدينة وتجدد القتال ، وهو من الإعجاز في خروج النبي محمد صلى

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة المدثر ٣١.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٩٩/٣.

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٤٨٣/١.

الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد ، والتي تسمى غزوة حمراء الأسد مع أنه لم يقصد بلدة أو قرية ، ولا يطلب القتال ، إنما خرج إليها ليمنع القتال ، ويدرك الفتنة ، ويحول دون الإبادة الجماعية ، وهو من الشواهد على أن خروجه إلى حمراء الأسد من الوحي ويقصد السلام ومحاربة الإرهاب والنهي عنه .

وتبعد حمراء الأسد عن المسجد النبوي نحو (١٢) كم من جهة الجنوب الغربي من المدينة ، ودخلت في هذا الزمان في المخطط السكاني للمدينة ، وهذه التوسعة فيها من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التاريخية اللاحقة التي تحققت وتحقق بعد مغادرته الحياة الدنيا .

ولم يقم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حمراء الأسد إلا ثلاثة أيام ، فقد وقعت معركة أحد يوم السبت النصف من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد يوم الأحد .

وأقام وأصحابه فيها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء . ورجع إلى المدينة ليثني الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين خرجوا معه ويوثق القرآن خروجهم مع إصابتهم بالجروح الشديدة ، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) ^(٢) ولم يرد لفظ ﴿ جَمَعُوا ﴾ ﴿ فَأَخْشَوْهُمْ ﴾ في القرآن إلا في الآية اعلاه .

(١) سورة آل عمران ١٧٢ .

(٢) أنظر الجزء السادس والخمسين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

واكتفى أبو سفيان بالتخويف والوعيد إذ مرّ عليه ركب من عبد قيس من المشركين ، فقال لهم : أين تريدون .

فقال : ولم ؟

إذ كان يخشى ذهابهم إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدخول الإسلام .

قالوا : نريد الميرة ، أي التسوق وشراء التمور من المدينة ، فأطمئن لهم ، فقال (فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا: نعم، قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه، لنستأصل بقيتهم)^(١).

وعندما وصلوا إلى حمراء الأسد رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مع قلة عددهم بينما كان جيش المشركين نحو ثلاثة آلاف رجل لم ينقص إلا بعدد قتلهم في معركة أحد وهم اثنان وعشرون ، ومغادرة بعض الرجال لهم ، فلم تتفرق القبائل بعد باتجاه الطرق الخاصة بها إلى قراها .

فأخبر الركب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ما قال أبو سفيان ، فلم يزداهم إلا إيماناً ، وأظهر الصبر والعزم على الثبات ، ونزل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^{(٢)(٣)}.

(١) تاريخ الرسل والملوك ٤٨٢/١.

(٢) سورة آل عمران ١٧٣.

(٣) أنظر الجزء السابع والخمسين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

ولم يبق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حمراء الأسد سوى ثلاثة أيام الاثنين السابع عشر من شهر شوال ، والثلاثاء والأربعاء ، وعاد إلى المدينة لينجو أهلها من بطش المشركين .

وليخلد الله عز وجل هذا الخروج إلى يوم القيامة بالثناء النازل من السماء والبشارة بالثواب العظيم لبيان أن عاقبة الصبر ومحاربة الإرهاب الفوز بحب الله ، وفي التنزيل ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١) .

وهذا الثناء من الإعجاز في المقام مع بيان أسبابه واستحقاقه وفي ثلاث آيات من القرآن إذ قال تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَاقْبَلُوا نِعْمَةً مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

ولما أحتج الملائكة على جعل الإنسان في الأرض خليفة وقالوا ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣) أجابهم الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

ومن علم الله عز وجل وحيه إلى رسوله الكريم بالخروج بطائفة من أصحابه إلى حمراء الأسد ، لتكون فيها سلامته وعامة

(١) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٧٢-١٧٤ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

أهل المدينة من المسلمين واليهود والمشركين ، وصيانة أموالهم لأن الغزاة المشركين يقومون بالتهب والسلب من غير تمييز بين الناس ، وهو من الفساد الذي صرفه الله عز وجل بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد التي هي لا يصدق عليها غزوة ، إنما هي لدفع الغزو ، وصرف القتال ، ومنع الضرر العام ، وفيها خزي للذين كفروا بين الناس ، والحيلولة دون إدعائهم النصر في معركة أحد ، فلو كانوا قد حققوا النصر فيها لما عزموا على الكرة على المدينة وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَيَقَطَّعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

قصص الأنبياء موعظة

يبين القرآن قانون إنصراف إرهاب الكفار ودفع أذاهم وكيدهم من وجوه متعددة منها :

الأول : قصص الأنبياء السابقين التي هي موعظة للمؤمنين والكفار وعامة الناس .

الثاني : إزدياد إيمان الذين آمنوا ، قال تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) سورة التوبة ١٢٤.

وهل قصص القرآن من مقدمات وأسباب السكينة التي وردت في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾^(١)، الجواب نعم .

وهو من اللطف الإلهي في باب الأسباب والمقدمات والتخفيف عن المؤمنين ، وجعلهم يرتقون في المعارف الإلهية .

الثالث : عصمة المؤمنين من النفاق إذ يتخذون من سيرة وسنن الأنبياء أسوة وقدوة وضياء في مسالك الحياة ، وضروب الإبتلاء اليومية خاصة مع اشتداد أذى الكفار على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم .

الرابع : زجر المنافقين عن الإقامة على النفاق ، والسعي في إثارة الريب والشكوك ، ولا يعلم إيذاء المنافقين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه إلا الله عز وجل ، وهو يعلم بالظاهر والنوايا ، والخفايا ، قال تعالى ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) .

الخامس : دعوة الكفار للتوبة والإنابة ، والتدبر في آيات التنزيل ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٣) .

وستأتي دلالة هذه الآية على حرمة الإرهاب

(١) سورة الفتح ٤.

(٢) سورة الأحزاب ٦٠.

(٣) سورة سبأ ٢٨.

السادس : التصدي لجيوش المشركين ، ومدافعتهم ومنعهم من تحقيق غاياتهم الخبيثة في صدّ الناس عن دخول الإسلام ، وإبطال اجتهادهم في منع شعائر الله عز وجل .

السابع : تفقه المسلمين في الدين ، ومعرفة الأذى الذي لاقاه الأنبياء وأصحابهم من المشركين ، قال تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهْنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١) (٢) .

اسم (كلام الله) زاجر عن الإرهاب

لقد أكرم الله عز وجل القرآن وسمّاه كلامه وهو يعلم أنه سيدخل كل بيت من بيوت المسلمين ، ويمجري على الألسنة ويتلى كل يوم في مكة والمدينة ، ثم في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو من الإعجاز في هذه التسمية بانبساطها على أقطار الأرض وكما تحضر رحمة الله عز وجل يحضر كلامه فيكون ضياءً وسبباً لجلب المصلحة ونزول النعمة .

وتسمية كلام الله عز وجل دعوة للناس للعناية بالقرآن ، وحض للمسلمين على العمل بأحكامه ، ولييان أن كلام الله عز وجل لا يأمر بالإرهاب أبداً .

وقد ورد لفظ (كلام الله) ثلاث مرات في القرآن هي :

(١) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٢) انظر الجزء الرابع عشر بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية .

الأولى : قال تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١).

ليبيان موضوعية القرآن في هداية الناس سواء بالتلاوة أو الإستماع له أو الإحتجاج بآياته وتدعو الآية لتعاهد آيات القرآن ، والحيلة والحذر من تحريفه سواء في الرسم أو اللفظ أو المعنى .
ومن خصائص القرآن أنه لا يدعو إلى الإرهاب أبداً ، إنما يتضمن تحريمه والنهي عنه .

الثانية : قال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢).

تبين الآية لزوم الرفق بالناس حتى الكفار عندما يأتون للسؤال والمعرفة والتدبر أو عند اللجوء والإستجارة والإستغاثة ، فلا يلاقون بالانتقام والبطش والإرهاب .

مما يدل على حرمة ولزوم حسن المعاشرة مع الناس جميعاً ، ومن معاني الآية لزوم توفير الأمن والأمان للناس ، وعدم إخافتهم.

الثالثة : قال تعالى ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٣).

(١) سورة البقرة ٧٥.

(٢) سورة التوبة ٦.

(٣) سورة الفتح ١٥.

في الآية بشارة سلامة القرآن من تبديل أو تحريف كلماته وأحكامه ومعانيه ، وتبين الآية الحاجة إلى الفقهارة والتعلم ، ومعهما تتجلى للإنسان حقيقة القبح الذاتي للإرهاب والتنافي بينه وبين الإيمان .

وفي هذه الآيات تحذير ونهي عن تحريف معنى الآية بما يضفي نوع شرعية على العمل الإرهابي ، ومن معاني قوله تعالى ﴿مَنْ بَعْدَ مَا عَقِلُوا﴾^(١) في الآية أعلاه وجوه :

الأول : بيان الآية القرآنية لمعناها ودلالاتها ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

الثاني : تفسير القرآن بعضه لبعض بما يمنع من التحريف وسوء التأويل .

الثالث : تفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن .

الرابع : مجئ السنة النبوية القولية والفعلية لكشف معاني الآية القرآنية ، وبيان معالم الإيمان .

الخامس : ورود أسباب نزول لآيات القرآن .

وهل تكلف الاستدلال على العمل الإرهابي من القرآن من تحريف كلام الله عز وجل ، الجواب نعم ، والمراد تحريف تأويله ، وسوء التفسير ، وحمله على غير مقاصده السامية لأن ملاكه الرحمة والسلم والموادعة والرفقة بين الناس ، ويدل قوله تعالى

(١) سورة البقرة ٧٥.

(٢) سورة يوسف ٢.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) على أن كل آية من القرآن رحمة بالناس جميعاً.

فإن قلت قد قاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشركين وهم شعبة من الناس .

والجواب إنما هم الذين قاتلوا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهجموا على المدينة وسعوا في قتله وهو في مكة ، وبعد الهجرة إلى المدينة ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢) .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال دفاع وضرورة لصرف المشركين وخططهم الخبيثة .

وحينما أخبر الله عز وجل الملائكة عن جعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) سأله أن ينزه الأرض من سفك الدماء ، ومن الفساد ، فكما أن السماء ملك طلق لله سبحانه فكذا الأرض ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{(٤)(٥)} .

فأجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦) ومن علم الله عز وجل دفاع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٥) انظر الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين من هذا السفر المبارك الذي اختص بتفسير هذه الآية .

(٦) سورة البقرة ٣٠ .

وأصحابه عن ملة التوحيد وتبليغه لكتاب الله عز وجل وآياته ومن خصائصها النهي عن الفساد وعن الإرهاب .

لقد احتج الملائكة بالقول ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١) وهناك مسألتان :

الأولى : النسبة بين الفساد والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإرهاب من فصيلة الفساد لما فيه من الأضرار العامة ، وإثارة الفرع بين الناس ، لذا كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يجاهد ضد الفساد ، ويمنع من الإرهاب .

الثانية : النسبة بين سفك الدماء وبين الإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإرهاب شعبة من سفك الدماء إلى جانب ما فيه من تلف الممتلكات ، وتعطيل الأعمال.

ليان قانون وهو مجئ كل نبي بمحاربة الإرهاب وهو من المعجزات الحسية ، ليمتاز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن محاربه للإرهاب مستديمة ومتجددة وباقية إلى يوم القيامة.

وتتقوم هذه المحاربة للإرهاب بكلام الله عز وجل ، وآيات التنزيل والسنة النبوية ، وهو من الشواهد على الحاجة إلى سلامة القرآن من التحريف ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) ، حفظ القرآن من التحريف وسوء التأويل الذي يؤدي إلى الفساد والإرهاب وسفك الدماء .



(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الحجر ٩.

قانون مقابلة النبي (ص) الإرهاب بالصبر والعفو

من سنن الحياة الدنيا ملاقة الأنبياء الأذى من قومهم ، وقد يتبادر إلى الذهن أن الأصل هو تلقي الناس دعوة النبوة الصادقة بالقبول لإقترانها بالمعجزة ، وهذا صحيح ويتجلى بدخول أفراد وجماعات في الإسلام ، وإتباعهم لنبي زمانهم إلا أن بعض أهل الرياسات والسلطنة يمتنعون عن التصديق بهم ، يأبون إتباع أفراد من قومهم يأمرونهم وينهونهم ، ويستكبرون عن التدبر في المعجزات ، ولا يستجيبون لأوامر ونواهي الأنبياء من إقامة الصلاة ، وإخراج الزكاة ونحوه ، والإمتناع عن المعاصي كالزنا والسرقة والظلم ، لذا خاطب الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالقول ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانُهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(١) خاصة وأنه يسمى من قبل قومه (الصادق الأمين) .

وقد تلقى أشرف قريش دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في البداية بالإعراض ، وعندما توالى نزول آيات القرآن ، وتضمنت الوعد والوعيد ، الوعد بالفوز والفلاح للذين آمنوا ، والوعيد بالعذاب ونار جهنم للذين يقيمون على الكفر .

وتوالى دخول الأفراد إلى الإسلام ، ومنهم العبيد والمستضعفون ، أبى أكثر هؤلاء الأشراف أن يحاكوهم ويقلدوهم ، وارادوا منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دعوته ، وأن يجتنب سب آلهتهم والتعريض بآبائهم الذين ماتوا على عبادتها ،

والتقرب والنذر لها ، ولأنهم كانوا أصحاب سطوة وقوة ومنعة اتجه الكفار نحو مزاولة الإرهاب العلني من جهات :

الأولى : إيذاء شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : الإضرار ببني هاشم وحصارهم اقتصادياً وإجتماعياً ومحاربتهم نفسياً لوجوه :

الأول : دخول طائفة من بني هاشم الإسلام ، وكان أول من أسلم هو الإمام علي عليه السلام ، وخديجة أم المؤمنين ، وهي وإن كانت من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بطن من قريش وهم غير قبيلة بني أسد المضربة العدنانية التي يعود نسبها إلى أسد بن خزيمه بن مدركة (عامر) إلا أنها تتبع بني هاشم ودخلت خديجة مع بني هاشم تحت الحصار ، وكانت من أسباب فك الحصار .

الثاني : بنو هاشم رهط وعشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحملهم قريش أسباب سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للآلهة وذم الذين يتزلفون إليها ولم يكن النبي هو الذي يسبها وليس من سب في المقام إنما نزل القرآن بدمها وبيان قبح الشرك والضلالة ، قال تعالى ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾^(١).

والآية أعلاه من سورة الفرقان وهي مكية نزلت قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وهناك آيات كثيرة نزلت في ذم عبادة الأوثان فوقعت محاربة النبوة والصحابة بسببها.

ومن إعجاز نظم آيات القرآن وأوان نزولها أن سورة الفاتحة التي هي من أوائل سور القرآن نزولاً والتي تقرأ في كل ركعة من الصلاة خالية من ذم الأوثان وعبادتها ، لمنع إثارة المشركين وإرهابهم ، وإن كانت تتضمن هذا الذم في مفهومها بجلاء بكل من :

الأولى : مفهوم الوصف .

الثانية : مفهوم الشرط .

الثالثة : مفهوم الغاية .

الثالث : حيطة بني هاشم ودفاعهم عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وامتناعهم عن تسليمه لقريش ليقتلوه .

الثالثة : الإضرار بأصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين دخلوا الإسلام .

الرابعة : تعذيب بعض الصحابة من الرجال والنساء .

الخامسة : قتل بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل سمية بنت خياط التي قتلها عن عمد أبو جهل ، فكان من أوائل الذين قتلوا في معركة بدر بعد إصراره على القتال فيها .

ومن آيات الله بالإنقام من الذين كفروا أن عتبة بن ربيعة سعى يومئذ إلى إجتناّب القتال ، فعيّره أبو جهل ورماه بالجن والخوف من سيوف بني هاشم فقتلوا معاً في المعركة .

السادس : الإصرار على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ أدركت قريش أن السبيل إلى وقف الدعوة ومنع نزول آيات القرآن هو قتله ، وهناك مسألتان :

الأولى : هل تعلم قريش عدم نزول القرآن على غير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا مات أو قتل .

الثانية : هل كانت قريش تعلم الأذى الذي لحق الأنبياء السابقين من قومهم .

الجواب نعم ، فقد كانت قريش على صلة بالأُمم الأخرى بواسطة التجارة المستمرة في أيام السنة ، وهو الذي ذكره القرآن باصطلاح الشتاء والصيف في قوله تعالى ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ * إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١).

ليكون من مصاديق عبادتهم لله عز وجل اللازمة التصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمتناع عن الإرهاب .

وهل استهزأوهم وسخريتهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآيات القرآن من الإرهاب الظاهر أو الخفي ، أم ليس من الإرهاب ، الجواب إنه من الإرهاب الظاهر والعلني ، ومحاولة مقصودة لثني الناس عن دخول الإسلام وللتوطئة لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف .

لقد أظهر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعلى مراتب الصبر ، وهو من معجزاته الحسية للملازمة بين النبوة ، وهذه المراتب من الصبر ، فمع أن النبي يتلقى الوحي من عند الله ، وتجري المعجزة على يديه فيتطلع إلى تصديق قومه به ، ولكنهم يؤذونه أشد الأذى ، وهي حال تناقض صادم ، فان الأنبياء يلجأون إلى الله عز وجل بسؤال هداية قومهم وصلاتهم ورشادهم .

و(عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ : "كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بَنِيهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ، عَزَّ وَجَلَّ" .

فأنزل الله تعالى {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} ^(١) ^(٢).
 و(قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لَعَنًا، وإنما بُعثتُ رحمة") ^(٣).

قانون الإمتثال الفوري

من بديع صنع الله عز وجل وحضور مشيئته المطلقة في عالم أفعال البشر والملائكة والجن وجود مصاديق وشواهد للإمتثال المباشر لأوامره ونواهيه ، فحالما ينزل الأمر هناك أمة تمتثل له ، وهل يستمر الإمتثال أم ينقطع .

الجواب هو الأول ، إذ يستمر تجدد مصاديق الإمتثال إلى يوم القيامة ، وهو من الشواهد على عمومات قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٤) .

نعم ، هذا الإمتثال من الكلبي المشكك في قوته وكثرته ، ولكنه لا ينقص عن الحد الذي يريده الله عز وجل للناس ومنفعتهم في النشاطين.

ومن أسباب تصدع عموم هذا النفع الإرهاب والتفجيرات وسفك الدماء مما يقتضي اجتنابه ، وهذا الإجتنا من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٥).

(١) سورة آل عمران ١٢٨.

(٢) ابن كثير/التفسير ١١٦/٢.

(٣) ابن كثير/التفسير ٣٨٥/٥.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) سورة الأنبياء ١٠٧.

وبصيغة الجمع (خلائف) كما في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُلْوَكُمُ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) .

لقد نزل الأمر في آية بدر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٢) وهو يفيد الفورية ومبادرة المهاجرين والأنصار إلى سنن التقوى لمقام الفاء في (فاتقوا) التي تفيد الفورية والتعقيب .

لقد استقبل أهل المدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند عودته من معركة بدر بالشكر لله والإستبشار ، واعتذر منه الذين تخلفوا عن معركة بدر لأنهم لم يعلموا بأنه سيقع قتال ، ويشكر المسلمون الله عز وجل عند قراءة هذه الآية او عند استحضار واقعة بدر ، وهذا الشكر ذكر الله متجدد ومستديم .

قانون دعوة النبوة سلام

لابد من بداية وكيفية في تلقي النبي للوحي ، وهل هي من الكلبي المتواطئ الذي يكون على مرتبة واحدة أم من المتعدد والمشكك في ذاته وكيفيته .

الجواب هو الثاني ، فلكل نبي كيفية خاصة في بداية تلقيه النبوة والوحي ، ومعرفته بارتقائه الى مرتبة النبوة ، فقد أتى الله عز وجل عيسى عليه السلام النبوة وهو في المهد إذ نطق وهو في حجر أمه ،

(١) سورة الأنعام ١٦٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

وفي أول يوم لولادته ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١).

ولم يقل (ويجعلني) بصيغة المضارع ، ولم يرد لفظ (جعلني نبياً) في القرآن إلا في الآية أعلاه وبخصوص عيسى عليه السلام. وابتدأت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما بلغ الأربعين ، بالرؤيا الصالحة ، فلا يرى رؤيا إلا تحقق مصداقها بجلاء ، وبما يجعله يدرك أن موضوع هذه الرؤى أخص من الرؤيا الصادقة التي يراها شطر من الناس ، والمختار لا بد لكل إنسان من رؤية صالحة أو أكثر يراها في حياته ، سواء كان براً^(٢) أو فاجراً ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

والرؤية الصادقة صلة روحية بين الله عز وجل وبين الإنسان بصفة العبودية لله عز وجل لذا قدم عيسى في الآية أعلاه العبودية (إني عبد الله) لمنع الإفتتان به ، ولأن العبودية لله مقدمة على النبوة زماناً وموضوعاً ، فلا ينال أحد النبوة إلا بعد صدق العبودية لله عز وجل .

لذا كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد الرؤية الصادقة المتكررة يميل إلى الإنفراد عن الناس والتفكر في الخلق ،

(١) سورة مريم ٣٠.

(٢) البر - بفتح الباء - الإنسان الصالح والجمع أبرار.

والبر : الأرض اليابسة والجمع برور ، قال تعالى ﴿فِي ظُلُمَاتٍ أَلْوِيٍّ وَالْبُحْرِ﴾ سورة الإنعام ٩٧.

والبر - بضم الباء - حب القمح ، واحدته برة .

وَبَرَّ بولديه : أحسن إليهما.

(٣) سورة السجدة ٩.

والتدبر بما هو عليه من الشأن ، وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه أي يتعبد لبضع ليال ثم يعود إلى أهله ، وتلقاه خديجة وتعضده بتجهيزه وتزويده بالمتاع ولم تظهر عتاباً أو لوماً إلى أن نزل عليه الوحي.

و(عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً.

فقالت : معاذ الله ، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذاك ، فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث)^(١).

وعن سعد بن أبي وقاص (قال كان لعلي بيت في المسجد يتحنث فيه كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٢).

ونزل جبرئيل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٣) ، ليقراً النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون بالبسملة ، وهل تدل الآية أعلاه على أن البسملة جزء من السورة القرآنية ، الجواب نعم ، وتقديره : اقرأ كل سورة باسم ربك.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال (أول ما أنزل الله عز وجل من القرآن بمكة سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤) ، وأول ما أنزل بالمدينة سورة البقرة)^(٥).

وهو الوارد عن ابن عباس^(٦).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٧/١٤ .

(٢) ذخائر العقبى ١٠٢/١ .

(٣) سورة العلق ١ .

(٤) سورة العلق ١ .

(٥) البحار ١١/٩٠ .

(٦) الدر المنثور ٢٩٨/١٠ .

وقيل أول سورة أنزلت من القرآن هي سورة المدثر ، والمختار أنها سورة القلم.

لبداية الإسلام بالقراءة والعلم وحسن التوكل على الله وحينما نزل جبرئيل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١)، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أنا بقارئ أي أنا أُمي لا أقرأ ولا أكتب.

فهو لم يمتنع عن القراءة ولكن اخبر عن حاله فجاء الجواب من جبرئيل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢)، أي فان قراءتك القرآن مع الأمية معجزة لك ، وشاهد على صدق نبوتك ، وهو حرز وأمن لك.

و(عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل فقال : إن الله عليّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته . فخرجت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى دخلت عليه ، فأخبرته بقول أبي جهل . فخرج غضبان حتى جاء المسجد ، فعجل أن يدخل الباب فاقتحم الحائط . فقلت هذا يوم شرّ فاتزرت ثم تبعته ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٣)، فلما بلغ شأن أبي جهل ﴿كَلاَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٤)، قال إنسان لأبي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد .

(١) سورة العلق ١.

(٢) سورة العلق ١.

(٣) سورة العلق ١.

(٤) سورة العلق ٦.

فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى والله لقد سد أفق السماء عليّ ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر السورة سجداً^(١) . وكان أبو جهل يسمى أبا الحكم لرجحان عقله ، ولكن عندما تصدى للرسالة والتزيرل بالكذب ، وتمادى في السخرية والإستهزاء وايداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا جهل . ومن الشواهد عليه قيامه بقتل سمية بنت خياط بيده بالحربة لا لشيء إلا لأنها قالت لا إله إلا الله محمد رسول الله . وليس في صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد إيذاء لأحد ، وتذكرك قریش وغيرها من قبائل العرب أن البيت لم يبن إلا للصلاة والذكر والدعاء وقصد التقرب إلى الله عز وجل ، ورجاء رحمته .

ولا يختلف اثنان أن المسجد الحرام هو بيت الله ، ولم يرد في القرآن لفظ (بيت الله) إنما ورد لفظ (بيتي) ثلاث مرات ، اثنتين بخصوص البيت الحرام وهما :

الأولى : قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢) .

الثانية : قوله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٣) .

(١) الدر المنثور ١٠/٣٠٢ .

(٢) سورة البقرة ١٢٥ .

(٣) سورة الحج ٢٦ .

وجاءت الآية الثالثة بخصوص نوح عليه السلام كما ورد في التنزيل ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(١).

و(عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ وَغَيْرُهُمَا قَالُوا : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ مِنْ أَوَّلِ نُبُوَّتِهِ مُسْتَخْفِيًا ثُمَّ أَعْلَنَ فِي الرَّابِعَةِ)^(٢).

ولم يرفعوا الحديث ، وليس من دليل على هذا الإستخفاء .

ولقد أسلمت خديجة والإمام علي عليهما السلام في اليوم الثاني لنزول النبوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتوالى دخول الصحابة رجالاً ونساءً في الإسلام ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتنفع من الشهر الحرام ومجئ القبائل لأداء مناسك الحج . نعم كان يسأل الذي يفتحه بدخول الإسلام أن يكتم عليه خشية أذى قريش ، وازدادت دعوته للناس علانية كماً وكيفاً سنة بعد أخرى.

وهذه الدعوة من جهات :

الأولى : عند البيت الحرام ، فإذا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم شخصاً زائراً للبيت من خارج مكة جلس إلى جواره وأخبره بنبوته ، وتلا عليه آيات من القرآن ، ليرجع هذا الشخص إلى أهله بأثمن تحفة وهدية ويتلو عليهم ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وما فيه من البشارة والإنذار.

وهذا الرجوع من أسرار قلة كلمات آيات السور المكية ، وقصر هذه السور .

(١) سورة نوح ٢٨.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٣٨ .

الثانية : في أسواق مكة في موسم الحج ، إذ يتبع الحاج في منازلهم في سوق عكاظ ومجنة وذى المجاز .

ومن خصائص أسواق مكة في موسم الحج وفود القبائل لها من كل صوب لأداء الحج ولأنها في أشهر حرم تعطل فيها الخصومة والثأر والإقتال.

ومن الوثائق التاريخية إخبار بعضهم كيف أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سوق عكاظ يدعو الناس إلى كلمة التوحيد .

وأحياناً يستحضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المدينة بعد الهجرة أخبار الدعوة آنذاك فقد وفد قبيلة محارب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة عام حجة الوداع وهو أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان يدعو الناس أيام الموسم في مكة قبل الهجرة إلى الإسلام .

ويتألف الوفد من عشرة أشخاص يمثلون من وراءهم من قومهم ، وأعلنوا إسلامهم ، فأقاموا أياماً في المدينة وتولى بلال الإتيان بغدائهم وعشائهم إلى أن جلسوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الظهر إلى العصر ، فعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً منهم ، وأخذ يمدّ النظر إليه ، فقال الرجل (كأنك يا رسول الله تؤهمني) .

قال : لقد رأيته ، قال المحاربي : أي والله لقد رأيته وكلمتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " نعم .

ثم قال المحاربي : يا رسول الله ما كان في أصحابي أشدّ عليك يومئذٍ ولا أبعد عن الإسلام مني .

فَأَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي أَبْقَانِي حَتَّى صَدَقْتُ بِكَ وَلَقَدْ مَاتَ أَوْلَاؤُكَ
 النَّفَرُ الَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ عَلَى دِينِهِمْ .
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ يَبِيدُ
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .
 فَقَالَ الْمُحَارِبِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي مِنْ مُرَاجَعَتِي
 إِيَّاكَ^(١) .

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ
 مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْكُفْرِ " ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ)^(٢) .
 لبيان أن تلك المراجعة فرع الكفر ، ويتفضل الله عز وجل ويغفر
 ما كان من الكفر وتوابعه .

وأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التخفيف عن الناس ،
 فكل من آذاه ثم تاب وأصلح ولا يستطع الوصول إليه وسؤاله
 المغفرة فإن الله عز وجل يغفر له .

الثالثة : تنقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين منازل القبائل
 في منى أيام الحج ، وكان يسأل أين مسكن القبيلة الفلانية وتارة يرى
 مسكن فيقول مسكن أي قبيلة هذا ، فيذهب ويجلس عندهم .
 ويقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمور :

الأول : عرض الإسلام على القبائل .

الثاني : الدعوة إلى كلمة التوحيد .

الثالث : سؤال التصديق بنبوته .

الرابع : تجلي المعجزات التي تدل على صدق نبوته .

الخامس : تلاوة آيات من القرآن ، وهي من العجزات العقلية .

(١) زاد المعاد ٥٧٤/٣ .

(٢) زاد المعاد ٥٧٤/٣ .

السادس : سؤال إيواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قراهم ، وحمايته من بطش قريش ، ومنعه من المشركين أن يعتدوا عليه .

السابع : إتاحة الفرصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتبليغ رسالته ، فهو لا يريد إيواءه مع السكوت والقفود ، وقد عرضت عليه قريش المال والزوجات ، والملك ، ليكف عن الدعوة فأبى .

قانون القرآن دستور الحوار

قد وردت الإشارة إلى هذا القانون في الجزء التاسع عشر بعد المائتين ، وفي القرآن تتجلى أبهى معاني الحوار في تأريخ الإنسانية والكتب السماوية ، ويبدأ الحوار بين الله عز وجل والملائكة حين خلق آدم ، إذ أطلعهم الله عز وجل على أمره باتخاذ ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

ومن خصائص الملائكة طاعتهم المطلقة لله عز وجل وأنهم يبادرون إلى فعل ما يؤمرون به ، ومع هذا توجهوا بالسؤال إلى الله عز وجل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢).

ليبان حاجة الناس إلى رحمة الله ، فعلى فرض أن كلام الملائكة نوع استفهام انكاري فان الله عز وجل أرأف بالناس منهم.

كما تجدد العناية في القرآن بحوار الأنبياء مع قومهم ، وفيه شاهد بعدم استعمالهم القوة والشدة والغلظة في الدعوة إلى الله عز وجل ليكونوا أسوة للمسلمين في الصلوات فيما بينهم ، ومع الناس جميعاً ولزوم اتباع القوانين الوضعية المتبعة في الأمصار والبلدان المختلفة ، وهذا الإتيان من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ١٩٤.

(٢) الدر المنثور ٢٣٢.

(٣) سورة ن ٤.

وفي القرآن مدرسة وثقافة الحوار ، وليس من حصر للقوانين والمسائل المقتبسة من لغة الحوار في آيات وسور القرآن ، وهل يدخل في الحوار الجدال والإحتجاج والحجة والبشارة والإنذار الواردة في القرآن ، الجواب نعم .

واجتهد الأنبياء في تقديم البرهان والدليل لجذب الناس لمنازل الإيمان ولصرفهم عن المنكر والباطل ، ولمنعهم من إيذاء الأنبياء واتباعهم ، وفيه شاهد على حرمة الإرهاب لتنزه الأنبياء عنه لقوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبُهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(١) ، ودلالة تقوم دعوتهم بالحوار على الإستغناء عن الإرهاب ، وإدراكهم لقانون وهو أضرار الإرهاب كثيرة.

وهل هي أكثر من نفعه أم أنه خال من النفع ، الجواب هو الثاني.

فليس من نفع في الإرهاب لا على نحو القضية الشخصية ولا العامة ، ومن وجوه تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كثرة حوارهم مع الناس من غير أن يغضب أو يظهر على وجهه الضجر.

وكانت مدة نبوته ثلاثاً وعشرين سنة في كل يوم منها أمور مباركة كل فرد منها حرب على الإرهاب لأجيال المسلمين ودعوة نبوية للتنزه عنه ، منها :

الأول : الحوار .

الثاني : الإحتجاج والبرهان .

الثالث : تلاوة آيات القرآن ، قال تعالى ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(٢).

(١) سورة الأنعام ٩٠.

(٢) سورة المزمل ٤.

الرابع : إقامة صلاة الجماعة بالمسجد النبوي ، ومساجد المدينة بعد الهجرة النبوي خمس مرات في اليوم ، ومن الإعجاز إقامتها يومياً في المسجد النبوية عند غياب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتائب.

الخامس : محاربة الإرهاب ، وبيان قبحه وحرمة ولزوم الإمتناع عنه .

السادس : إبطال وإزالة الشبهات .

السابع : درء الفتنة .

ومن خصائص حوار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه طريق لدخول الناس للإسلام .

ومن رحمة الله عز وجل ومصاديق قوله تعالى ﴿وَكُنتَ فِظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَّقُوا مِنَّكَ حَوْلَكَ فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(١) ، أنه يحاور الذين كفروا ويدعوهم للإسلام.

ويشهرهم إن اختاروا الإيمان وينذرهم إذا أصرروا على البقاء على الكفر والظلم والتعدي .

والحوار طريق الوصول إلى الحق ، والإرشاد إلى الصواب ، وفضح الباطل والضلالة ، فجاء القرآن بالحوار لإثبات وحدانية الله ولزوم طاعته وتأكيد اليوم الآخر ، وعدم استثناء فرد واحد من الناس من الموت أو من الحساب الأخروي ، قال تعالى ﴿نَكَمِيتُ وَلَهُمْ مَبِيتُونَ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) سورة الزمر ٣٠.

ويحاور الله عز وجل الملائكة والأنبياء والمؤمنين والناس جميعاً ، كما يبين الحوار بين الأنبياء وأصحابهم ، وبينهم وبين الناس في نظم وسياق إعجازي بديع يبعث الشوق في النفوس على الإنصات له والتدبر في معانيه .

وهل يمكن القول بأن من إعجاز القرآن إقناع الطرف الآخر بالحوار ، الجواب نعم ، وفيه شواهد عديدة وهو دليل على وجوب نبذ الإرهاب .

قال تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(١).

وقد ورد لفظ (قل) في القرآن (٢٣٢) مرة كلها خطاب وأمر موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء أربعة ، وأكثر هذه الخطابات في باب الحوار والاحتجاج منها :

◆ قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢).

والنسبة بين إتباع الرسول وبين الإرهاب التضاد فمن يريد اتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويفوز بحب الله له فليحرص على اجتناب الإرهاب والإعانة عليه من قريب أو بعيد .

◆ قوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ

(١) سورة البقرة ٣٨-٣٩.

(٢) سورة آل عمران ٣١-٣٢.

الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ تَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾.

ومن إعجاز القرآن جعل اليوم الآخر وأهوال يوم القيامة حاضرة في الوجود الذهني ، وفيه صرف عن إيذاء الناس والإضرار بالممتلكات ، ومخالفة الأنظمة والقوانين ذات المصلحة العامة.

وقد يأتي الاحتجاج والحوار بلفظ (قل) من طرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده وعلى نحو متعدد كما في قوله تعالى ﴿قُلْ أَمْرٌ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢﴾.

فورد لفظ (قل) أربع مرات في هذه الآية ، لبيان تخلف المشركين عن الجدال والاحتجاج ولتأكيد نزول الاحتجاج من عند الله عز وجل على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليبقى ينبض بالحياة يخاطب الناس كل يوم إلى يوم القيامة ، وهو من أسرار تلاوة المسلمين والمسلمات لآيات القرآن على نحو الوجوب العيني في كل ركعة من الركعات السبعة عشرة اليومية ، لتكون هذه التلاوة زاجراً عن الإرهاب للقارئ والمستمع ، إذ يكون موضوع التفكير والتحقيق

(١) سورة الأنعام ١١-١٥.

(٢) سورة الأنعام ١٩.

هو التوحيد وأن السلاح للإقناع فيه هو الإحتجاج وليس البطش وآفة الإرهاب .

ولم يرد لفظ ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وهو من إعجاز القرآن ، وتقدير الآية (ومن بلغ إلى يوم القيامة) مما يدل على وصول آيات القرآن إلى الناس ، واتصال واستمرار التبليغ إلى يوم القيامة.

ويتجلى هذا المعنى في السنة النبوية أيضاً ، ففي معركة بدر ، وحينما رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جيوش قريش قد أقبلت للقتال بخيلاء وزهو وتحد ، رفع يديه وقال (اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلِهَا وَفَخْرِهَا ، تُحَادِّثُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَانصِرْكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمُ الْغَدَاةَ) ^(١) .

فقد واجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جمعة السلاح بالدعاء وحتى المشركين لجأ بعض رؤسائهم إلى الدعاء ، إذ استفتح أبو جهل يوم بدر لقتال (وَاسْتَفْتَحَ أَبُو جَهْلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَقْطِعْنَا لِلرَّحِمِ وَأَتَانَا بِمَا لَنَا نَعْرِفُهُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ اللَّهُمَّ أَيْنَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضِي عِنْدَكَ فَانصُرْهُ الْيَوْمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ } ^(٢) ^(٣) .

(١) السيرة / ابن هشام ٦٢١/١ .

(٢) سورة الأنفال ١٩ .

(٣) زاد المعاد ١٦٠/٣ .

وعندما ابتدأ القتال أخزى الله المشركين بهزيمتهم لبيان رد دعائهم ، وفي التنزيل ﴿قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١).

قانون احتجاجات القرآن فضح لقبح الإرهاب

يتقوم الحوار في القرآن بالاحتجاج ، والأصل في موضوع الإحتجاج هو التوحيد ، وفي علم الأصول تقسم أحكام الشريعة إلى أصول وفروع ، والمختار أن النسبة بين الحوار والاحتجاج هو العموم والخصوص المطلق ، فالحوار أعم .

والأصول المتفق عليها هي :

الأول : التوحيد .

الثاني : النبوة .

الثالث : المعاد .

ويضاف لها الإمامة ، وأصل الأصول هو التوحيد ، وتتفرع عنه النبوة والمعاد ، وفروع الدين كالصلاة والصيام والزكاة والحج والخمس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فجاءت لغة الحوار في القرآن مرآة لهذا الإحتجاج من جهات :

الأولى : احتجاج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : احتجاجات وجدال الأنبياء مع قومهم .

الثالثة : احتجاج وحوار الصالحين .

الرابعة : البشارة والإنذار على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر من عند الله (قل) كما تكرر خمس مرات في قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا

يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(١).

وبدأت خمس آيات متتاليات بالأمر (قل) وهي ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ
بِوَاحِدَةٍ أَنِ اقْنُوتُوا لِلَّهِ مَنًى وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٢)، والآيات الأربعة
التي بعدها لبيان أن الصراط المستقيم الذي يدعو إليه النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم هو أداء الصلاة جماعة وفرادى
والإستعداد للأخرة.

ومن الإعجاز أن كل مسلم ومسلمة يتلو سبع عشرة مرة في
اليوم ﴿أَمْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣)، لتكون هذه التلاوة وموضوعها
دعوة يومية متكررة للعصمة من الظلم والإرهاب.

ومن الحوار في القرآن ما كان بين موسى عليه السلام والخضر ،
وما رزقه الله من علم لدني ، حتى قال لموسى كليم الله ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾^(٤).

ومن خصائص لغة الحوار في القرآن السعي لطلب الحق ، والتنزه
عن المشاحنة والتعصب والحدة والمغالطة ، وتظهر فيها المساواة في
الجدال ، ولكن مساحة احتجاج النبي هي الأكثر ، فيقول النبي

(١) سورة الرعد ١٦.

(٢) سورة سبأ ٤٦.

(٣) سورة الفاتحة ٦.

(٤) سورة الكهف ٦٨.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين ﴿وَأَنَا أَوْيَاكُمْ لَعَلِّي هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

وهل هذا الكلام من الوحي أو أرقى منه ، الجواب هو الثاني.

الحوار لواء سلام وأمن

تدل على أولوية الإحتجاج والحوار في القرآن ومنافعه العظيمة أمور :

الأول : قانون حرمة الإرهاب .

الثاني : قانون الزجر عن الإرهاب .

الثالث : قانون إنتفاء النفع من الإرهاب .

الرابع : قانون التضاد بين الحوار والإرهاب .

الخامس : قانون الإرهاب خلاف سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء السابقين .

السادس : قانون خلو منهاج الصالحين من الإرهاب والعنف ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾^(٢) ، وهناك تناف بين عمل الصالحات والإرهاب فلا بد من الإنصراف عنه.

السابع : قانون لغة البشارة والإنذار من الحوار ، وهي واقية من الإرهاب .

الثامن : غاية الحوار في القرآن طلب الحق بالإستدلال والبرهان الحسي والعقلي ، وإذ يكون الإرهاب تنوء غريباً في جسد الإيمان فانه سرعان ما يزول.

(١) سورة سبأ ٢٤.

(٢) سورة العنكبوت ٩.

ولكن بعد أن يخلف أضراراً مما يستلزم الإجهاز عليه لتقليص هذه الأضرار ، ولبتر وقطع أيامه .

التاسع : لغة الحوار في القرآن فضح لقبح الإرهاب .

العاشر : خلو احتجاجات القرآن من إيذاء الخصم ، وهي دعوة

للإمتناع عن العنف والبطش ضد المشركين ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(١).

الحادي عشر : قانون كفاية الإحتجاج النبوي في تبليغ الناس وهدايتهم إلى سواء السبيل ، ونزول الأمر من الله عز وجل لمخاطبة الناس جميعاً ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٢).

الثاني عشر : قانون تقوم احتجاجات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر ، فحينما يقيم الحجة على الذين كفروا لا يلزمهم بالإيمان ، إنما يترك لهم اختيار سبيل الرشاد ، وفي التنزيل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَتَّخِذُونَ الْإِيمَانَ أَثَمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٣).

الثالث عشر : تلقي الأنبياء تكذيب قومهم بالصبر والإجتهد بالعبادة والذكر ، ليأتي الفرج والنصر من عند الله عز وجل ، قال

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة يونس ١٠٨.

(٣) سورة هود ٢.

تعالى ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا حَتَّىٰ أَنَا هُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

وتكرر تكذيب المشركين للرسل في آيات عديدة منها

الأولى : قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

الثانية : قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

الثالثة : قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣).

الرابعة : قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤).

الخامسة : قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥).

وجاءت آيتان بالجمع بين تكذيب أقوام في أحقاب متعددة ، قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَخْرَابُ﴾^(٦) ولم يكتف المشركون بتكذيب الأنبياء بل آذوهم وأصحابهم وسعوا في قتلهم .

ليتغير وجه التاريخ وتنسبط أسارير الأرض ، وتخرج بركاتها برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتخاذ المؤمنين الحوار ولغة البرهان سبيلاً للهداية مقروناً بالإقامة والمواظبة على أداء الفرائض العبادية كالصلاة والصيام والزكاة التي هي واقية ذاتية من الإرهاب .

(١) سورة الأنعام ٣٤.

(٢) سورة الشعراء ١٠٥.

(٣) سورة الشعراء ١٢٣.

(٤) سورة الشعراء ١٤١.

(٥) سورة الشعراء ١٦٠.

(٦) سورة ص ١٢-١٣.

وإذ تبعت لغة الحوار السكينة في النفوس وتجذبها إلى الهدى فان الإرهاب مادة للنفرة والبغضاء ، وقد يكون سبباً للإمتناع عن الحجة والبرهان لبيان أن أضرار الإرهاب أعم وأخطر من حال الواقعة. وهل لغة الحوار والإحتجاج بالبرهان من الصراط المستقيم ، الجواب نعم.

قانون خلافة الأرض منع من الإرهاب

يحتمل قوله تعالى ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، وجوهاً :

الأول : خلافة الإنسان في عمارة الأرض بتفويض ورخصة وإذن من عند الله عز وجل .

الثاني : خلافة الإنسان في ذات الأرض كما في قوله تعالى ﴿جَعَلَكُمْ خُلَافَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

الثالث : خلافة الناس بعضهم لبعض ، وكل قرن يقوم مقام القرن السابق ، ومضامين آيات القرآن أعم من جهات :
الأولى : وردت الآية أعلاه بصيغة المفرد ﴿خَلِيفَةً﴾ .

الثانية : ابتداء وجود الإنسان في الأرض بصفة الخليفة ، ولا يختلف اثنان بشمول آدم عليه السلام بصفة الخليفة ، وهو لم يخلف غيره من البشر ، إلا أن يقال خلف الناس الجن ، وخلفوا فصيلة اسمها النسناس .

الثالثة : يفسر القرآن بعضه بعضاً ، وقد وردت الخلافة بصيغة المفرد وبقيد النبوة بقوله تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنعام ١٦٥.

الرابعة : يبين قوله تعالى موضوع الخلافة بقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

فلم تكن خلافة الإنسان لله عز وجل ، إنما هو خليفة في الأرض أي يتصرف فيها تصرفاً محدوداً إلى أجل معلوم عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ قُلْتُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْإِبْغَةِ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وتستلزم صيغة الجمع ﴿خَلَائِفَ﴾ إرادة صيغة العموم الإستغراقي للناس جميعاً ، وهل فيه دلالة على كون كل إنسان ملزماً بالتنزه عن الإرهاب .

الجواب نعم ، فلا تختص حرمة الإرهاب بالفرد بل تشمل الناس جميعاً ، فمن خصائص الخليفة في الأرض أمور :

الأول : العناية بالأرض .

الثاني : عمارة الأرض بالتقوى شكراً لله عز وجل على مرتبة الخلافة .

الثالث : عدم إشاعة الفساد في الأرض ، هذا الفساد الذي حذر منه الملائكة يوم خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ، كما ورد في

(١) سورة ص ٢٦ .

(٢) سورة الأنعام ١٦٥ .

(٣) سورة الأعراف ١٨٧ .

التنزيل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ومن علم الله عز وجل التباين والتضاد بين خلافة الأرض وبين الإرهاب ، وتكون مسؤوليات الخلافة من الكلي الطبيعي الذي يقع على كل إنسان ، ومن يخالف ويرتكب الإرهاب وترهيب وإخافة الناس والإضرار بالنفوس والأموال يأتيه العقاب سريعاً من الله عز وجل ، وتدل عليه ذات الآية أعلاه بقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

وورد في آية أخرى ﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣) وفي الآية توطئة لتولي أهل الإيمان الخلافة والشأن في الأرض ، ولهم دولتهم فلا بد من التنزه عن إيذاء الناس ، فإن الله عز وجل لا يرضى بالإضرار بهم إنما جعل الله سبحانه الحياة الدنيا دار امتحان واختبار وابتلاء ، ليقف الناس للحساب يوم القيامة ، وعلى المؤمنين الصبر والتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء والمسألة .

والمضطر (المجهود، عن ابن عباس وقال السدي : المضطر الذي لا حول له ولا قوة)^(٤).

و(عن أبي سعيد الخدري قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة إلى مغير بن الشمس ، حفظها ونسيها من نسيها ،

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنعام ١٦٥.

(٣) سورة النمل ٦٢.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٢/١٠.

وأخبر ما هو كائن إلى يوم القيامة ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر
كيف تعملون .

ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء .

ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ، فمنهم من يولد مؤمناً
ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت
كافراً ، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ، ومنهم من
يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً .

ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم .

ألم تروا إلى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه؟

فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فليلزم بالأرض .

ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب ، سريع الفيء . وشر

الرجال من كان بطيء الفيء ، سريع الغضب .

فإذا كان الرجل سريع الغضب سريع الفيء فإنها بها ، وإذا كان

بطيء الغضب بطيء الفيء فإنها بها .

ألا وإن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر

التجار من كان سيء القضاء سيء الطلب .

فإذا كان الرجل حسن القضاء سيء الطلب فإنها بها ، وإذا كان

الرجل سيء القضاء حسن الطلب فإنها بها .

ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يقول بالحق إذا علمه .

ألا إن لكل غادر لواء بقدر غدوته يوم القيامة .

ألا وإن أكبر الغدر أمير العامة .

ألا وإن أفضل الجهاد من قال كلمة الحق عند سلطان جائر .

فلما كان عند مغرب الشمس قال : ألا إن ما بقي من الدنيا فيما مضى منه كمثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى^(١).

فذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإستخلاف بخصوص الدنيا ، والمعنى واحد مع الإستخلاف في الأرض .

ليكون من معاني خلافة الإنسان في الأرض الوعد من الله عز وجل بعدم مجئ جنس آخر معهم تكون له الخلافة فيها ، ويجعل الناس اتباعاً وخداماً مستضعفين له ، وتقدير الآية (اني جاعل في الأرض خليفة الى يوم القيامة) ليس هناك من يعمر الأرض ويتصرف فيها إلا الإنسان.

وهل تقدير ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) أي خليفة لي الأقرب لا ، فالخليفة يكون لمن لا يغيب ويبتعد ، والله عز وجل شاهد وحاضر غير غائب ، وهو الخليفة على الناس بلطفه ورحمته .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا ركب راحلته يكبر ثلاثاً ثم يقول (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ).

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ، وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى .

اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ .

وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ .

اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا ، وَاخْلُقْنَا فِي أَهْلِنَا .

(١) الدر المنثور ٢/٤٣٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ آيُونَ تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ . وَذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ^(١).

وهل يشترط أن يكون الخليفة في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)، لمخلوق عنده ، ويكون الخليفة نائباً عنه ، الجواب لا.

نعم قد يأتي معنى الخلافة بين الناس جيلاً بعد جيل ، أو أمة مؤمنة بعد أمة كافرة ، كما في قول موسى لقومه ﴿قَالُوا أَؤِثِّرُكُمْ بِقُبُلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) ليفيد معنى الخلافة الأمانة والوديعة والإمتحان ، ومنه تعاهد الخلافة بالتقوى ، ومن سنن التقوى العصمة من الإرهاب والظلم والتعدي .

بحث أخلاقي

تتعدد أسباب وجذور ظاهرة الإرهاب التي صارت ذات صبغة عالمية ، منها الفهم الديني المغلوط ، والميل إلى الانضمام إلى تجمع وتنظيم واسع ، وطاعة الزعيم ، والثأر والشعور بالتمييز ، واليأس من تحقيق الغايات الشخصية والقومية والطائفية بالطرق السائدة ، وقد يظهر أعضاء هذه التنظيمات أن أعمال العنف التي يرتكبون لها ما يبررها من دوافع أخلاقية ، ولكن القرآن والسنة يظهران خلافه ،

(١) زاد المعاد ٤٠٧/٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الأعراف ١٢٩.

ويؤكدان إنتفاء الأخلاق الحميدة في العمل الإرهابي ، ليكون القرآن مدرسة للمسلمين ولأجيال عامة الناس .

فهو الدستور الذي يحارب الإرهاب ويمنع منه ، وكل آية منه قانون في هذا الباب ، إلى جانب القوانين الوضعية التي تمنع من الإرهاب وتؤاخذ عليه منها مثلاً قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١) ، ومنها آيات الجدل والموعظة والحكمة ، وأوامر القرآن للمسلمين بالتحلي بالصبر ، وسنن التقوى والخشية من الله سبحانه .

ويدل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٢) على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى محاسن الأخلاق والعادات الحميدة بأفضل الطرق والكيفيات ، وبما يخلو من الإضرار بأحد من الناس .

وذاث أخلاق المسلم الحسنة دعوة للإيمان ، وبراءة من النفاق والإرهاب ، وكانت سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرآة للقرآن وما يأمر به من الأخلاق الكريمة ، ليتحلى المسلمون بالخلق الحميد من الحلم والعفو والصفح والجود ، ولين الجانب ، وتلقي الأذى بالصبر ، واتخاذ جلابباً ، ولينتزه المسلمون عن الغضب ، والغلظة ، والعنف ، والقسوة .

ومن الإعجاز في السنة النبوية كثرة النصوص التي تأمر بحسن الخلق ، وتندب المسلمين إليه ، وتبين الحاجة له منها ، عن (أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) ^(٣).

(١) سورة البقرة ٨٣.

(٢) سورة ن ٤.

(٣) الدر المنثور ٢/٤٢٦.

فجاء الأمر من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمخالفة الناس جميعاً بالأخلاق الحميدة ، وفيه نهى عن الغدر والغلبة والمباغطة بعمل إرهابي .

وعن ابن عباس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خياركم أحاسنكم أخلاقاً) ^(١).

أي أحسنكم أخلاقاً في البيت ، والعمل ، والسوق ومع الناس جميعاً ، والأخلاق الحميدة للمسلم من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٢).

(عن ابن عمر: قيل: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: "أحسنهم خلقاً".

وعن نوح بن عباد، عن ثابت، عن أنس مرفوعاً: "إن العبد ليلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة. وإنه ليلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد) ^(٣).

فلا يصح من الشاب الذي يتعاهد وظائفه العبادية من الصلاة والصوم ونحوها أن يلجأ إلى الإرهاب ، إنما يجب عليه تعاهد حسن الخلق مع الناس جميعاً ، ويجمع بينه وبين أداء الفرائض العبادية ، ولا يفرط بهذا الأداء بالإضرار بنفسه والناس في عمل إرهابي لا يؤدي إلا إلى الحنق والسخط من الناس والحكومات ، وهو لا يرضي الله عز وجل لأنه خلاف الأخلاق الحميدة .

(عن ابن مسعود في قوله : { أهم يقسمون رحمة ربك } ^(١) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن الله قسم

(١) الدر المنثور ٢/٤٢٦ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٢٤٤ .

بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ، ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الدين فقد أحبه (٢).

ومن خصائص المسلم حبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن هذا الحب الإقتداء به في سنته ، ومحاكاته عن أخلاقه الحميدة ، والإستضاءة بهديه ، وصبره على الأذى وأوامره إلى أصحابه باجتنباب التعدي والظلم ، ويجمع الإرهاب بمعناه الإصطلاحي في هذا الزمان بين كل من :

الأول : الظلم للذات .

الثاني : الظلم للغير .

الثالث : التعدي .

الرابع : العزوف والإبتعاد عن الأخلاق الحميدة .

ليكون من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عصمة المسلمين من الإرهاب ، وأن الذي يختارونه أفراد قلائل لا بد من نصحتهم وارشادهم ، وتأكيد قبح الإرهاب ، وأنه خلاف الأخلاق الحميدة التي دعا إليها الكتاب والسنة .

قانون ﴿لَتَعَارَفُوا﴾ لا للإرهاب

لقد خلق الله عز وجل آدم وحواء في الجنة ، ثم أمرهما بالهبوط إلى الأرض بعد الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عز وجل عن الأكل منها ، لبيان قانون من قوانين السماء ، وهو الذي يزل ويعصي الله عز وجل لا يبقى ساكناً في السماء ، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

(١) سورة الزخرف ٣٢.

(٢) الدر المنثور ٩/٩٥.

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ لبيان أن السكن في الجنة لا يكون إلا بأمر من عند الله، وليس إذناً وحده، وأن مخالفة أوامر الله في الجنة تجعل المخالف ظالماً، ولا يستحق البقاء في الجنة.

بينما تفضل الله عز وجل بحلمه وسعة رحمته بامهال الناس عند ارتكابهم المعاصي في الأرض.

وهل هو من أسرار الخلافة في الأرض وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

الجواب نعم، إذ كانت الملائكة تظن أن السكن في الأرض مثلما هو في السماء لا بد أن يكون خالياً من المعصية والذنوب، ولكن الله عز وجل أجابهم عن علمه بما سيفعل الناس، وذنوبهم، وأن عمر الإنسان قصير في الحياة الدنيا، ثم يقف بين يدي الله للحساب، وليشارك الملائكة في عذاب الذين كفروا والظالمين الذين ارتكبوا المعاصي.

وجاء التحذير المتعدد من عند الله عز وجل إلى آدم وحواء من إبليس وسوسته، مع بيان فضل الله عز وجل في تنعم آدم وحواء بالنعم غير المتناهية في الجنة، فازلهما وأغواهما إبليس ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وُرْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٣) ووردت كلمات في هذه الآية لم ترد في غيرها هي ﴿فَأَكَلَا، فَبَدَتْ، فَغَوَى﴾.

(١) سورة البقرة ٣٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة طه ١٢١.

لقد كان أكل آدم وحواء من تلك الشجرة سبباً لهبوطهما إلى الأرض وانتقالهما إليها ، واتخاذها سكناً قهراً وانطباعاً لذا يدل قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ^(١)﴾ ، بنسبة جعل الناس في الأرض إليه تعالى ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢)﴾ .

ولا يعلم أسرار تنصيب الله عز وجل للإنسان خليفة في الأرض ، وإكرامه بهذه المنزلة العظيمة ، وما يترشح عنها من النعم غير المتناهية إلا هو سبحانه .

ومن الإعجاز في المقام أن النعم في الزمان والجيل اللاحق أكثر منه في الزمان والجيل السابق ، ويتجلى هذا الأمر بالشواهد والوجدان لكل أهل الزمان، ويمكن استقراؤه تأريخياً مما يلزم الشكر لله عز وجل عليه ، وكما أن النعم التي جاءت للأجيال والأمم السابقة تبقى عند الأجيال والأمم اللاحقة ، فان مضامين الكتب المنزلة السابقة وردت في القرآن .

وجاءت شريعة الإسلام متكاملة ، جامعة مانعة ، جامعة للأحكام الشرعية ، مانعة من الريب والنقص أو التخلف عن مواجهة المسائل الإبتلائية ، قال تعالى ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ^(٣)﴾ ومنه مواجهة ظاهرة الإرهاب الإبتلائية ، وتجلي وضوح أحكام القرآن بحرمته ولزوم التعاون بين المسلمين والمسلمات واستئصاله والإمتناع عنه .

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٨٩.

وهو من بركات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهل هي أعظم من غيرها من النبوات السابقة ، الجواب نعم ، وتفضل الله عز وجل وختم بها النبوة ، لتبقى أحكامها مستقرة في الأرض ومتجددة في كل زمان ، قال تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^(١).

ومن إعجاز الآية أعلاه عدم ذكرها ختم وإنقطاع النبوة ، إنما ذكرت التبيين لبيان أن أحكام النبوة باقية في الأرض إلى يوم القيامة ، وهل من صلة بين الآية أعلاه وبين قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(٢) ، الجواب نعم .

فلم تنقطع النبوة من الأرض إلا بعد كمال الدين ، وهل منه سلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان ، الجواب نعم ، إذ أن قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَظَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُرْدِيَّةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى التُّصَبِّ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فُسْخُ الْيَوْمِ يَسِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) خطاب موجه إلى المسلمين والمسلمات في أجيالهم

(١) سورة الأحزاب ٤٠.

(٢) سورة المائدة ٣.

(٣) سورة المائدة ٣.

المتعاقبة لذا فهي معطوفة على نداء الإيمان في أول آية من سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ﴾^(١).

ولم يخبر الله عز وجل المسلمين بكمال الدين إلا بعد أن بين لهم بأس وعجز الذين كفروا من الإضرار بهم في دينهم ، ولزوم عدم الخشية أو الخوف منهم ، وفي ذكر الآية خصوص الدين معجزة وحجة فلم تقل الآية يئس الذين كفروا من دينكم ودنياكم ، نعم عدم الخشية منهم تشمل أمور الدين والدنيا . وجاءت آية بنهي المسلمين عن الخشية من الناس جميعاً ليشمل غير الكفار المشركين .

ولم يرد لفظ ﴿أَكَلْتُ﴾ ﴿أَتَمْتُ﴾ ﴿رَضِيتُ﴾ ﴿مُتَجَافٍ﴾ ﴿لِإِنِّم﴾ إلا في الآية أعلاه .

ومن معاني (لتعارفوا) يعرف بعضكم بعضاً ، وهذه المعرفة نوع مودة ورحمة ، ولا تختص بالتعارف الشخصي بل تشمل السنخية والملة والعبادات والترغيب بالإيمان ونوع العمل والمسكن . وهل يشمل الأسماء ، الجواب نعم ، ومعرفة اسم الصاحب مستحب .

ومن مفاهيم قوله تعالى ﴿لَتَعَارَفُوا﴾^(٢) ، وجوه :

الأول : لتعارفوا وليس لتختصموا أو تتقاتلوا .

الثاني : لتعارفوا فينفع بعضكم بعضاً ، وتنتشر الرأفة بينكم .

الثالث : ليقضي بعضكم حوائج بعض .

الرابع : كيلا يتخلف بعضكم عن إعانة غيره .

الخامس : لتعارفوا لا لتفاخروا بالإنسان .

(١) سورة المائدة ١ .

(٢) سورة الحجرات ١٣ .

السادس : لتعارفوا فيكرم العلماء والصالحون .
السابع : لتعارفوا بالتقوى والخشية من الله لذا قالت الآية ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾^(١).

الثامن : لتعارفوا وليس لإرهاب بعضهم بعضاً .
 واسم هذا القانون ﴿تَعَارَفُوا﴾ مقتبس من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ **إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ** **إِنْ** **اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**^(٢) ، لبيان معجزة في خلق الناس مع أنهم جميعاً من أب وأم واحدة ليتكاثروا على المودة وأنس بعضهم ببعض بقدرة الله عز وجل .

السفارة إلى المدينة سلام وأمن

لقد تمت بيعة العقبة الأولى والثانية بمبايعة طائفة من الأوس والخزرج للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والوعد بالذب عنه عندما يصل إليهم بفضل ولطف من عند الله ، وفيه حرب على إرهاب الدولة والرؤساء ، إذ أرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي معهم بعد بيعة العقبة لأمر :

الأول : تعليم الأنصار القرآن ، إذ كانت إقامتهم في مكة قليلة في أيام الحج ، وكانوا على حذر وحيطة يخشون قریشاً في الإتصال بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان عمر مصعب بن عمير يومئذ نحو خمس وثلاثين سنة ، ونزل عند أسعد بن زرارة ، ويسمى مصعب في المدينة يومئذ (المقرئ) .

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

الثاني : تفقه الأنصار في دين الله ومبادئ الإسلام .

وهل سفارة مصعب بن عمير من مصاديق آية النفر وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا تَقَرَّيْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١) الجواب نعم .

الثالث : تعليم الصلاة واتقانها ، وتعاهد أدائها ، وعن ابن إسحاق : كره الأنصار إمامة بعضهم لبعض للخلاف الشديد بين الأوس والخزرج^(٢) .

ولا موضوعية لهذا الكره ، ولم يثبت إنما كان الأنصار حديثي عهد بالإسلام ولم يصاحبوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أياماً وأسابيع ، ويحضروا صلاة الجماعة معه خمس مرات في اليوم ، ولم يحفظوا آيات وسور القرآن المكية فبعث معهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصعباً ليقوم الصلاة كما تلقاها من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، مع الوصايا الخاصة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمصعب في المقام .

وقد كان الأوس والخزرج قبل قدوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة يعدون العدة لتتصيب عبد الله بن أبي بن سلول ملكاً عليهم جميعاً .

لقد (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين .

(١) سورة التوبة ١٢٢.

(٢) أنظر ابن هشام / السيرة النبوية ٤٢٤/١.

وقد روى البيهقي عن ابن إسحاق قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم^(١).

ويفيد ذيل الخبر أعلاه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبعث مصعب بن عمير مع الأنصار حينما رجعوا من الحج ، وبيعة العقبة الأولى ، إنما كتبوا له بعدها ، وبه قال موسى بن عقبة .

الرابع : مفاتحة وجهاء وعامة أهل المدينة بالإسلام ، فكان مصعب بن عمير يذهب إلى مجالسهم ويوتهم ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ومن معاني وفوائد إقامة مصعب بن عمير عند أسعد بن زرارة أنه كان يأخذ مصعباً ليطوف به في متديات ومجالس الأوس والخزرج ، ويفاتحهم وعامة الناس بدخول الإسلام ، مما لاقى في بداية الأمر الممانعة من رؤسائهم ، ولكن الله عز وجل ألان قلوبهم وجعلهم يصغون لتلاوته القرآن، وقلوب الناس بيد الله عز وجل (عن النواس بن سمعان سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الميزان بيد الرحمن . يرفع أقواماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة ، وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن . إذا شاء أقامه ، وإذا شاء أزاغه ، وكان يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)^(٢).

وكان مصعب بن عمير يواصل مجالسة الذين أسلموا ، يلتقي معهم في الصلاة ، ويخططون لجهده وجهاده في المدينة على نحو سلمي ومن غير إكراه للناس في دخول الإسلام ، إنما هو البيان وتلاوة آيات القرآن التي تتضمن البشارة والإنذار ، وفي طريقهما إلى دور بني عبد الأشهل ، دخل أسعد بن زرارة بمصعب بن عمير

(١) السيرة النبوية / ابن كثير ٢/ ١٨٠.

(٢) الدر المنثور ٢/ ٢٨٧.

بستاناً لبني ظفر ، فاجتمع إليهما رجال ممن أسلموا إذ يتعذر عليهم المواظبة على حضور صلاة الجماعة لأعمالهم في الزراعة والكسب ، فيأتيهم مصعب بن عمير إلى محل عملهم مما يدل على عمله الدؤوب في سبيل الله ، وهل كان يسعى للتوطئة لهجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقدمه على أمة مسلمة كثيرة العدد ، الجواب نعم .

فبلغ خبر قدوم أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ ، وكان هو وأسيد بن حضير سيدي بني عبد الأشهل ، وهما يومئذ على دين قومهم من الضلالة .

وكان أسعد بن زرارة ابن خالة سعد بن معاذ فامتنع عن إيذائه وزجره ، ولكنه سارع إلى أسيد بن حضير ليحرضه عليهما ، وقال له (لَا أَبَا لَكَ ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارِنَا لِيُسَفِّهَا ضَعْفَاءَنَا ، فَازْجِرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارِنَا ، فَإِنَّهُ لَوَلَّا أَنْ أَسْعِدَ بَنَ زُرَّارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ كَفَيْتَكَ ذَلِكَ هُوَ ابْنُ خَالَتِي ، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدِّمًا) ^(١).

فاستشاط أسيد غضباً ، وتناول حربته وتوجه لهما للبطش بهما ، وبقي أسيد بن زرارة مع قومه جلوساً ينتظرون أنباء غزوة أسيد على عزل من السلاح .

ولكن أسعد بن زرارة لم يخف منه حينما رآه قادماً نحوهما وبالشر ، بل جعل قدومه فرصة ومناسبة لمفاتحته بالإسلام ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتح رؤساء قريش ، حيث وجد منهم العتو والعناد والاستكبار ، والإقامة على الشرك ، لأن في الإسلام تقيداً بسنن التوحيد والمساواة بين الناس ، ونبذ الشرك وعبادة الأصنام والإرهاب ، وحرمة الربا والزنا، والفواحش ، قال

تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وعندما رأى أسعد ابن حضير قادمًا فحسبهما قال لمصعب هذا سيد قومه فاصدق الله فيه ، أراد أن يبذل الوسع في عرض الإسلام عليه وأقناعه .

وحينما رأى مصعب هيئة أسيد في قدومه غاضباً قال : إن يجلس أكلمه أي أن البيان والإقناع يلزم منه الصبر قليلاً والإنصات ، فوقف أسيد عليهما وشمتهما ، وقال انكما تسفهان ضعفاءنا ، وهددهما بالقتل إن لم يبتعدوا عن دور بني عبد الأشهل ، إذ قال (اعْتَزِلْنَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ)^(٢).

فلم يردا الشتيمة بمثلا ، إنما عرض عليه مصعب أن يجلس ويحدثه ، فان قبل حديثه وإلا فانهما يستجيبان لأمره ويتعدان عن دور بني عبد الأشهل .

قال أسيد : أنصفت ، ثم ركز حربته في الأرض ، وجلس إليهما ليستمع لآيات ومعجزات من الدين الجديد الذي دخل المدينة بعد أن شاع أمره في مكة وعند القبائل ومدن الجزيرة ، وهو من أسرار دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى التوحيد والإسلام في موسم الحج وبلوغ هذه الدعوة إلى القرى والمدن ، كما قال تعالى ﴿تُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف ٣٣.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٢٥/١.

(٣) سورة الشورى ٧.

فذكر له مصعب كيف أن الله عز وجل اختار النبي محمداً ليكون خاتم النبيين وأنزل عليه كلاماً يفوق كلام البشر ، هو القرآن ، الذي تشهد آياته مجتمعة ومتفرقة على صدق نبوته في بلاغتها ومضامينها وموضوعها وأحكامها ودلالاتها ، وأن الله عز وجل يظهر دينه ، وينصر رسله ، وأن الوحي مصاحب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا يغرنك جحود قريش فقد عميت بصائرهم وأبصارهم وهم إلى هلاك فستتأصل عبادة الأوثان من الجزيرة وغيرها ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن طائفة من المسلمين هاجروا إلى الحبشة وهم بأحسن حال يؤدون الصلاة .

وقد امتنع النجاشي عن إعادتهم مع وفد قريش الذي طالب بعودتهم إلى مكة كالأسرى ، والنجاشي من النصاري ولولا أنه رأى الصدق في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإسلام أصحابه لما أبقاهم في بلاده يتلون القرآن ويؤدون الصلاة .

ثم تلا مصعب آيات من السور المكية على أسيد الذي كانت علامات وجهه تتغير وأسايره تنبسط لتدل على الرضا والقبول ، وقال أسعد بن زرارة ومصعب فيما بعد .

(وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ)^(١) .

وهو من فيوضات القرآن ، ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن جعل عند أصحابه ثروة في الدعوة إلى الله ، تبعث الإنسان على سرعة الإيمان والهدى ، قال تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٣٥/١ .

تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١﴾.

لم يصبر أسيد على العناد إنما قال : (مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ
وَأَجْمَلَهُ) ﴿٢﴾.

وهو يعلم أن قومه بانتظاره وهم يتبعونه في إختياره ، ثم قال :
كيف يصنع الذي يريد أن يدخل هذا الدين .
قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تنطق بكلمة التوحيد
والتسليم بالنبوة ثم تصلي ، فبادر إلى التطهر وعلماة كيفية الصلاة
فصلى ، لبيان أن كيفية دخول الناس الإسلام معجزة ولطف وهداية
من عند الله عز وجل ، سواء كانت بمقدمات وتدرجياً أو على نحو
دفعي ، ومن غير أن يزاول الصحابة إرهاباً أو تخويفاً أو قهراً ، بل
كانوا مستضعفين حين دخول أسيد الإسلام إذ جاء لهما وهو شاهر
حربته ، متوعداً لهما منذراً من العودة إلى دورهم .

ثم جاءهما سعد بن زرارة وهو كبير بني عبد الأشهل متوعداً
وطلباً منه الجلوس والإستماع ليستجيب لهما بذات الكيفية ويرجع
إلى قومه ويعلن أنه لا يكلمهم رجالاً ونساءً حتى يدخلوا الإسلام
ليتغشى أهل المدينة ، إلا عدداً من البيوت لبيان فضل الله عز وجل
على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شيوع الإسلام من غير
عنف أو تخويف أو إرهاب .

وليكون مقدمة لقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة
ويقيم فيها بسلام ، وقد أثنى الله عز وجل على أهلها ، قال تعالى

(١) سورة الزمر ٢٣.

(٢) ابن هشام/السيرة النبوية ٤٣٥/١.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١).

لتقام صلاة الجماعة والجمعة بأمان في المدينة لأول مرة في الإسلام ، وكانت تصلى في بيت اسعد بن زرارة ، وكان عددهم أربعين رجلاً ، إذ ورد (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ كُنْتُ قَائِدَ أَبِي ، كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، حِينَ ذَهَبَ بِصَرِّهِ فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ بِهِ إِلَى الْجُمُعَةِ فَسَمِعَ الْأَذَانَ بِهَا صَلَّى عَلَى أَبِي أَمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ . قَالَ فَمَكَثْتُ حِينًا عَلَى ذَلِكَ لَا يَسْمَعُ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ . قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا بِي لَعَجَزَ أَلَا أَسْأَلُهُ مَا لَهُ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّى عَلَى أَبِي أَمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ .

قَالَ فَخَرَجْتُ بِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ كَمَا كُنْتُ أَخْرُجُ فَلَمَّا سَمِعَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ .
فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ مَا لَكَ إِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّيْتُ عَلَى أَبِي أَمَامَةَ .

فَقَالَ أَيُّ بَنِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ بِنَا بِالْمَدِينَةِ فِي هَزْمِ النَّبِيِّ ، مِنْ حَرَّةِ بَنِي بَيَاضَةَ ، يُقَالُ لَهُ نَقِيعُ الْخَضَمَاتِ ، قَالَ قُلْتُ : وَكَمْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ ؟ قَالَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا^(٢) .

فهم يؤدون الصلاة من غير خشية إرهاب واضطهاد بينما قد لا يجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ في مكة أربعون من أهل البيت والصحابة في صلاة جمعة أو جماعة واحدة لبيان شدة

(١) سورة الأنفال ٧٤.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٣٥/١.

أذى وإرهاب قريش وقيام الحجة عليهم ، مع أن المسلمين يومئذ أكثر من مائتين وكثير منهم يخفون إسلامهم .

ومنهم من يخرج إلى بطحاء مكة ليصلوا ويقرأوا القرآن ويتدارسوا فيه ، ويشد بعضهم أزر بعض ، هذا عدا الذين هاجروا إلى الحبشة في الهجرة الأولى ثم الثانية وعددهم اثنان وثمانون رجلاً وثمانى عشرة امرأة.

ليبان قبح إرهاب قريش للمسلمين ، وعدم إضرارهم بالإسلام لانتشاره في بلدة أخرى وقرى متعددة وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

إكرام الله للإنسان تأديب له

لقد أكرم الله عز وجل الناس بخلق آدم وحواء وسكنهما في الجنة برهة من الزمن ثم هبوطهما إلى الأرض بعناية ولطف من عند الله ، وينحصر تحقق هذا الهبوط بقدررة الله عز وجل ، ولا يستطيع إنسان أن يهبط إلا الأرض بسلام إلا بمشيئة وأمر من الله عز وجل .

وهل قام الملائكة باعانة آدم وحواء في هذا الهبوط ، الجواب نعم ، ويستقرأ من إعانة جبرئيل وميكائيل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الإسراء انتقالاً إلى بيت المقدس بركوب البراق ثم العروج إلى السماء والهبوط منها ، ونسبة موضوع الإسراء جملة وتفصيلاً لله عز وجل ، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ

لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾.

وتوجه الأمر من الله عز وجل إلا آدم وحواء ﴿أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا...﴾ (٢).

ولا يقدر على تكاثر الناس وانتشارهم في الأرض إلا الله بلطف خاص وقد حدث قتل بين الأخوين قاييل وهابيل ابني آدم فلم يمنع من هذا التكاثر .

ومن الإعجاز أنه لم تفرس الحيوانات هابيل مع حداثة سكنهم الأرض ، إنما قتله أخوه .

ولو تعرض آدم للقتل أو الموت قبل الإنجاب لما كانت البشرية شعوباً وقبائل ، ولكن الله أمد في عمره ليعيش تسعمائة وستين سنة ، بعد أن منح أربعين سنة من عمره إلى النبي داود ، إذ عرضت عليه ذريته في عالم الذر ، وكان الأنبياء بين عامة النسم كالسرج المنيرة .

ورأى آدم عليه السلام داود فاعجبته هيئته فسأل عنه (من هذا؟ فقيل : نبي من ذريتك) (٣).

فقال آدم : كم عمرك ؟

فقيل ستون سنة ، قال آدم (رب زده ، قال جرى القلم بآجال بني آدم) (٤).

(١) سورة الإسراء ١.

(٢) سورة طه ١٢٣.

(٣) المحرر الوجيز ١٢٢/٢.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٤٧٤/٥.

وكان آدم عليه السلام يعلم أن عمره ألف سنة ، فتبرع بأربعين منها لداود كي يتم مائة عام فاضيفت إلى عمر داود ، ولما أكمل آدم تسعمائة وستين سنة جاءه ملك الموت ليقبض روحه ، فاحتج آدم ببقاء أربعين سنة من عمره ، فرجع ملك الموت إلى الله عز وجل ينتظر الجواب ، فاجابه الله بأن آدم اعطاها لابنه داود فجحد آدم ، وقبض ملك الموت روحه .

ولو لم يهب آدم من عمره أربعين سنة لداود والناس في عالم الذر ، واجتهد له بالدعاء فيما بعد سواء وهو في الجنة أو عند هبوطه إلى الأرض وتؤمن له حواء فهل يبلغ مائة عامة من غير أن ينقص من عمر آدم ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَسْأَلُ اللَّهَ الْمَآيَئَةَ وَيُثَبِّتُ وَعْدَهُ أُمَّ الْكِتَابِ﴾^(١) ، ولأن الدعاء سلاح الأنبياء .

ومن اللطف الإلهي أهلية آدم وحواء للإنجاب وكثرته فلم يكن أحدهما عقيماً ، وقد أخبر القرآن عن عقم سارة زوج إبراهيم لولا فضل الله بولادتها لإسحاق وعمرها تسعون سنة.

وعن عقم زوجة النبي زكريا لولا استجابة الله لدعاء زكريا فولدت يحيى عن كبر ، وقتل الناس يحيى عليه السلام ، قال تعالى في الثناء عليه ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

وعن أبي أمامة قال (قال رسول الله : أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة ، وأمنت الملائكة : رجل جعله الله ذكراً فأنت نفسه وتشبه بالنساء ، وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال ،

(١) سورة الرعد ٣٩.

(٢) سورة آل عمران ٣٩.

والذي يضل الأعمى ، ورجل حصور ، ولم يجعل الله حصوراً إلا يحيى بن زكريا^(١).

وعن (جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض)^(٢).

وتكاثر الناس ثم تقسيمهم إلى شعوب وقبائل معجزة ونعمة لا يقدر عليها إلا الله عز وجل .

والنسبة بين الشعوب والقبائل هو العموم والخصوص المطلق ، فالشعوب أعم ، وبعد القبائل مراتب أدنى منها ، وهي العشائر والعمائر والفصائل والأفخاذ ، وقول آخر أن الشعوب العجم والقبائل العرب ، ثم ذكر الله عز وجل علة هذا التقسيم وهو التعارف ، لأن اللام في ﴿تَعَارَفُوا﴾ لام التعليل .

وابتدأت الآية بالخطاب والنداء إلى الناس جميعاً لبيان لزوم الألفة والمواذعة بينهم ، وإجتنب الإرهاب والإقتال ، فهم جميعاً إخوة من أبوين وان ابتعد النسب .

فان قلت قد قتل ابن آدم الصليبي أخاه ، فكيف بمن بعد به النسب بآلاف الأحفاد والمتعاقبين ، والجواب إنما يكون هذا القتل والظلم موعظة لبني آدم من أجل إجتنابه ، كما أن القرآن نزل لإصلاح الناس بالإمتناع عن الفساد والقتل والإرهاب ، لذا ذكرت الآية قانوناً وهو **أكرم** الناس هم الأتقياء .

ومن معاني التقوى في المقام التنزه عن سفك الدماء عن الفساد ، والتخريب .

(١) الدر المنثور ٢/٣١٩ .

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٤/٢٥٩ .

(عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
كلكم بنو آدم. وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم،
أو ليكونن أهون على الله من الجعلان^(١))^(٢).

ومع سمو نسب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو من
ذرية إبراهيم عليه السلام ، وتعرف العرب منزلة بني هاشم وعامة
قريش ، وزادهم الله رفعة بجوار البيت الحرام ، وتوليته والعناية
بوفد الحاج ، فهو ينهى عن التفاخر بالأنساب ، ويبين ضرره ، وأن
الناس يلتقون بالنسب المتحد ، وهو أن آدم أبوهم جميعاً ، وفيه
حرب على الإرهاب ، ومانع من تنامي الأحقاد والعداوات .

ومن الإعجاز اجتماع القرآن والسنة في التذكير بوحدة النسب
بين الناس جميعاً ، العربي والأوربي والفارسي والهندي والصيني
وغيرهم لمنع التعدي والإرهاب والظلم.

ولم يكن عند آدم إلا زوجة واحدة ، وفيها الكفاية **وكون**
الضرورة في الإنجاب وإصلاح الذات والذرية لأموال الدين والدنيا.

وإذا لم يكن التفاخر بالإنساب لوحدة الموضوع في تنقيح المناط
فكل الناس من ظهر واحد ، فهل يصح التفاخر بأن أبا وأم البشر
أقاما في الجنة مع الملائكة ، فترة وجيزة ، الجواب نعم.

وهو موضوع وحكم يزجر عن الإرهاب ، ويمنع منه لأن السكن
في الجنة سلام وأمن ، وعهد للناس بوجوب التراحم فيما بينهم .

وأن أصل آدم من الطين ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّعْرُونٌ﴾^(٣).

(١) الجعلان : جمع جعل دوية صغيرة كالخنفساء تكثر في الأماكن والندبة وترفع بأنفها
بأنفها النتن .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٨٧/٧ .

(٣) سورة الأنعام ٢ .

ولم تقل الآية أعلاه أن الله خلق آدم وحده من الطين بل جعلت خلق الناس جميعاً من الطين للحاجة إلى **التدلل** والتطامن والخضوع لله عز وجل.

وترك العتو والفتك **من** أجل أظهر التواضع بين الناس ، والإمتناع عن العنف والتطرف والإرهاب ، وابتداء الآية بالنداء العام الإستغراقي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ دعوة للألفة الإنسانية والإيثار ونبذ العنف والأنانية .

ثم ذكرت الآية الأخوة العامة للناس بأن يجتمعوا بالإلتقاء النسبي من أبوين.

فتجد أبناء القبيلة يتعاهدون نسبهم ، ويتصلون بالقبائل القريبة منهم في النسب ، ويلتقون معهم بالجد ، فيقولون أفراد القبيلة الفلانية **أبناء** عمنا ، فأرتقت آية البحث لأسمى من علم الأنساب والتعارف بين الناس ، فقال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾^(١) لطرده الحمية والعصية ، ولمنع الإرهاب بسبب الدين والملة والوطن والقومية .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على التحلي بالأخلاق الحميدة مع الناس جميعاً ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

و(عن ابن عمر قال: طاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة على ناقته القَصْوَاءِ يستلم الأركان بمحجن في يده، فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل صلى الله عليه وآله وسلم على أيدي الرجال، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت.

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة ن ٤.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبهم على راحلته، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: "يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها.

فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله. إن الله يقول {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ^(١) ثم قال: "أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم" ^(٢).

قانون المعجزات العامة

من بديع صنع الله عز وجل والمعجزات ما هو عام يتغشى الناس جميعاً ، ويبين قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ..﴾ ^(٣) ، قانون المعجزات العام للناس جميعاً أو لأمة أو طائفة منهم ، وهي غير معجزات الأنبياء ، ولا بأس بدراسات خاصة عن المعجزات في حياة الناس العامة والخاصة ، وكل معجزة منها تزجر عن الإرهاب والظلم ، وهي من اللامحدود منها :

الأولى : خلق الله لأدم وحواء في الجنة .

الثانية : نفخ الله عز وجل من روحه في آدم .

الثالثة : سجود الملائكة لأدم عند بعث الروح فيه ، قال تعالى

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ^(٤).

الرابعة : عدم مؤاخذه الله عز وجل لأدم وحواء **بالعقوبة** عند

أكلهما من الشجرة التي نهاهما من التقرب إليها ، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٨٧/٧.

(٣) سورة الحجرات ١٣.

(٤) سورة الحجر ٢٩.

يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

ولم يرد لفظ ﴿تَكُونَا مِنَ﴾ إلا في هذه الآية وآية أخرى مشابهة ومتحدة في الموضوع معها وهي الآية التاسعة عشرة من سورة الأعراف .

الخامسة : هبوط آدم وحواء بمعجزة من عند الله ، وفازت حواء بالمعجزة مع أنها ليست نبية ، وهل نالت معجزة الهبوط بالتبعية لآدم كما ورد في التنزيل ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) الجواب لا ، إنما نالت حواء معجزة الهبوط لها بالذات وبعرض واحد مع آدم ، لذا **ورد في التنزيل** ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَنَسُ اتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٣) .

والمراد من ألف الاثنين آدم وحواء ، وهو المشهور ، وهو ملحق بقوله تعالى ﴿فَاكُلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ (٤) وقيل آدم وإبليس ولكن مضمون ذات الآية أعلاه وإمكان التوبة بتلقي الهدى مانع من اشتراك **إبليس** بالخطاب فيها .

(١) سورة البقرة ٣٥ .

(٢) سورة البقرة ٣٥ .

(٣) سورة طه ١٢٣ .

(٤) سورة طه ١٢١ .

وجاءت آية أخرى تدل على شموله بالهبوط كما في قوله تعالى ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(١).

السادسة : معجزة أصل مليارات الناس جميعاً من أب وأم واحدة ، وإن انتفاء العقم عند آدم حواء معجزة أخرى ، وسلامتهما لحين كثرة الأولاد ، وعدم إضرار قتل قابيل لأخيه هابيل بالتكاثر بين الناس معجزات متعددة بمشيئة من الله ، ويدل قوله تعالى ﴿أَوْ يُزَوِّجَهُمْ ذُرِّيَّتَنَا وَنَاثَا وَيَجْعَلَ مِنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٢)، على أن أهلية الإنسان ذكراً أو أنثى للإنجاب بفضل ولطف من الله عز وجل .

السابعة : استقرار النفرة في نفوس الناس من الإرهاب .
فلا يأتي يوم على أهل الأرض وتجدهم يرضون بالإرهاب أو يميلون إليه ، وهو من الإعجاز في تعاهد الله عز وجل للكيفية النفسانية للبشر .

الثامنة : من المعجزات من عند الله سوء عاقبة الظالمين ، ولحوق الضرر والخزي بهم ، وفيه تحذير وإنذار من الظلم بشعبه وأقسامه ومفاهيمه وتعدد جهة صدوره فهو قبيح سواء صدر من الفرد أو الجماعة ، ومن الرئيس أو المرؤوس ، ومن المسلم والكتابي والمشرک .

التاسعة : غاية خلق الناس وهي العبادة معجزة ، وكذا تحقق مصداقها ، ففي كل زمان ومن أيام أبينا آدم لا بد من وجود أمة تعبد الله عز وجل ، وتمثل لأوامره ، وتجتنب ما نهى عنه .

(١) سورة البقرة ٣٦.

(٢) سورة الشورى ٥٠.

فلا تختص العبادة في المقام بأداء الفرائض ، لذا قال تعالى ﴿وَلَنْتُكُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) فان قلت لم يرد ذكر الفرائض العبادية في الآية أعلاه .

والجواب نعم مذكورة وتتجلى بلغة الخطاب الموجه في أول الآية إلى المسلمين والمسلمات ، إذ أن الآية معطوفة على الآية التي تبدأ ببناء الإيمان ، وهي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

العاشرة : معجزة نزول الغيث وأوانه ومحل نزوله ، وأحياء الأرض ، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) لبيان ترشح المعجزة عن الأخرى ، ومن أسرار الحياة الدنيا ، وخلافة الإنسان **تابع** المعجزات وتفرع بعضها عن بعض .

الحادية عشرة : المعجزات الخاصة بالأفراد والجماعات في الأرزاق والأقوات ، والصحة ، والآجال ، قال تعالى ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بُنَيْنٍ يَتْلِيهِ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران ١٠٢.

(٣) سورة فصلت ٣٩.

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾.

الثانية عشرة : تقسيم الناس إلى شعوب وقبائل وانشطار كل منها مع تقدم الأيام ، ومن الإعجاز وبيان مصداق لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)،^(٣) أن هذا التقسيم بأمر من عند الله سبحانه .

الثالثة عشرة : بيان القرآن لعلّة تقسيم الله الناس إلى شعوب وقبائل بأنه التعارف والتوادم والمواحدة .

وهذا التعارف من المعجزات العامة أي التي تتغشى الناس جميعاً أو طائفة منهم ، ومنها فضل الله عز وجل على المسلمين ، وعلى أهل الكتاب.

ومنها نزل الغيث من السماء وانتفاع البر والفاجر منه ، والزراعات والأنعام وغيرها ، قال تعالى ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسَيْتُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٤) **وكل فرد من هذه المعجزات دعوة للمسلم وغير المسلم للصالح والإستقامة ، والإمتناع عن الإرهاب .**

إرهاب قريش للنبي (ص) وأصحابه

(١) سورة الرعد ١١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

(٣) أنظر الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة المؤمنون ٢١.

قد تقدمت الإشارة إلى هذا الباب في الجزء السادس والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر .

ولم تعهد العرب قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجود مسجد في مدن وقرى الجزيرة غير المسجد الحرام الذي في مكة ، والذي قاموا بمحو صورة المسجدية عنه على نحو السالبة الجزئية بنصب الأوثان في الكعبة وخارجها ، وصاروا يتزلفون إليها ، وكل قبيلة لها صنم أو أصنام خاصة مع وجود أصنام عامة .

فبعث الله عز وجل النبي محمداً رحمة بهم ليقم الصلاة بمفرده في المسجد الحرام ، صلاة خالصة لله عز وجل ، وبكيفية لم تعهدها العرب من القيام والركوع والسجود ، وتلاوة آيات القرآن ، وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية ، والدعوة الفعلية إلى الله عز وجل .

لقد قام إبراهيم عليه السلام بكسر الأصنام ، قال تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهِنَّا إِنَّهُ لِمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

وأنقذه الله عز وجل من النار التي القوه فيها بمعجزة حسية عظيمة ، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٢﴾ .

ومع هذه المعجزة فلم يستجب الناس إلى إبراهيم في رسالته ، فالتجأ إلى مكة ليرفع قواعد البيت الحرام توطئة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته في المسجد الحرام .

(١) سورة الأنبياء ٥٨-٥٩ .

(٢) سورة الأنبياء ٦٩ .

ولم يَقم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في البداية بتكسير الأصنام ، إذ أمره الله عز وجل بالصبر ، قال تعالى ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١).

وكان يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام خديجة زوجته ، والإمام علي عليه السلام ، لبيان نواة العالم الإسلامي ، وبدايات الإجهاز على الأصنام .

وكان هناك الصحابة يصلون خفية في شعب مكة وفي البيوت ، ويدب نبأهم إلى قريش ويتداولونه في دار الندوة ليستشيطوا غضباً وحنقاً ، فتصدر منهم أفعال قاسية في تعذيب الصحابة وملاحقتهم داخل مكة وفي أطرافها ، والصد عن سبيل الله .

وهل صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام سعي لهدم وتكسير الأصنام ، الجواب نعم ، وهي رسالة عقائدية وعقلية وحسية إلى الناس ببطلان عبادة الأوثان ، ولزوم التنزه عنها ، ومقدمة لهدمها وتكسيورها إلى الأبد ، وأدرك رؤساء الشرك هذه الحقيقة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يسعون بالإجتهد الفعلي والفقاهة إلى التغيير النوعي في المجتمعات نحو سنن التوحيد خاصة وأن آيات القرآن تترى في نزولها .

وهل يمكن القول بأن كل آية قرآنية هي حرب على الأصنام وعبادتها ، الجواب نعم ، وهي بشارة إزاحة واستئصال الأصنام من الأرض ، وينطبق عليه قانون عدم إجتماع الضدين ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة اليومية لتقطع وإلى الأبد عبادة الأوثان والطواغيت .

واشتد أذى كفار قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه ثم أدركوا أن الحصار الاقتصادي الذي فرضوه على بني هاشم ، وقتل بعض الصحابة وإيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشخصه وجسده، والتمادي في السخرية منه ، ونعته بالسحر والجنون لم يزد الناس إلا إدراكاً لصدق نبوته فعزموا على **قتله** بجوار البيت الحرام ، وكان إبراهيم عليه السلام قد استعد لليلة الإغتيال هذه بالدعاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم **قبل ولادته بنحو ألفي عام** بأدعية عامة لمكة وأهلها ، ومنها ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

وأدعية لذريته ومنهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٢). ومن الإعجاز اشتراك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالدعاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣).

وعندما عينت قريش ليلة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه نزل جبرئيل في ذات الليلة ليأمره بالهجرة مما يدل على أن الهجرة تمت بسرعة وعلى نحو طارئ من غير أن يستعد لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن مثل هذا الاستعداد ينفعه

(١) سورة البقرة ١٢٦.

(٢) سورة إبراهيم ٤٠.

(٣) سورة البقرة ١٢٩.

، فقد يكون سبباً لإجهاز قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أي ساعة من النهار أو الليل.

ليبيت الإمام علي عليه السلام في فراشه ليلة الهجرة المباركة لإيهام قريش ، وكأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجود غير مسافر ، وليؤد الإمام علي عليه السلام إلى الناس أماناتهم التي عند النبي ، إذ كان يعرف بالأمين ، ويودع الناس **أموالهم** عنده حتى الكفار ، فيحفظ ودائعهم، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾^(١).

(عن أبي مسيرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً .
فقلت : معاذ الله .

ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذاك .

فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث)^(٢).

وأبو مسيرة من التابعين ، ولم يرفع الحديث خاصة وأن فيه قولاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (خشيت أمراً) ، بينما من خصائص الوحي أن الله عز وجل يجعل النبي يدرك أن ما يأتيه وحي من عند الله سبحانه .

ولعله في المقدمات أحياناً لا تتضح الصورة ، فيثبت الله قلب النبي ويؤهله لتلقي الوحي بالقبول والعمل .

وفي حديث عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما نزل عليه جبرئيل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٣) قال النبي

(١) سورة النساء ٥٨.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٥٧/١٤.

صلى الله عليه وآله وسلم (فَقَرَأْتُ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرْتُهَا خَبْرِي.

فَقَالَتْ: أَبْشِرْ، فَوَالله لَا يَخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَوَالله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي، فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرِي.

فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لِيَتَّبِعِي فِيهَا جَذَعٌ، لِيَتَّبِعِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

قُلْتُ: أَوْ مُخْرَجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ لَمْ يَجِئْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتُ بِهِ، إِلَّا عَوْدِي، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ (اقْرَأْ) ﴿١﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا

يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ * وَإِنَّكَ لَأَجْرًا غَيْرُ مَمْنُونٍ

* وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَبِّحْ رُبَّكَ بِحَمْدِهِ * وَبِأَيِّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ

فَانْذِرْ ﴿٢﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾ * وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ﴿٤﴾ ﴿٥﴾.

لقد تمادى كفار قريش بمسالك الإرهاب في المقام من جهات:

الأولى: نصب الأصنام في البيت الحرام، وإرهاب الناس لعدم التعرض لها، وللتوسل بها، والتزلف إليها، مع أن العرب جميعاً يدركون أن البيت الحرام محل عبادة خالص لله عز وجل وحده.

(١) سورة العلق ١.

(٢) سورة ن ١-٥.

(٣) سورة المدثر ١-٢.

(٤) سورة الضحى ١-٢.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٥٢٠.

الثانية: معاداة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنعه من تبليغ رسالته .

الثالثة : الإفتراء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع الإعراض عن بلاغاته والآيات التي يتلوها عليهم ، قال تعالى ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ* ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾^(١) أي يعلمه بشر سعيًا من المشركين لصد الناس عن القرآن والتدبر في نزوله من عند الله .

ومجنون أي مختلط في أمره لا يعي ما يقول .

الرابعة : إرهاب قريش لبني هاشم ، وفرض حصار اقتصادي عليهم ، مؤمنهم وكافرهم ، لأنهم اصطفوا إلى جانب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأبوا أن يسلموه إلى المشركين ، ولا عبرة بالقليل النادر والشاذ كأبي لهب الذي كان يؤازر المشركين في إيذائهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يترك الله عز وجل أمره إنما نزلت سورة كاملة في ذمه وزوجته ، قال تعالى ﴿كَتَبْتُ يَدَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ* سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ* فِي يَدِهَا حِجْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(٢) .

ومن الإعجاز الغيري لهذه السورة منع الناس من الإفتتان بتكذيب ومحاربة أبي لهب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو عمه صنو أبيه ، كما جعلت السورة أبا لهب منشغلاً بنفسه مع إنصراف رجال قريش عنه لما لحقه من الخزي بنزول هذه السورة ، وخشيتهم أن تنزل آيات تذكرهم بأسمائهم بعد أن أدركوا أن الذين

(١) سورة الدخان ١٣-١٤.

(٢) سورة المسد ١-٥.

يفدون إلى مكة من رجال القبائل وأهل المدن يعودون إلى أهلهم
بآيات القرآن ، وما فيها من البشارة والإنذار ، والوعد والوعيد .
وهل وصلت آيات القرآن إلى الشام واليمن متجر قريش قبل
الهجرة ، الجواب نعم.

الخامسة : إرهاب قريش للصحابة الذين دخلوا الإسلام
بايذائهم وضربهم والتعدي عليهم ، ولو كانت يومها تفجيرات
عشوائية هل تستعمل قريش هذا السلاح ضد المسلمين الذين
يجتمعون للصلاة جماعة ، الأقرب نعم بتسخير بعض غلمانهم
وعبيدهم .

ولو دار الأمر في تلقي شدة الأذى من وجوه :

الأول : الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : إيذاء الأفراد والجماعات من الصحابة ذكوراً وأنثاء .

الثالث : أذى الصحابة الأوائل مجتمعين حتى اضطر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم للإشارة على طائفة منهم بالهجرة إلى الحبشة .
المختار هو الأول باستثناء الشهداء الذين ماتوا تحت التعذيب
مثل سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر .

السادسة : إرهاب قريش لعمار المسجد الحرام بتحذيرهم
وإنذارهم من الجلوس إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
والإستماع له .

السابعة : مزاولة قريش لسلطانهم في المال والجاء لمنع الناس من
دخول الإسلام ، وهو من أشد ضروب الإرهاب .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) ونصرة الله عز وجل لأنبيائه ذهاب إرهاب قريش

هباء ، وعدم ترتب الأثر عليه ، وهكذا بالنسبة لكل إرهاب ، فانه
نتوء وعرض زائل .

لقد كان كفار قريش أئمة الإرهاب والدعاة إليه ، ولم يكتفوا
بايذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإرادة قتله في فراشه ، بل
جهزوا الجيوش لقتاله في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، ولم
يعلموا أن الله عز وجل أبى أن يستمر الإرهاب فلا بد أن يقطعه ،
ويفضح ويخزي أهله ورواده ، قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

هجرة الحبشة إعراض عن إرهاب قريش

في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية كانت هجرة نفر من الصحابة إلى الحبشة بعد أن أذتهم قريش في انفسهم وأبدانهم ودينهم ، أي أن هجرتهم قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بثمان سنوات ، وأعقبها هجرة طائفة أخرى إلى الحبشة ، لبيان أن إرهاب المشركين للمسلمين سبب بهجرة طائفة منهم ، وهو شاهد على التأريخ بأن الإسلام ضد للإرهاب ، وأن المسلمين يتحملون الأذى ، ويمتنعون عن رد الإرهاب بإرهاب مواز مثله أو أقل أو أعلى منه درجة .

ومن عناد وإصرار قريش على الإرهاب داخل مكة وخارجها بعثهم وفداً برئاسة عمرو بن العاص إلى الحبشة يحملون الهدايا الجزيلة إلى النجاشي ملك الحبشة ، وبطارقته وحاشيته ، من أجل أن يسلم لهم المسلمين المهاجرين .

فرفض النجاشي طلبهم بعد أن استمع لبعض آيات القرآن من جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، لبيان الإعجاز الغيري للقرآن ، وحسن سمت النجاشي وملوك النصارى إلى هذا الزمان بعدم طرد المسلمين من بلدانهم مما يلزم مقابله بالشكر والتنزه عن الإرهاب مع الشكر والحمد لله عز وجل الذي له ملك السموات والأرض ، قال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

وقد ثبت في علم الأصول أن شكر المنعم واجب ، وحينما رد النجاشي وفد قريش خائبين إزداد أذاهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفرضوا على بني هاشم الحصار في شعب أبي طالب

لثلاث سنين ، وهو من أشد ضروب الإرهاب النفسي والإقتصادي والإجتماعي ، إذ حرموا مبايعتهم والتزواج معهم .

وكان عمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم انتهى الحصار تسعاً وأربعين سنة ، وبعده بأشهر مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة .

وهل أدركت قريش قرب موت أبي طالب ففكت الحصار خشية الهياج العام عليهم ، وتحميلهم تبعات موت أبي طالب الذي له مكانة كبيرة بين أهل مكة والقبائل العربية خصوصاً تلك التي لها حلف مع بني هاشم مثل قبيلة خزاعة .

الجواب نعم ، خاصة وأن هذا الحصار ضد ومخالف لأصول وقواعد حرمة البيت الحرام وجواره ، والأشهر الحرم وتعطيل العداوات فيها ، وفي التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(١) فعبدت قريش الأصنام وأشاعوا الفساد وأرهبوا وأخافوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه .

وجاء حكاية عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التنزيل ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

وتحتمل هجرة طائفة من الصحابة إلى الحبشة وجوهاً :
الأول : إنها برأي واقتراح من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة إبراهيم ٣٥.

(٢) سورة النمل ٩١.

الثاني : مبادرة من الصحابة المهاجرين أنفسهم عندما علموا أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يواجه إرهاب قريش بالتحدي والمثل .

الثالث : إنها بالوحي من عند الله عز وجل .
والصحيح هو الأخير ، فلم تكن هذه الهجرة إلا بأمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أوانها ، وتعيين الجهة التي يتوجهون إليها وهي الحبشة وأسبابها ، وهو ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

إذ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لطائفة من أصحابه (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ)^(٢).

وهل يقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالملك النجاشي مطلقاً ، أم خصوص ملك الحبشة آنذاك وهو اصمحة بن أبجر ومعناه عطية ، المختار هو الثاني .

إذ أن النجاشي اسم للذي يتولى الحكم في الحبشة مثل هرقل ملك الروم ، وكسرى اسم لمن يلي ملك فارس أيا كان اسمه الشخصي وخاقان اسم لملك الترك ، وبطليموس اسم لملك اليونان .
نعم أضاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرض صدق ، لأن أهلها من النصارى ، وقال تعالى ﴿وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا

(١) سورة النجم ٣-٤ .

(٢) ابن هشام/السيرة ١/٣٢١ .

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾

والذي يفر من مستنقع الإرهاب لا يلجأ إليه وإن تقادمت الأيام.

قانون إزاحة الأصنام بالبعثة

تقدمت الإشارة إلى هذا القانون في الجزء السادس والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر ، إذ لم تعهد العرب ببناء المساجد ، ولكنهم يقرون بالمسجد الحرام ، وهو سور الموجبة الكلية الجامع للعرب في صلتهم بالله عز وجل ، فيفرون إليه في موسم الحج وغيره ، واتخذت قريش جواره وتولية أموره للجاء والشأن بين العرب وخارج الجزيرة لينزل القرآن بفضحهم ونفي ولايتهم للبيت ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فقد كانت الروم والفرس والحبشة يعلمون بأنهم مجاوروا وأولياء البيت الذي تعظمه العرب ، وكان عند الروم والحبشة الكنائس ، وعند الفرس بيت النار.

فتعظيم موضع مخصوص ليس أمراً ينفرد به العرب ، ولكن إكرام البيت الحرام والوفادة إليه أمر من عند الله عز وجل ، قال سبحانه ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣).

ثم طرأت ظاهرة عبادة العرب للأوثان واتخاذها زلفة ووسيلة للتقرب إلى الله عز وجل ، حتى نصبوا عدداً منها في البيت الحرام ،

(١) سورة المائدة ٨٢.

(٢) سورة الأنفال ٣٤.

(٣) سورة آل عمران ٩٦.

وكان لكل قبيلة صنم في البيت ، إلى جانب الأصنام العامة فيه ، فكان الصنم (هبل) في جوف الكعبة ، وهو مصنوع من العقيق الأحمر ، وبهيئة إنسان ، ومكسورة يده اليمنى ، فجعلت له قریش يداً من ذهب .

وعندما ضرب عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقداح بين الإبل وولده عبد الله وفاء منه بنذر إلى أن خرجت القداح على الإبل **فنحرت**.

لينزل القرآن بقبح إتخاذ الأصنام ، وعدم تقدير النذور إليها ، بل حض القرآن على إجتناّب كثرة اليمين بالله ، وعلى حث اليمين مع وجود الراجح في ضدها مثل صلة الرحم ، وفعل الإحسان والبر والصلاح والإصلاح ، قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)(٢).

وكانت للعرب أصنام عديدة منتشرة في القرى والمدن والطرق العامة فمثلاً يقع الصنم مناة على ساحل البحر بقديد بين مكة والمدينة ، **ويعظمه** وينذر له الأوس والخزرج والذين يسكنون بين مكة والمدينة ، ويذبحون له.

ومنهم من أطلق اسم (عبد مناة) أو زيد مناة على ابنه . وبقيت هذه الأسماء في أنساب العرب وبطون الكتب الى هذا الزمان فيقال بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وزيد مناة بن تميم ، وعبد العزى بن قصي بن كلاب ، واسم أبي لهب عبد العزى (٣).

(١) سورة البقرة ٢٢٤.

(٢) انظر الجزء الأربعين من هذا السفر الذي تضمن تفسير هذه الآية.

(٣) انظر ابن هشام / السير النبوية ١١٠/١ .

وفيه دليل على ثبوت اتخاذهم الشرك سبيلاً ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(١) ، ورحم الله عز وجل الناس برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإيقاظ الناس من براثن الجاهلية والشرك.

وقد ذكر الله عز وجل مناة بقوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾^(٢) ، أي يا أيها الذين كفروا إدعاءكم أن اللات والعزى ومناة بنات الله لا أصل له وكيف أنه قسمة جائزة لتوثيق حال الجاهلية عند العرب قبل الإسلام ، وحاجة الناس لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

والعزى من أعظم الأصنام عند قريش ، وهي ثلاث شجرات سمرات بوادي نخلة وكانوا يزورنها ، ويهدون إليها ، مع أن جوار البيت الحرام نعمة عظمى وحجة عليهم ، وفيه غنى ونهي عن شد الرحال للأوثان .

وصنم (اللات) صخرة مربعة في الطائف **وأصله** رجل من ثقيف في الجاهلية كان يجلس على تلك الصخرة ، وكانت له غنم فيأخذ من لبن ومن زبيب الطائف ، ويصنع حيساً ويطعم الذين يمرون عليه.

وعن مجاهد (فلما مات عبده وقالوا : هو اللات ، وكان يقرأ اللات مشددة .

(١) سورة النساء ٤٨.

(٢) سورة النجم ١٩/٢٢.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : كان اللات يلت السويق على الحاج فلا يشرب منه أحداً إلا سمن فعبدوه.

وأخرج الفاكهي عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي : إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً^(١).

(كان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك. وكانوا قد بنوا عليها بناءً. وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات)^(٢).

ومناة صنم لهذيل وخزاعة ويعبدها أهل مكة ، وصنم العزى لسليم وغطفان وخنعم.

(و)عن ابن عباس قال: دخلت فاطمةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال : ما يبكيك يا بُنية .

قالت: يا أبت ، وما لي لا أبكي، وهؤلاء الملاء من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك.

فقال : يا بنية، اثنتي بوضوء". فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج إلى المسجد. فلما رأوه قالوا: إنما هو ذا فطأ طؤوا رؤوسهم، وسقطت أذقانهم بين أيديهم، فلم يرفعوا أبصارهم.

فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال : شأهت الوجوه . فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصياته إلا قُتل يوم بدر كافراً^(٣).

(١) الدر المنثور ٩/ ٣٢٣ .

(٢) انظر كتاب الأصنام لابن الكلبي ٢/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥ .

وكان أساف ونائلة وهبل لأهل مكة .
وأساف بهيئة الرجل على جبل الصفا قبال الحجر الأسود ،
وصنم نائلة قبال الركن اليماني .

و(عن ابن عباس إسافاً ونائلة رجل من جرهم يقال له إساف بن
يعلى ، ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها في أرض اليمن
فأقبلوا حجاجاً ، فدخلوا الكعبة ، فوجدا غفلةً من الناس وخلوة في
البيت ، ففجر بها في البيت ، فمسخا . فأصبحوا فوجدهما مسخين .
فأخرجوهما فوضعهما موضعهما . فعبدتهم خزاعة وقريش ، ومن
حج البيت بعد من العرب)^(١) .

لقد تعاضم أمر الأصنام ، وصار العرب يهلّون إليها ، ويطوفون
حولها ، ويقدمون لها النذور وينحرون عندها ، ويتسابقون للفوز
في تقديسها وجعلوا لها سدنة وحجاباً ، واختصت بعض القبائل
بهذه السدانة والحجابة ، ولو استمرت الحال لاقتلت العرب فيما
بينها على الأصنام وبسببها .

فمثلاً كان سدنة العُزّى بنخلة بني شيان من سليم حلفاء بني
هاشم ، وعند فتح مكة بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالد
بن الوليد لهدمها ، فجاء إليها وقطع الشجرات السمرات وهدم
البيت الذي عليها .

(وكانت ذو الخَلَصَة لدّوس وخثعم وبَجِيلَة ، ومن كان ببلادهم
من العرب بِتَبَالَة .

وكان يقال لها: الكعبة اليمانية ، وللكعبة التي بمكة الكعبة
الشامية .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله
البجلي فهدمه .

(١) ابن الكلبي / الأصنام ١/١ .

قال: وكانت فلس لطيف ولن يليها بجبلي طيئ من سلمى وأجا.
قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه، واصطفى منه سيفين: الرسوب والمخذم، فنقله أيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهما سيفا علي^(١).

واتخذ العرب في بيوتهم ومتدياتهم أصناماً للبركة وطلب الأمن ، والتوسل بالقريب ، فجاء القرآن بإخبارهم بأن الله عز وجل أقرب لكل إنسان ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمَ مَا تُوَسُّوْنَ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢).

ومنهم من سمى صنمه الخاص باسم أحد الأصنام المشهورة ، والمعظمة من قبل قومه .

فمثلاً كان عمرو بن الجموح وهو من سادات بني سلمة من الحزرج يتخذ صنماً من خشب في بيته واسمه (مناة) (كما كانت الاشراف يصنعون، يتخذة إلها يعظمه ويظهره)^(٣).

وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة وبايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ ، وحينما رجع أصحاب العقبة إلى المدينة أظهروا الإسلام وصاروا يتلون القرآن علانية وهو من المعجزات الغيرية لنبو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فينما تحارب وتؤدي قريش الذي يتلو القرآن من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة صار القرآن في ذات الوقت يتلى علانية في المدينة يشرب وأقاموا الصلاة وفيها اليهود من بني قريظة والنضير وقينقاع ، وفيها الكفار والمشركون .

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٧/٧ .

(٢) سورة ق ١٦ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٢٠٧/٢ .

وقد أرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيعة العقبة الثانية مصعب بن عمير سفيراً ويعلمهم القرآن وكيفية أداء الصلاة .

وأيهما أكثر أهمية تعلم الصلاة أم تعاهد أوانها ، الجواب هو الثاني ، لذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على أداء الصلاة جماعة خمس مرات في اليوم ، وسيأتي مزيد بيان .

حديث (أنتم الطلقاء)

من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه حين أظهره الله عز وجل على المشركين عفا عنهم ، ولم ينتقم منهم مع شدة أذاهم له ولأهل المدينة وأصحابه ، وقرب هذا الأذى والقرح والجروح لم تندمل بعد .

فمعركة أحد وسقوط سبعين شهيداً من الصحابة فيها وقعت في السنة الثالثة للهجرة ، ومعركة الخندق وحصارهم للمدينة لأكثر من عشرين ليلة وقعت في السنة الخامسة للهجرة ، أما فتح مكة وتمكين الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين فكان في السنة الثامنة للهجرة أي بعد ثلاث سنوات من غزو المشركين المدينة في معركة الخندق .

و(عن ابن عباس قال : أخذ النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} بعضادتي الباب يوم فتح مكة وقد لاذ الناس بالبيت ، وقال : الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال : ما تظنون؟

قالوا : نظنّ خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت ، قال : وأنا أقول كما قال أخي يوسف : (لا تثريب عليكم اليوم)

(١)(١).

أما قول (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وفسر بعضهم كصاحب الكشاف بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعتق أهل مكة فلم يثبت هذا العتق لأنهم لم يقعدوا في الأسر ، ولأن أكثر أهل مكة حينما دخلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثامنة كانوا مسلمين وصاروا بعد صلح الحديبية يظهرهم إسلامهم ، وإذا ورد لفظ (لا تثريب عليكم اليوم) .

عن ابن عباس والذي لم يذكر أنتم الطلقاء ، إنما ورد عن ابن إسحاق وعلى نحو الإرسال وطول مدته إذ قال : (فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ .

فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسَقَايَةَ الْحَاجِّ أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَا شَبَهُ الْعَمْدَ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُغْلَظَةٌ مِثَّةً مِنَ الْإِبِلِ أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظَّمَهَا بِالْأَبَاءِ النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ { الْآيَةُ كُلُّهَا .

ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ ؟
قَالُوا : خَيْرًا ، أَخُ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . قَالَ أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ
الطَّلَاقُ (٣) .

(١) الثعلبي/الكشف والبيان ٢٣٢/٧ .

(٢) سورة الحجرات ١٣ .

(٣) ابن هشام/السيرة ٤١١/٢ .

وابن إسحاق بن يسار ولد سنة (٨٠) للهجرة وتوفى سنة (١٥٠) للهجرة (٦٩٩-٧٦٨) م .

ولد في المدينة ، وتوفى في بغداد في خدمة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (٩٥-١٥٨) للهجرة ويلقب إبن إسحاق بالمدني والقرشي والمطلبي وهو مولاهم مولى لقيس بن مخزومة بن عبد المطلب بن عبد مناف .

وروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وعن الزهري وعطاء ومكحول وعن أبيه ، ويلقب صاحب المغازي (وثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى) ^(١).

و(قال ياقوت: " أخطأ في كثير من النسب الذي أورده في كتابه) ^(٢).

قال البيهقي بن مروان(سمعت أبا مسهر يقول : سمعت شيخاً من قریش أثق به يقول: سأل المهدي ابن ثلاثة : لم رددت شهادة محمد بن إسحاق بن يسار؟

قال: لأنه كان لا يرى جمعة ولا جماعة .

فلقيت عبد الله بن يعقوب فقال : سمعته من أبي مسهر، فسألت أصحاب محمد بن إسحاق، فقالوا : كان يروي حديث علي بن أبي طالب : لا جمعة إلا في مصر مع إمام عادل) ^(٣).

قال أحمد بن حنبل : هو حسن الحديث .

(وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق وأكثر ما عيب به التدليس مات سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة) ^(١).

(١) طبقات الحفاظ ١/١٣.

(٢) بكر أبو زيد/طبقات النسابين ١/٥٠.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٥/٤٥١.

والأرجح في قوله (بعض أهل العلم) أنه شخص واحد من أهل العلم ، ولم يثبت هذا الحديث ، وقال الزمخشري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء " ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة ، وكانوا له فيئاً ، فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ، ثم بايعوه على الإسلام)^(٢) .

وليس من حرب وأسر في معركة إنما كانوا داخل البيت الحرام ، وقال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٣) .

وقد أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمان لأهل مكة قبل أن يدخلها .

وروي (عن صفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبي نصر قالوا: ذكرنا له الكوفة وما وضع عليها من الخراج وما سار فيها أهل بيته فقال: من أسلم طوعاً تركت أرضه في يده وأخذ منه العشر فيما سقت السماء والأنهار، ونصف العشر فيما كان نادراً فيما عمروه منها، وما لم يعمره منها أخذه الإمام فقبل ممن يعمره وكان للمسلمين وعلى المتقبلين في حصصهم العشر ونصف العشر وليس في أقل من خمسة أوساق شئ من الزكاة، وما أخذ بالسيف فذلك إلى الإمام يقبله بالذي يراه كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر قبل سوادها وبياضها، يعني أرضها ونخلها والناس يقولون : لا تصلح قبالة الأرض والنخل .

وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر، وعلى المتقبلين سوى قبالة الأرض العشر ونصف العشر في حصصهم، وقال : ان

(١) طبقات الحفاظ ١/١٣٠ .

(٢) الكشف ٧/٣٣٣ .

(٣) سورة البقرة ١٢٥ .

اهل الطائف أسلموا وجعلوا عليهم العشر ونصف العشر، وان أهل مكة لما دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله عنوة وكانوا اسراء في يده فاعتقهم وقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء^(١) ذكرنا له أي الإمام الرضا عليه السلام .

وقد وردت الرواية ذاتها في نفس الصفحة والكتاب عن محمد بن أبي نصر من غير ذكر أهل مكة وأنتم الطلقاء ، إذ قال (ذكرت لأبي الحسن الرضا عليه السلام الخراج وما سار به أهل بيته .

فقال : العشر ونصف العشر على من اسلم تطوعا تركت ارضه في يده وأخذ منه العشر ونصف العشر فيما عمر منها، وما لم يعمر منها أخذه الوالي فقبله ممن يعمره وكان للمسلمين .

وليس فيما كان أقل من خمسة اوساق شئ، وما أخذ بالسيف فذلك للامام يقبله بالذي يرى كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله بنخبر قبل ارضها ونخلها والناس يقولون لا تصلح قبالة الارض والنخل إذا كان البياض اكثر من السواد.

وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر وعليهم في حصصهم العشر ونصف العشر^(٢) وعلى فرض أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أنتم الطلقاء فلا يعني أنهم طلقاء من الأسر ، إنما صاروا عتقاء من الشرك ومنحهم حرية الحركة والضرب في الأرض ، وعدم الخشية من أحد وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على سلامة كل إنسان من الإرهاب ويعطي إشارة لأصحابه بعدم جواز التعرض لأحد من أهل مكة أو غيرهم ، وأنه ليس من ثأر أو إنتقام ، فالإسلام عدو الإرهاب وهو الدين الذي أزاحه من الأرض .

(١) تهذيب الأحكام ١٠٣/٥ .

(٢) تهذيب الأحكام ١٢٧/١ .

تصديق حكماء العرب بنبوة محمد "ص"

لقد كانت أمارات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتجلى للناس على نحو دفعي وتدرجي ، وكان يسمى قبل النبوة (الصادق الأمين) .

لتكون هذه التسمية والشواهد المتكررة التي تدل عليها من صدق الحديث والتجارة وحفظ الأمانة ، مقدمة لتصديق الناس برسائله ، والإمتناع عن إيذائه وإرهاب وتخويف أصحابه .

وحينما شاع نبأ نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال بعض حكماء العرب إن الله عز وجل سيظهره وحضوا قومهم على إتباعه في بدايات بعثته ليكون لهم الفخر والرياسة مستقبلاً ، ومنهم رجال قريش وبعض حكماء العرب منهم أكثم بن صيفي التميمي وهو من أشهر حكماء وسادات العرب ، ومن المعمرين .

وكان فارساً شجاعاً ، يتقاضى عنده العرب ، له مراسلات مع عدد من الملوك ، اشتهر بخطبه وبلاغته ، وكان من ضمن الوفد الذي قدم على كسرى لما استنقص الفرس من شأن العرب ، فخطب بحضرة كسرى فابهره بفصاحته وحكمته .

وعندما بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أراد أكثم بن صيفي التوجه إليه والإستماع منه ، والتصديق برسائله فأبى قومه أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن أكثم بالحكمة والشعر والأدب والشجاعة .

(وقالوا: أنت كبيرنا، لم تكن لتخف إليه) (١).

فاستجاب أكثم لقومه وأمر بارسال وفد إلى المدينة للقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتألف الوفد من ابنه ، ورجلين من قومه

، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا : نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك : من أنت ؟ وما أنت ؟

وهو سؤال تتجلى الحكمة والبلاغة بين ثناياه ليرى الإجابة ودلالاتها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله ، وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسوله" : ثم تلا عليهم هذه الآية: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (١) (٢).

ليبان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي قراءته آيات مناسبة وملائمة لكل مجلس وشأن .

وتدعو هذه الآية إلى كل من :

الأول : ذم عبادة الأوثان والزجر عنها .

الثاني : حرمة الإرهاب .

الثالث : لزوم العدل والإنصاف .

الرابع : وصل ذوي القربى .

الخامس : الوعيد على البقاء على الشرك والضلالة .

السادس : التضاد بين الحكمة والكفر ، فالذي يختار الحكمة

ويتحلى بها مثل أكثم بن صيفي يجب أن يبادر إلى الإيمان ولا يبقى على الشرك ، لتكون هذه الآية رسالة نبوية إلى أكثم بن صيفي خاصة لدخول الإسلام ، وكان أكثر قومه يتبعونه .

أنبهر أعضاء الوفد وقالوا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أردد علينا هذا القول أي جوابه ، والآية الكريمة أعلاه فاعاده عليهم حتى حفظوه فعادوا إلى أكثم الذي يعرف بحكمته وخطابه وأقواله

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٩٦/٤.

منها قوله (إياكم والنميمة فأنها نار محرقة وأن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر.

فاخذه الشاعر فقال :

أن النميمة نار ويك محرقة

فعد عنها وحارب من تعاطاها

ولذلك قيل : نار الحقد لا تخبوا. (١).

ترى لماذا لم يثن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أكثم بن صيفي الجواب لأنه لا زال على الكفر فلم يذمه ولم يمدحه .

وأخبر الوفد أكثم بن صيفي بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يرفع نسبه ، ويذكر أجداده ، وأنهم استغربوا الأمر فسألوا عن نسبه فعلموا أنه من أرفع أنساب العرب ، ثم أنه قدم ذكر عبوديته لله عز وجل قبل أن يذكر الرسالة ، ثم ذكروا له ما تلى عليه من القرآن ، وأخبروه عن حال المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها ، فتوجه أكثم إلى قومه بالخطاب العام وحضهم على دخول الإسلام ، وأتباع الحق مع بيانه لعله هذا الدخول ، وهذا البيان من الحكمة ، إذ قال (أي قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمتها فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذئاباً كونوا فيه أولاً ولا تكونوا فيه آخراً) (٢).

ليان إدراك العقلاء الملازمة بين الإسلام ومكارم الأخلاق .

وقيل (وأدرك أكثم بن صيفي مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن مائة وتسعين سنة وكان يوصي قومه بإتيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسلم وكان قد كتب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجأبه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسر

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٢٥٨/١٤.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٥/١.

بجوابه وجمع إليه قومه فندبهم إلى إتيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان به ^(١).

وذكر أن أكثم بن صيفي جمع مائة من قومه وخرج بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسلم ، ولكنه مات في الطريق.

(عن عامر الشعبي قال : سألت ابن عباس عن قوله تعالى { ومن يخرج من بيته مهاجراً . . . } ^(٢) الآية . قال : نزلت في أكثم بن صيفي قلت : فأين الليثي ؟

قال : هذا قبل الليثي بزمان ، وهي خاصة عامة) ^(٣).

لقد كانت شهادات حكماء العرب بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودخولهم الإسلام شاهداً على أنه دين السلام والأمن والأخلاق الحميدة ، وبه يتحقق استقرار المجتمعات ، وفيه مدد وعون لترغيب الناس في الإسلام ، وتأديب عام بإجتنب الظلم والتعدي والإرهاب ، لمنافاة كل فرد منها الإسلام ومبادئه .

حج آدم البيت نهى عن الإرهاب

لقد اثنى الله عز وجل على نفسه بأن جعل أول بيت في الأرض هو بيته ليكون سفيراً يومياً للتوحيد ، وداعية للهدى ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٤).

وليس من حصر لبركات البيت الحرام ولا بد أن يقصده آدم عليه السلام أبو البشر إقراراً بالتوحيد ، ورجاء الفوز بالبركة ، وتثبيتاً

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١١٢/١.

(٢) سورة النساء ١٠٠.

(٣) الدر المنثور ٢١٦/٢.

(٤) سورة آل عمران ١٧٣.

لشأن البيت بين ذريته ، وقد حج آدم ثلاثمائة حجة كما ورد في الحديث أعتمر سبعمائة عمرة .

و(عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أوحى الله إلى آدم حج هذا البيت قبل أن يحدث بك حدث . قال : وما يحدث علي يا رب؟ قال : ما لا تدري وهو الموت . قال : وما الموت؟

قال : سوف تذوق . قال : ومن أستخلف في أهلي؟ قال : أعرض ذلك على السموات والأرض والجبال ، فعرض على السموات فأبت ، وعرض على الأرض فأبت ، وعرض على الجبال فأبت ، وقبله ابنه قاتل أخيه ، فخرج آدم من أرض الهند حاجاً ، فما نزل منزلاً أكل فيه وشرب إلا صار عمراناً بعده ، وقرى حتى قدم مكة فاستقبلته الملائكة بالبطحاء .

فقالوا : السلام عليك يا آدم ، برّ حجك . أما إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبيت يومئذ حمراء جوفاء لها بابان ، من يطوف يرى من جوف البيت ، ومن في جوف البيت يرى من يطوف : فقضى آدم نسكه ، فأوحى الله إليه : يا آدم قضيت نسكك؟

قال : نعم ، يا رب قال : فسل حاجتك تعط . قال : حاجتي أن تغفر لي ذنبي وذنوب ولدي . قال : أما ذنبك يا آدم فقد غفرناه حين وقعت بذنوبك ، وأما ذنب ولدك فمن عرفني وآمن بي وصدق رسلي وكتابي غفرنا له ذنبه^(١) .

لقد جعل الله عز وجل حج البيت الحرام عملاً مباركاً يلتقي فيه البشر مع الملائكة لإرادة تهذيب سلوك الناس.

وحينما احتج الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) بفساد الإنسان وحدث الحروب والإقتال وسفك الدماء في الأرض ، مما يتضاد مع عنوان وشرف الخلافة فأجابهم الله عز وجل ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ومن علم الله عز وجل انشاء البيت الحرام ، وصيرورته محل طواف الأنبياء والصالحين ، وفيه زجر عن فعل السيئات ، قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

لتنمية ملكة الأخلاق الحميدة عند المسلمين ، وجعلها نهجاً متصلاً طيلة أيام السنة ، وقد نهى الله عز وجل عن الجدال في الحج قربة إلى الله تعالى ، وتحلية وتحلية ، تحلية للعبد في قوله وفعله ، وتحلية من قول القبيح ، وكذا من فعله بالنهي عن الفسوق ، ليكون النهي عن الإرهاب طيلة أيام السنة من باب الأولوية .

ومن علم الله عز وجل حج آدم عليه السلام البيت الحرام وفيه دعوة منه لذريته للإنشغال بالحج وأداء الفرائض عن الظلم والإرهاب .



(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ١٩٧.

حج آدم توطئة لبعثة النبي محمد (ص)

هل كان حج آدم عليه السلام البيت توطئة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم .

وهو من الإعجاز من جهات :

الأولى : إتحاد سنخية النبوة .

الثانية : تهيئة أول نبي في الأرض مقدمات لآخر الأنبياء ، قال

تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ ﴾^(١).

ولم تقل الآية أعلاه وآخر نبي إنما ذكرت النبيين لبيان الإتصال والتداخل في جهاد الأنبياء والشريعة والسنن التي جاءوا بها ، وفي حديث اللبنة ورد (عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها وترك فيها موضع هذه اللبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة)^(٢).

الثالثة : بشارة آدم عليه السلام بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لقد فارق آدم عليه السلام الدنيا بعد أن صار عدد أولاده وأحفاده أربعين ألفاً .

وبخصوص العلم ببشارة آدم عليه السلام هذه وجوه محتملة :

الأول : لا يعلم بشارة آدم عليه السلام ببعثة النبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا شيث بن آدم خليفته في النبوة .

(١) سورة الأحزاب ٤٠.

(٢) الدر المنثور ١٧١/٨.

و عن مجاهد : (ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين - ولدت له شيئا وتفسيره هبة الله أي خلفا من هابيل) ^(١).

الثاني : يعلم البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أولاد آدم الصليبين دون الأحفاد وأبناء الأحفاد .

الثالث : يعلم البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم شطر وطائفة من أبناء وأحفاد آدم عليه السلام ، خاصة مع تفرقهم في الأرض بعد أن ازداد عددهم .

الرابع : يعلم بالبشارة كل ذرية آدم عليه السلام أيام حياته ، والمختار الوجه الأخير أعلاه لأصالة العموم ، لأن هذه البشارة أمانة حرص آدم عليه السلام على إيصالها إلى ذريته لتنزيه الأرض من الشرك والظلم والإرهاب .

وأخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام (قال : لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه ، واشتد ندمه . فجاءه جبريل فقال : يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذي يتوب الله عليك منه؟ قال بلى يا جبريل قال : قم في مقامك الذي تناجي فيه ربك فمجده وامدح ، فليس شيء أحب إلى الله من المدح .

قال : فأقول ماذا يا جبريل؟ قال : فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير .

ثم تبوء بخطيئتك فتقول : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت . رب إنني ظلمت نفسي وعملت سوء فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب

إلا أنت . اللهم إني أسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي .

قال : ففعل آدم فقال الله : يا آدم من علمك هذا؟ فقال : يا رب إنك لما نفخت في الروح فقممت بشراً سوياً أسمع وأبصر وأعقل وأنظر رأيت على ساق عرشك مكتوباً : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله فلما لم أر على أثر اسمك اسم ملك مقرب ، ولا نبي مرسل غير اسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك .

قال : صدقت . وقد تبت عليك وغفرت لك خطيئتك قال : فحمد آدم ربه وشكره وانصرف بأعظم سرور ، لم ينصرف به عبد من عند ربه .

وكان لباس آدم النور قال الله ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا﴾^(١)، ثياب النور قال : فجاءته الملائكة أفواجا تهنئته يقولون : لتهنك توبة الله يا أبا محمد^(٢) .

وهل كان قاييل وهاييل اللذان قتل الأول الثاني منهما يعلمان بالبشارة الجواب نعم .

وتقيد واستعد لها هاييل ، والعلم بالبشارة أعم من التقيد بها ونقلها إلى الأبناء والأحفاد ، لذا حرص آدم عليه السلام على قيامه بهذه الرسالة بنفسه لأن فيها قوام التوحيد في الأرض ، وفي رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إكرام لآدم عليه السلام ، إذ وردت الآيات بذكره وبيان أن الله عز وجل خلقه ونفخ فيه من

(١) سورة الأعراف ٢٧ .

(٢) الدر المنثور ١/ ٩٤ .

روحه وأنه سكن الجنة ، وجاءت السنة النبوية بتأكيد نبوة آدم عليه السلام وأنه نبي رسول .

لقد لحق قاييل الخزي إلى يوم القيامة بقتله أخيه الورع التقي ووثقت الكتب السماوية هذا الفعل لتكون فيه موعظة للمؤمنين من الملل المتعددة باجتنب الإرهاب وسفك الدماء .

هل أوصى آدم أولاده بالحج

هل أوصى آدم عليه السلام أولاده بحج البيت الحرام ، الجواب نعم ، وهو من وظائف النبوة ، وفيه تعاهد لمنهاج السلم والأمن في الأرض .

من معاني قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، قيام آدم والأنبياء من بعده بحج البيت الحرام ، وحض أولادهم والمؤمنين على حجه وتعاهده وعمارته ، وتدل كثرة حج آدم البيت وأنها ثلاثمائة مرة على الوصية الفعلية على حجه والدعوة للإقتداء به إلى جانب الوصية القولية .

ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢)، فيدخل آدم عليه السلام وأولاده ، وآدم نبي رسول ولا بد أنه كان بتبليغ أولاده وأحفاده بوجوب حج البيت الحرام مع الإ استطاعة وقيد الزاد والراحلة .

لتكون هذه الوصية تأسيساً للأمن واستدامة الأخوة الإيمانية وطرداً للإرهاب .

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١).

إذ كانوا أمة واحدة بإقامتهم على التوحيد والهدى وحج البيت ونبذ الظلم والإرهاب ، ولم يخطر على بالهم مجئ أجيال من الناس يعبدون الأوثان ، وتنصب بالبيت الحرام الذي حجه وطاف به آدم عليه السلام والأنبياء من بعده .

فبعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لإستئصال عبادة الأوثان من الأرض إلى يوم القيامة .

وكل من هذا الإستئصال واستدامته ومصاحبته للحياة الدنيا معجزة قائمة بذاتها للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن خصائص الأب مطلقاً السعي في تأديب أبنائه ، وإصلاحهم وقد سعى آدم عليه السلام في المنع من الظلم والتعدي والإرهاب ، ومن هذا السعي منهاج التقوى الذي يتصف به ، والذي تجلّى في قول هابيل ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

و(عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أهبط الله آدم إلى الأرض طاف بالبيت أسبوعاً ، وصلى حذاء البيت ركعتين ثم قال : اللهم أنت تعلم سري وعلانيتي فأقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما عندي فاغفر لي ذنوبي . أسألك إيماناً يباهي قلبي ، و يقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبيني إلا ما كتبت لي ، ورضني بقضائك .

فأوحى الله إليه : يا آدم إنك دعوتني بدعاء فاستجبت لك فيه ، ولن يدعوني به أحد من ذريتك إلا استجبت له ، وغفرت له ذنبه ،

(١) سورة يونس ١٩.

(٢) سورة المائدة ٢٧.

وفرجت همه وغمه ، واتجرت له من وراء كل تاجر ، وأتته الدنيا راغمة وإن كان لا يريد لها ^(١).

لقد جاهد آدم عليه السلام لمنع الإرهاب في الأرض وإن أصابه الضرر ونزلت الفاجعة بسبب الإرهاب وقتل أحد ولديه الآخر ، وهو فرد نادر في تاريخ البشرية أن يقتل الأخ أخيه مع وجود أبيهما على قيد الحياة ، قال تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢) لبيان قانون وهو تعقب الندم للفعل الإرهابي والظلم وسفك الدماء ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) في احتجاج الله عز وجل على الملائكة حينما تساءلوا عن خلافة الإنسان في الأرض مع ظهور الفساد بين الناس .

وروي عن ابن عباس أن آدم عليه السلام كان في مكة عندما قتل قابيل أخاه .

قال ابن عباس (أنه لما قتله وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وملحت المياه واغبرت الأرض فقال آدم عليه السلام : قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هاويل وقيل : إن قابيل هو الذي انصرف إلى آدم فلما وصل إليه قال له : أين هاويل .

فقال : لا أدري كأنك وكلتني بحفظه فقال له آدم أفعلتها ، والله إنه لينادي اللهم العن أرضا شربت دم هاويل .

(١) الدر المنثور ١/٩٢.

(٢) سورة المائدة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

فروي أنه من حيثئذ ما شربت أرض دما ثم إن آدم بقي مائة سنة لم يضحك حتى جاءه ملك فقال له : حياك الله يا آدم وبياك فقال : ما بياك ؟ قال : أضحكك^(١).

(تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجَّهُ الْأَرْضَ مُغْبَرَّ قَبِيحٍ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ
قال فأجيب آدم :

أبا هاويل قد قُتِلَا جَمِيعاً ... وصارَ الْحَيُّ كَالْمَيِّتِ الذَّيِّحِ
وَجَاءَ بَشَرٌ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ ... عَلَى خَوْفٍ فَجَاءَ بِهَا تَصِيحُ^(٢).
وهل كان قاييل حينما قتل هاويل كافراً أم فاسقاً ، المختار هو الثاني .

ليبان أن هذا القتل لم يمنع من وصية آدم لأولاده بالحج بل يدل على الحاجة إلى الوصية بالصلاة والحج والصيام والزكاة ، لأن التقوى زاجر عن الفساد والفسوق وسفك الدماء ، وفي الصيام وتقدم زمانه وحكم وجوبه على أيام بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورد قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

ولم يقل آدم عليه السلام الشعر وكذا سائر الأنبياء ليبان استقلال الوحي والتنزيل على ألسنتهم ، ولكن آدم عليه السلام اشتد حزنه على هاويل ورثاء بكلمات باللغة السريانية وتوارثه الأجيال إلى أيام يعرب بن قحطان فترجم إلى العربية بصيغة الشعر .

(١) تفسير القرطبي ١٣٣/٦.

(٢) النكت والعيون ٣٥٧/١.

(٣) سورة البقرة ١٨٣.

قال ابن جريج (لم يزل بنو آدم فى نكاح الأخوات حتى مضى أربعة آباء ، فنكح ابنة عمه وذهب نكاح الأخوات)^(١). وهو بعيد ولم يرفع الحديث ولا أصل له كتاباً وسنةً.

وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز تابعي (٦٠-١٥٠) هجرية مولى أمية بن خالد الأموي ، ولد في مكة ، قال الذهبي : فيها أي سنة (١٥٠) (توفي إمام الحجاز أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي ثم المكي مولى بني أمية ، عن أكثر من تسعين سنة. أخذ عن عطاء وطبقته)^(٢).

لقد أسس آدم عليه السلام بالقول والفعل لقانون حرمة الإرهاب والإقتال ، ولزوم إجتناّب الناس له باختياره وتعاهده لإقامة الصلاة والصيام وقطع المسافات الطويلة لحج بيت الله الحرام ليكون عملاً عبادياً ، وواقية من الظلم والتعدي والتعصب والتطرف.

وفي الثناء على النبي محمد ولزوم اقتداء المسلمين بسيرته ، قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

ومن البديهيّات التضاد بين الخلق الحسن وبين الإرهاب ، لذا فالآية أعلاه دعوة يومية متجددة لكل مسلم ومسلمة وللناس جميعاً بالتّزّه عن الإرهاب ومقدماته أو الإعانة عليه ، ويأتي حج البيت الحرام كل عام شاهداً على التضاد بينه وبين الإرهاب.

(١) النكت والعيون ٣٥٧/١.

(٢) العبر في خبر من خبر ٣٩/١.

(٣) سورة ن ٤.

لأن الحج عبادة خالصة لوجه الله عز وجل ليس فيها إلا الذكر والتلبية والزهد الذي يتجلى في لباس الإحرام والذي لا يستثنى منه أحد غنياً أو فقيراً ، ملكاً أو رئيساً أو مرؤوساً .

ومن الآيات رضاهم جميعاً بهذا اللباس لما فيه من الخشوع والخضوع لله عز وجل ، والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الناس من يحرص على غطاء الرأس بحسب العرف والتقليد في بلدته أو ما يناسب شأنه ومنزلته ، ويمتنع عن خلعه في أي حال ، ولكنه في الإحرام يخلعه طائعاً مستبشراً بفضل الله بالتوفيق لأداء مناسك الحج التي يتعارض معها الإرهاب ، وهي تزجر عنه .

وتبين منافاته للفرائض العبادية من أيام آدم وإلى اليوم وفي الغد القريب والبعيد ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) وتبين الأوامر الثلاثة والنواهي الثلاثة في الآية أعلاه على قبح الإرهاب .

وما يتنافى مع العبادات والمناسك لا يستديم لعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾^(٢) .



(١) سورة النحل ٩٠ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

من منافع الإيمان بالمعاد

ترى هل من نفع حاضر للعبد بإيمانه بالمعاد ، الجواب نعم فهو سبب للهداية والصلاح وزاجر عن الفساد والفسوق .

ولم يأت المعاد للإنسان دفعة واحدة ، إنما تتكرر الإنذارات اليومية للإنسان التي تذكره بالمعاد منها ابتلاء بمرض وموت قريب ، وإنذارات الموت لذات الشخص ، والحروب والكوارث ، وساعة الإحتضار ، التي هي رحمة من عند الله عز وجل لمن يشاء من عباده ليتدارك نفسه بالتوبة والإنابة .

ثم تقبض روحه وينتقل إلى عالم الخلود ، عالم الحساب والجزاء من غير اذن بالعمل ولا رجوع إلى الدنيا أو غيرها من مثلها ، ويبدأ عالم الآخرة بمراحله المرتبة وهي :

الأولى : عالم القبر .

الثانية : ضغطة القبر .

الثالثة : الحساب الإبتدائي من منكر ونكير .

الرابعة : طول المكث في القبر ، والتباين في أحوال الموتى في القبور بلحاظ سنخية الأعمال .

وفي حديث طويل عن أبي سعيد يرفعه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ ^(١) مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ) ^(٢) .

(عن أيفع بن عبد الكلاعي قال : قال رسول الله صلى الله وآله عليه وسلم : إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قال لأهل الجنة { كم لبثتم في الأرض عدد سنين } ^(٣) قالوا : { لبثنا

(١) الروضة : البستان .

(٢) سنن الترمذي ٣٣٩/٩ .

(٣) سورة المؤمنون ١١٢ .

يوماً أو بعض يوم} ^(١) قال : لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم ، رحمتي ورضواني وجنتي اسكنوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول : يا أهل النار { كم لبثتم في الأرض عدد سنين } قالوا { لبثنا يوماً أو بعض يوم } فيقول : بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم . ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين ^(٢).

وأيفع من عبد الكلاعي تابعي صغير ^(٣) من أهل حمص ، فهو لم يسمع من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يذكر اسم الصحابي الواسطة الذي بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي حدثه بهذا الخبر ومع هذا فمضمون هذا الخبر متواتر عند المسلمين .

قانون الإيمان بالمعاد عصمة من الإرهاب

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الحجة على الإنسان ، بما يقربه إلى سبل الطاعة والهداية ، منها وجوب التوحيد وعبادة الله عز وجل ، والتسليم بالمعاد واليوم الآخر ، وهو من مصاديق إخبار الله عز وجل الملائكة عند خلق آدم وإرادة جعله ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٤) .

(١) سورة المؤمنون ١١٣.

(٢) الدر المنثور ٢٣٠/٧.

(٣) انظر الإصابة في معرفة الصحابة ٨٩/١.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

فعندما احتجت الملائكة على هذا الخلافة لفساد شطر من الناس ، ولإقدام بعضهم على القتل وجريان الدم على الأرض أجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ومن علم الله عز وجل وقوف الناس للحساب يوم القيامة ، حيث يلقي المفسد والقاتل عن عمد الجزاء والعذاب ، نعم من علم الله عز وجل في هذه الآية فتحه لباب التوبة والمغفرة ، قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٢).

وأخبر الله عز وجل آدم وحواء بالمعاد ولزوم التهيئ والاستعداد له ، قال تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣).

وهل المعاد يوم القيامة من الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم بقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) ، الجواب نعم ، ولم يختص تعليم آدم في الجنة باسم المعاد أو اليوم الآخر إنما علمه الله عز وجل حتمية بعث الناس من القبور وأن المعاد جسماني ، ولا بد من الجزاء إما إلى الجنة أو إلى النار ، وهل علم الملائكة آدم عليه السلام بخصوص المعاد وأوصاف الجنة والنعم التي فيها دخول

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة طه ٨٢.

(٣) سورة الأعراف ٢٤.

(٤) سورة البقرة ٣١.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات لها ، وشدة عذاب النار التي ﴿أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ﴾^(١).

الجواب نعم ، سواء على القول بأن الجنة والنار مخلوقتان أم لم
يخلقا بعد ، والمشهور والمختار أنهما مخلوقتان ، وقد تقدم الكلام فيه
، ومن الشواهد الآية أعلاه.

لقد أدرك الملائكة بيعث الناس للحساب ودخول شطر منهم
النار مع شدة عذابها علو ورفعة منزلة الملائكة ، من جهات :
الأول : مسكن الملائكة في السماء .

الثاني : طول أعمار الملائكة .

الثالث : إنقطاع الملائكة إلى التسبيح والتهليل والذكر انقطاعاً
تاماً .

الرابع : كثرة أعداد الملائكة .

لقد اثنى الله عز وجل على المؤمنين بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

فجعل الله عز وجل لهم أداء الصلوات الخمس وذكر الله في
ساعات من النهار والليل ذكراً دائماً لله سبحانه بلطف ومضاعفة
للأجر والثواب من عنده عز وجل ، بينما الملائكة دائبون في ذكر الله
لا يغفلون عنه طرفة عين ، وهم معصومون من المعصية ، وفي الثناء

(١) سورة آل عمران ١٣١.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

عليهم ، قال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ
* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾^(١).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح الله ، قال : وملائكة سجود منذ خلق الله السموات لم يرفعوا رءوسهم ، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وركوع لم يرفعوا رءوسهم ، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، و صفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة)^(٢).

ولم يكن المعاد ينحصر ببعث الأجساد من القبور ورجوع الناس جميعاً إلى الله ومواطن يوم القيامة المتعددة بل يشمل المعاد جنس الجن ، وتبدل الحال في السموات والأرض ، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^(٣).

ليكون جمع أوصال كل انسان مئات مليارات البشر من غير خلط أو تداخل بينها آية لا يقدر عليها إلا الله ، قال تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾.

(١) سورة الأنبياء ٢٦-٢٧.

(٢) ابن بطّة / الأمانة الكبرى ٩٥/٦ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٤.

ومن خصائص الحياة الدنيا أنه ليس من إنسان إلا وقد بلغه نبأ الآخرة وأن الناس مبعوثون يوم القيامة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

لذا جاء كل نبي بانباء المعاد وبشارة المؤمنين بالجنة ، والوعيد للكافرين بالنار وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(٢) ، والتذكير بالمعاد دعوة لتهذيب النفوس وإصلاح الأعمال ، والإمتناع عن الظلم والفسوق والفجور.

وليس من عمل إرهابي إلا ويحضر يوم القيامة بهيئته ونسخته الدقيقة ، قال تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾^(٣) ، فيعجز فاعله عن الإجابة ويدرك سوء فعله ، وما ألحقه بنفسه وغيره من الأضرار فهو أضر نفسه في الدنيا والآخرة.

أما الذين وقع عليهم الفعل الإرهابي فقد لحقهم الضرر الفادح في الدنيا ولكن الآخرة دار القصاص وانتزاع الحسنات من الظالم. وقد جاء القرآن والسنة النبوية بالبيان والتفصيل بما يجعل المسلم في حيطة واحتراز من الإرهاب والذي لا يجلب إلا الحسرة والندامة من ساعة وقوعه وتشتد الحسرة يوم القيامة ﴿وَلَا تَحِينَ مَنَاصَ﴾^(٤).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت والصحابة يحاربون الإرهاب ، ويمنعون منه وقد ذكرت في الجزء الواحد والثلاثين بعد المائتين أن المسلم لا يكون إرهابياً ، ولا يخيف ويرعب

(١) سورة الأنعام ١٤٩.

(٢) سورة الأنعام ٤٨.

(٣) سورة الرحمن ٣٩.

(٤) سورة ص ٣.

الآخر ، وقال تعالى ﴿وَقُفُّهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١) ، أي عن عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم .

ومن معاني (قفوهم) احبسوهم عن السير في بعض مواطن الآخرة المتعددة للسؤال والحساب .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفاً يوم القيامة لازماً به لا يفارقه ، وإن دعا رجل رجلاً . ثم قرأ ﴿وَقُفُّهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢) ^(٣) .

وقال تعالى ﴿فَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) .

نظرية الصرفة

لا يختص إعجاز القرآن بمضامين آياته وبلاغتها وذخائرها ، بل يشمل الموضوع والأحكام ، واستجابة الناس لما فيه من الأوامر والنواهي ، ويناقش في باب إعجاز القرآن موضوع (الصرفة) : وهي لغة صرف إنسان عن وجه يقصده ويطلبه إلى غيره ، قال تعالى ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٥) .

أما في الإصطلاح فيعني صرف همة العرب عن الإتيان بما يعارض القرآن وإن كانت هذه المعارضة أمراً ممكناً ، وفي مقدورهم ، وهم أهل وسادة اللغة .

(١) سورة الصافات ٢٤ .

(٢) سورة الصافات ٢٤ .

(٣) الدر المنثور ٨ / ٣٢٦ .

(٤) سورة الحجر ٩٢-٩٣ .

(٥) سورة التوبة ١٢٧ .

وأول من قال به إبراهيم بن سيار النظام ت ٢٢١ ، وهو من رؤساء المعتزلة في البصرة ، ولا أصل لهذا القول موضوعاً وحكماً ودلالة .

وقد قال به البراهمة في كتابهم (الفيدا) ومعناه (القصة المقدسة) ويقع في ٨٠٠ مجلد تم تأليفه في ألف سنة ، وقيل ثلاثة آلاف سنة . ومنها شعر وضع نحو سنة ١٢٠٠ ق.م .

ويتضمن الحديث عن نشأة الآلهة وأساطيرها وعالم الأكوان ، وتقسيم الهند إلى طبقات أربعة ، أعلاها البراهمة الذين خلقوا من رأس الإله كريشنا .

وذكر أنهم جاءوا إلى الهند من أواسط أوربا ، وهم طبقة الكهنة والقساوسة .

واختلف القائلون بنظرية الصرفة في القرآن على وجوه :

الأول : صرف الله عز وجل العرب قهراً وجبراً عن الإتيان بمثل القرآن ، ونسب إلى النظام أن العرب لو توجهوا لمعارضة القرآن والإتيان بمثله لاستطاعوا ، وهذا القول ونسبته تحتاج إلى دليل واثبات لأنه خلاف العقل وسنن الإيمان .

الثاني : سلب الله عز وجل عن العرب العلوم التي يحتاجون للإتيان بمعارضة القرآن ، ولو توجهوا لمعارضته لعجزوا ولم يستطيعوا ، وبه قال (السيد المرتضى) .

الثالث : الصرفة لطف من عند الله عز وجل ، وتدبير منه سبحانه يحفظ القرآن من العبث والتحريف والإضافة ، ولهذا المعنى ذهب الجاحظ (١٥٩-٢٥٥) هجرية ، وهو معتزلي ، وتلميذ إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام الذي تقدم اسمه .

وسمي الجاحظ لأن عينيه جاحظتان ، وهو دميم الوجه ، لا يسر الناظر ، حدث عن نفسه أنه بعث إليه المتوكل لتأديب ولده ، قال

الجاحظ (فلما نظر إليّ استبشع منظري، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وصرفني فخرجت) ^(١).

وكان مع كبر سنه يقف يتناول لأخذ أحد الكتب من رفوف مكتبته وهو متكئ على عكازته ، فسقطت عليه الكتب والمجندات الضخمة من الرفوف فقتلته .

الرابع : إنصراف القوم عن معارضة القرآن لعلمهم بالعجز عنها وأنها أمر متعذر .

ولا تصل النوبة إلى الصرفة في المقام لأن إعجاز القرآن ذاتي وغيري ، ومن إعجازه تسليم الناس بالعجز عن الإتيان بمثله ، ولو حاولوا لتجلى البون والفرق واضحاً ، قال تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَكَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ ^(٢) فلا أصل لنظرية الصرفة .

فكلام الله عز وجل فوق كلام البشر بمراتب غير متناهية ، في منطقته ومفهومه ، ودلالته ، والعلوم المستقرأة منه .

وهل تدل الآية أعلاه على إمكان تسخير الإنسان للجن مع التحذير من هذا التسخير ، المختار نعم .

وكما إنصرف وينصرف الناس عن معارضة القرآن لإقرارهم بالعجز عنها ، فإن القرآن يدعو المسلم للإنصراف عن الإرهاب والإبتعاد عنه .



(١) الموشى ٢٧/١ .

(٢) سورة الإسراء ٨٨ .

قانون تسمية الصلح فتحاً

لا يقدر على هذه التسمية إلا الله عز وجل ، فمن خصائص الصلح تقديم الطرفين لتنازلات ، ورضاهم بعدم تحقيق الغايات ، وقد تقدم قانون تسمية الصلح فتحاً محاصرة للإرهاب^(١) والمراد صلح الحديبية ، قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) .

وعن (قتادة ، عن أنس ، قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية ، قد حيل بيننا وبين نسكننا ، فنحن بين الحزن والكآبة ، فأنزل الله تعالى عليه {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} ^(٣) الآية كلها) ^(٤) .

ومن خصائص الصلح وجود ممانعة له من بعض أطراف النزاع أو عدم رضاهم عليه لإدراكهم التفريط بالشروط أو التساهل والتسامح فيها ، وهو الذي صدر من بعض الصحابة عند صلح الحديبية ، ليكون من إعجاز القرآن نزول الآية أعلاه ، ومن منافعها وجوه :

الأول : تفقه المسلمين في الدين ، ومعرفة قانون ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٥) .

الثاني : تأكيد قانون لم يغز النبي "ص" أحداً^(٦) .

ومن معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إزدياد قوة ومنعة المسلمين مع تقادم الأيام ، ففي السنة الثالثة للهجرة هم أقوى وأظهر

(١) انظر الجزء الرابع والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة الفتح ١.

(٤) الثعلبي/الكشف والبيان ٢٠٠/١٢.

(٥) سورة النساء ١٢٨.

(٦) انظر الأجزاء التي صدرت بخصوص هذا القانون من تفسيرنا هذا وهي : ١٥٩-

١٦٠-١٦١-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٥-١٧٦-١٧٧-

١٧٨-١٨٢-١٨٥-١٨٨-١٩٢-٢٠٠-٢٠٨-٢١٢-٢١٨-٢٢٦.

من السنة الثانية ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١) ، إذ وقعت معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة.

وهم في السنة الرابعة مثلاً أقوى وأعز منه في السنة الثالثة لوجوه:

الأول : ثبات دولة الإيمان والتوحيد بعد معركة أحد .

الثاني : سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل في معركة أحد ونجاته من محاولات الإغتيال ، ومنها ما وقع بعد معركة بدر.

كما في إتفاق عمير بن وهب مع صفوان بن أمية على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد معركة بدر .

وكان عمير من شياطين قريش ، ويكثر من إيذاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في مكة قبل الهجرة ، ووقع ابنه وهب بن عمير في الأسر يوم بدر.

وقدم عمير بن وهب المدينة وأناخ براحلته على باب المسجد النبوية ودخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم متوشحاً بسيفه ، وأراد عمر أخذ سيفه فنهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة . وقال له (أَذُنُ يَا عُمَيْرُ ، فَدَنَا ثُمَّ قَالَ انْعَمُوا صَبَاحًا ، وَكَانَتْ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ بِالسَّلَامِ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتُ بِهَا لَحْدِيثُ عَهْدٍ قَالَ فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ .

قَالَ جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيهِ .

قَالَ فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ ؟ قَالَ قَبَحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ وَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئًا.

قَالَ أَصْدُقَنِي ، مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ ؟ قَالَ مَا جِئْتُ إِلَّا لَذَلِكَ ، قَالَ بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحَجَرِ ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلْبِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ قُلْتَ : لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتَلَ مُحَمَّدًا.

فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ ، عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ وَاللَّهِ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ.

قَالَ عُمَيْرٌ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكْذِبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ.

وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَهُوْا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ . وَأَقْرُؤُوا الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ فَفَعَلُوا^(١).

الثالث : توالي دخول الناس الإسلام مهاجرين وأنصاراً ، أي منهم القادمون إلى المدينة ، ومنهم من أهل المدينة حتى ساد الإسلام عند أهلها ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٢) ، الجواب نعم.

الرابع : توالي الضعف والوهن عند كفار قريش ، لبيان قانون وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٦٦٢.

(٢) سورة الضحى ٥.

فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ ﴿١﴾ ، هو إزدياد المسلمين قوة ومنعة بدخول الرجال الإسلام ، وزيادة إيمان المسلمين .

الخامس : تفقه المسلمين في الدين ، وعلوم القرآن ، وإرتقاؤهم في المعارف الإلهية .

السادس : نزول آيات القرآن التي تبعث المسلمين على التوكل على الله ، وتبشرهم بالنصر والفتح والثواب العظيم في الآخرة .

السابع : موضوعية السنة النبوية في تقوية المسلمين .

الثامن : نماء الأخوة بين المسلمين ، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهم بعد قدومه المدينة ببضعة شهور ، وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) .

والمسلمون في السنة السادسة سنة صلح الحديبية أقوى منها في السنة الخامسة سنة معركة الخندق ، ومن هذا المعنى والدلالة توافد الناس على المدينة لدخول الإسلام ، وظهور الإسلام وتضاؤل الكفر بين أهلها .

وكل فرد يدخل الإسلام هو نقص في جهة الكفار وثلمة في كيانه ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿ لَيَقَطَعَنَّ مِنْ أَلْفِ كَفَرٍ كَثِيرٍ أَوْ يُكَبِّهُمْ فَيَقْتَلُوا خَائِبِينَ ﴾ (٣) (٤) .

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) سورة الحجرات ١٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٤) انظر الجزء الواحد والثمانين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية في ٤١٠ صفحة .

الجواب نعم ، خاصة إذا كان الذي يدخل الإسلام من الذوات والوجهاء والرؤساء مع علمه بأن الإسلام يساوي بينه وبين عبده في الحقوق والواجبات ، ليكون إسلام هؤلاء الوجهاء طواعية ، ورضاهم بهذا الحال من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ليان لزوم بيان آلاف المعجزات للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإستقراء والإستنباط ، والغوص في علوم التنزيل والسنة النبوية القولية والفعلية والتقريبية والتدوينية والدفاعية ، إذ كانت المعجزات تتوالى وكل آية قرآنية معجزة متعددة ، وترشح عنها المعجزات إلى جانب المعجزات الكثيرة في السنة النبوية منها نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية عندما عطش الصحابة .

و عن (حصين ، عن سالم ، عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما لكم ؟

قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا ما في ركوتك .

فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون .

قال : فشربنا وتوضأنا .

فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟

قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة (١) .

ولم يكن صلح الحديبية أمراً سهلاً أو قريب المنال ، فعندما سمعت قريش بتوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى مكة لأداء العمرة استعدوا للقتال حمية وعصية وهم يعلمون أنهم في شهر حرام وهو شهر ذي القعدة .

وكادت خيلهم تهجم على معسكر المسلمين الذي هو معسكر سلام ليس فيه سلاح سوى سلاح (ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك ليك).
(و) عن عطاء قال : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم معتمراً في ذي القعدة معه المهاجرون والأنصار حتى أتى الحديبية ، فخرجت إليه قريش ، فردوه عن البيت حتى كان بينهم كلام وتنازع حتى كاد يكون بينهم قتال ، فبايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه وعدتهم ألف وخمسمائة تحت الشجرة ، وذلك يوم بيعة الرضوان .
فقاضاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فقالت قريش : نقاضيك على أن تنحر الهدي مكانه وتحلق وترجع ، حتى إذا كان العام المقبل نخلي لك مكة ثلاثة أيام ، ففعل .
فخرجوا إلى عكاظ فأقاموا فيها ثلاثة أيام واشتروطوا عليه أن لا يدخلها بسلاح إلا بالسيف ، ولا يخرج بأحد من أهل مكة إن خرج معه ، فنحر الهدي مكانه وحلق .

ورجع حتى إذا كان في قابل من تلك الأيام دخل مكة ، وجاء بالبدن معه ، وجاء الناس معه ، فدخل المسجد الحرام فأنزل الله عليه ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَدْخُلُكَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾^(١) ، وأنزل عليه ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾^(٢) ^(١) .

(١) سورة الفتح ٢٧.

(٢) سورة البقرة ١٩٤.

وسياتي قانون معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلح الحديبية ضد للإرهاب سواء تلك التي تخص التنزيل أو السنة النبوية القولية والفعلية .

وورد في صحيحة ابن أبي عمير عن ابن سنان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن سبب نزول سورة الفتح هو صلح الحديبية ، إذ قال (ان سبب نزول هذه السورة وهذا الفتح العظيم أن الله عزوجل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع المحلقين .

فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج، فخرجوا، فلما نزل ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن، وساق رسول الله صلى الله عليه وآله ستة وستين بدنة وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبين بالعمرة .

وقد ساق من ساق منهم الهدي معرات^(٢) مجلات^(٣)، فلما بلغ قريش ذلك بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ليستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فكان يعارضه على الجبال .

فلما كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر فأذن بلال وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس .

فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم في الصلاة لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن يجيئ لهم الآن صلاة أخرى أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم، فنزل

(١) ابن كثير/السيرة ٣٢٤/٢ .

(٢) معرات : تساقط وذهب شعرها ووبرها .

(٣) مجلات : جمع مجللة أي وُضع عليها الجل وهو الغطاء.

جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بصلاة الخوف في قوله تعالى ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية^(١).

لما كان في اليوم الثاني نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديبية وهي على طرف الحرم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستنفر الاعراب في طريقه معه ، فلم يتبعه منهم أحد .

ويقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم، إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبدا .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديبية خرجت قريش يحلفون باللات والعزى لا يدعون محمدا يدخل مكة وفيهم عين تطرف .

فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله أني لم آت لحرب وإنما جئت لأقضي نسكي، وأنحر بدني، واخلي بينكم وبين حماتها: فبعثوا عروة ابن مسعود الثقفي وكان عاقلا لييبا وهو الذي أنزل الله فيه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٢).

فلما أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عظم ذلك . وقال: يا محمد تركت قومك وقد ضربوا الابنية، وأخرجوا العوذ المطافيل^(٣)، يحلفون باللات والعزى لا يدعوك تدخل حرمهم وفيهم عين تطرف، أفتريد أن تبير أهلك وقومك يا محمد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما جئت لحرب وإنما جئت لأقضي نسكي فأنحر بدني واخلي بينكم وبين حماتها، فقال عروة:

(١) سورة النساء ١٠٢.

(٢) سورة الزخرف ٣١.

(٣) العوذ : جمع عوذة وهي الناقة المسنة، والمطافيل صفار الإبل والواحد منها مطفل.

بالله ما رأيت كالיום أحدا صد عما صدت ، فرجع إلى قريش وأخبرهم .

فقلت قريش : والله لئن دخل محمد مكة وتسامعت به العرب لنذلن ولتجترئن علينا العرب، فبعثوا حفص بن الاحنف وسهيل بن عمرو .

فلما نظر إليهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ويح قريش قد نهكتهم الحرب، ألا خلوا بيني وبين العرب ؟ فإن أك صادقا فإنما أجر الملك إليهم مع النبوة، وإن أك كاذبا كفتهم ذؤبان العرب^(١)، لا يسأل اليوم امرأ من قريش خطة ليس لله فيها سخط إلا أجبتهم إليه.

قال : فوافوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد إلى أن ننظر إلى ماذا يصير أمرك وامر العرب على أن ترجع من عامك هذا ، فإن العرب قد تسامعت بمسيرك فإن دخلت بلادنا وحرمتنا استذلتنا العرب واجترأت علينا ونخلي لك البيت في القابل في هذا الشهر ثلاثة أيام حتى تقضي نسكك وتنصرف عنا .

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك . وقالوا له : وترد إلينا كل من جاءك من رجالنا، ونرد إليك كل من جاءنا من رجالك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه، ولكن على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الاسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شئ يفعلونه من شرائع الاسلام.

فقبلوا ذلك، فلما أجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصلح أنكر عليه عامة أصحابه^(٢).

(١) ذؤبان العرب : صعايلهم الذين يتلصصون. وأرض مذأبة، أي ذات ذئب.

(٢) البحار ٢٠ / ٣٥٠.

ويدل الشرط النبوي الأخير أعلاه على أمور :

الأول : عناية واهتمام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصحابة الذين في مكة رجالاً ونساءً.

الثاني : شيوع أذى قريش للمسلمين في مكة ، وهذا الأذى من الإرهاب .

الثالث : إعطاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أولوية للمسلمين في مكة ، وهل من مصاديق دعاء إبراهيم كما ورد في التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(١) ، الجواب نعم .

الرابع : تعدد شروط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص سلامة مسلمي مكة في أنفسهم ودينهم ، إذ تضمن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعلاه ثلاثة شروط بيضع كلمات.

الخامس : هذه الشروط دعوة لأهل مكة لدخول الإسلام ، ومقدمة لفتحها ، وحمل رؤساء قريش على قبول هذه الشروط معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن القوانين التي جعل الله عز وجل الحياة الدنيا تتصف بها عدم استدامة الإرهاب ، فلا بد أن يزول بماهيته وسنخيته ، وأفراده ، ليقى التاريخ يبين أضراره وعدم الإنتفاع منه ، قال تعالى ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَاعِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ حَبَآءً مَّنُورًا﴾^(٢).



(١) سورة ابراهيم ٣٥.

(٢) سورة الفرقان ٢٣.

دفاع النبي وأصحابه مقدمة لصلح الحديبية

من الإعجاز مجئ قوله تعالى ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانِ﴾^(١)، ثلاث مرات بخصوص معركة بدر ومعركة أحد.

ولم يرد بخصوص معركة الخندق أو ما بعدها ، فلم يكن يوم صلح الحديبية جمع قتالي كبير للمشركون ، بينما تضاعف جمع أهل الإيمان ، لذا ورد قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٢) ، بخصوص معركة بدر ، وبصيغة الماضي (اختصموا) ولم تقل (يختصمون) لقتل المشركين الثلاثة الذين أصروا على المبارزة يومئذ وهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة.

ومن أسرار الآية أعلاه تعقب صيغة الجمع للمثنى في ذات الآية لبيان موضوع القتال ، وهو التضاد بين الإيمان والكفر معسكر ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لم يقاتلوا طلباً لدنيا ونحوه ، وأن المشركين كانوا في ضلال ، وأن معارك أخرى ستقع فلا بد من أخذ المسلمين الحائطة ، وهو لا يتعارض مع القول بأن الاثنين أقل الجمع.

و(عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذرٍ يقسم بالله قسماً : لنزلت هذه الآية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة،

(١) سورة آل عمران ١٥٥ .

(٢) سورة الحج ١٩ .

والوليد بن عتبة ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(١)، إلى آخر الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢) إلى آخر الآية^(٣).

و(عن جابر، عن عكرمة في ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٤)، قال : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته، فقد قصَّ الله عليك من خبرهما ما تسمع)^(٥).

وهذا المعنى بعيد لغة وعقلاً ولا ينهض لمعارضة المشهور وأخبار الصحابة بنزولها يوم بدر ، وورد اسم الإشارة بصيغة المذكر ، وكذا لفظ (خصمان).

وإذا كانت الحسرة تتغشى الذين كفروا لانفاقهم أموالهم هباء بقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فان زهوق أرواح رؤسائهم مثل عتبة بن ربيعة وأخيه وابنه ، وقتلهم سبب لحسرة وندامة وألم عند الكفار ، قال تعالى ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُونَ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٦).

(١) سورة الحج ١٩.

(٢) سورة الحج ٢٢.

(٣) تفسير الطبري ٥٨٨/١٨ .

(٤) سورة الحج ١٩.

(٥) تفسير الطبري ٥٨٩/١٨ .

(٦) سورة النساء ١٠٤.

خصائص صلح الحديبية دفع للإرهاب

ومن خصائص تسمية صلح الحديبية فتحاً تحقق النصر فيه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير قتال .

وعندما احتج الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) خَلِيفَةً^(٢) بأن شطراً من الناس يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء أجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ومن علمه تعالى تعالى بخصوص صلح الحديبية وجوه :

الأول : تحقق السلم والأمن في الجزيرة بعد الصلح .

الثاني : عجز المشركين عن مواصلة القتال وغزو المدينة

الثالث : ركوب الديون الكبيرة مشركي قريش لتجار الشام وغيرهم ، خاصة وأنهم كانوا يقترضون بالربا .

الرابع : اختلاط المشركين بالمسلمين وسماعهم منهم ، ونفاذ الإسلام إلى قلوبهم .

الخامس : بيعة الرضوان .

السادس : ظهور الروم على الفرس ، وفرح المسلمين بظهور أهل الكتاب ، قال تعالى ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ*فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٣) من غير خوف من قريش وكبار المشركين .

السابع : صلح الحديبية بداية لدخول الأفراد والجماعات والقبائل الإسلام .

الثامن : الدلالة على أن الإسلام دين السلم والصلح والمواودة .

(١) سورة البقرة ١٩٤ .

(٢) سورة البقرة ١٩٤ .

(٣) سورة الروم ١-٢ .

التاسع : صلح الحديبية شاهد على صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وتنزههم عن مقابلة الإرهاب بمثله.

العاشر : تلاوة القرآن في مكة جهرًا وعلانية بعد اضطهاد قريش للمسلمين.

الحادي عشر : الدلالة على أن الإسلام دين السلم الصلح والموادعة ، وهل يدل صلح الحديبية على قانون آيات السلم محكمة غير منسوخة^(١) ، الجواب نعم .

الثاني عشر : بعد شدة قتال المشركين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزوهم المدينة في معركة أحد ، والخندق إلى جانب هجوم كرز وأصحابه ثم أبي سفيان وأصحابه ، وغيرهم على أطراف المدينة رضوا بالصلح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في حال سلم وموادعة ولباس إحرام .

وهل هو من بركات البيت الحرام ، وأن الصلح لم يتم إلا في أطراف الحرم ، الجواب نعم ، وهو من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٢).

الثالث عشر : يتجلى في صلح الحديبية قانون من جهات :

الأولى : قانون التنافي بين الصلح والإرهاب .

الثانية : قانون السعة والمندوحة لتحقيق الصلح .

الثالثة : قانون الصلح حرز من الإرهاب .

الرابعة : قانون النفع العام بالصلح وإنعدامه بالإرهاب.

(١) أنظر الأجزاء (٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-٢١٠-٢١١-٢١٣) من هذا التفسير التي اختصت بهذا القانون .

(٢) سورة البقرة ١٢٩.

الخامسة : سعي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلح مع المشركين تأديب للمسلمين لإختيار الصلح فيما بينهم ، ومع أهل الكتاب ، وعامة الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(١).

معجزة تسمية الصلح فتحاً باعث للسكينة

الحمد لله الذي جعل القرآن مدرسة الأجيال ، ولا تنفذ علومه ومادة التأديب والإصلاح في سواء التي فيه ، منطوق وثنايا آياته ، أو في مفهومها ودلالاتها ، والصلة بين أول وآخر الآية^(٢) أو الصلة بين آيتين من آياته واستقراء المسائل منها أو الجمع بين آيتين من القرآن^(٣).

(١) سورة النساء ١٢٨.

(٢) من فضل الله عز وجل أفردت باباً اسمه الصلة بين أول وآخر الآية في تفسير كل آية من آيات سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران التي قمت بتفسيرها إلى الآن .

(٣) صدرت أجزاء من هذا السفر المبارك تتعلق بالصلة بين آيتين أو بشرط من آيتين وهي :

الأول : الجزء العشرون بعد المائة ، ويختص بالصلة بين الآية (١٥٢) بالآية (١٥١) من سورة آل عمران.

الثاني : الجزء الثاني والعشرون بعد المائة ، ويختص بصلة شرط من الآية ١٥٣ بشرط من الآية ١٥١ من سورة آل عمران.

الثالث : الجزء الثالث والعشرون بعد المائة ، ويختص بالصلة بين الآية (١٥٣) والآية (١٥٢) من سورة آل عمران.

الرابع : الجزء الخامس والعشرون بعد المائة ، ويختص بالصلة بين الآية (١٥٤) وشرط من الآية (١٥٣) من سورة آل عمران.

الخامس : الجزء الرابع والأربعون بعد المائة ، ويختص بالصلة بين شرط من الآية (١٦١) بشرط من الآية (١٦٤).

السادس : الجزء السادس والثمانون بعد المائة ويختص الصلة بين الآية ١٨٠ والآية ١٨١ من سورة آل عمران .

وتميل النفوس إلى الفتح واسمه ، وفيه عز ونفع ، فرزقه الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين بمعجزة من جهات :

الأولى : مقدمات الفتح بزحف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من دون سلاح نحو مكة حيث أعدائهم المشركين .

الثانية : ماهية الفتح ، لوقوعه بالصلح ، فليس من هجوم أو غزو أو قتال في هذا الفتح ، وهو زاجر عن الإرهاب إلى يوم القيامة ، لما يدل عليه من تحقيق الغايات العظيمة بالسلم والصلح مع أشد الناس على الإسلام والنبوة والتزليل وهم كفار قريش .

الثالثة : نزول آيات قرآنية بصلح الحديبية ، قال تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ^(١).

الرابعة : صيرورة صلح الحديبية أعظم فتح في الإسلام ، بل لم يرد في غيره من المعارك ونحوها أنها فتح لبيان أن الصلح والصبر والموادعة طريق الفلاح والنجاح .

ومن الغايات الحميدة لتسمية صلح الحديبية فتحاً مسائل :

الأولى : بيان قانون الإسلام دين الأمن والسلام .

الثانية : تنمية حب الصلح بين الناس عند الخصومة والشقاق .

الثالثة : جواز الصلح حتى مع المشركين .

الرابعة : صلح الحديبية من الجزاء والشكر من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال سبحانه ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(١).

وتدل الآية أعلاه على أن صلح الحديبية مفتاح لتحقيق غايات ومقاصد سامية كثيرة ، فالله عز وجل هو الذي فتح لرسوله ، وإذا أعطى الله سبحانه فانه يعطي بالأتم والأوفى .

الخامسة : وقف دق طبول الحرب ، وأخبار زحف مشركي قريش على المدينة ، وتهديدهم ووعيدهم بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقتل شطر من المهاجرين والأنصار ، وأسر الشطر الآخر .

السادسة : إمتلاء قلوب المشركين بالحنق عند صلح الحديبية لما فيه من كسر شوكتهم ، من وجوه :

الأول : إضطراب قريش للصلح .

الثاني : الإذن للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لدخول مكة في العام التالي ، وهي التي تسمى عمرة القضاء .

الثالث : إخلاء قريش مكة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مدة ثلاثة أيام في عمرة القضاء .

الرابع : عدم ممانعة قريش دخول الناس الإسلام .

الخامس : صيرورة مسلمي مكة رجالاً ونساءً أیجاهرون باسلامهم وعجز كفار قريش عن الإساءة إليهم ، ليكونوا نواة ومقدمة لدخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً بعد صلح الحديبية بأقل من ستين .

السادس : صيرورة الهجرة إلى المدينة عننية من غير أذى من المشركين .

السابع : إزدياد قوة ومنعة الإسلام ، وزيادة إيمان المسلمين .

الثامن : إصابة المنافقين باليأس والقنوط بعد أن بشوا الخوف والريب في المدينة ، قال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرْهُمْ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهََ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

السابعة : حينما عاد المشركون من معركة أحد أظهروا وهم في الطريق الندامة لعدم قتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم سبي المسلمين مع أنهم كسبوا جولة في المعركة ، وجاء صلح الحديبية ليأسوا وإلى الأبد من قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان المعركة ، ومن سبي المسلمين.

الثامنة : صلح الحديبية دعوة للسلم المجتمعي ، ونبذ للحروب والقتال ، وهو ضد للإرهاب ، وزاجر عنه .

التاسعة : ترغيب المسلمين بالصلح ، وإخبارهم بفتح الصلح لأبواب من الخير والسعادة .

(وروى الحاكم عن حنظلة بن قيس أن عبد الله بن عامر بن كريز أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغل عليه وعوذه فجعل يتسرع ريق النبي صلى الله عليه وسلم فقال (انه ليشفى) وكان لا يعالج أرضا الا ظهر له فيها الماء)^(٢).

وعن (عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أبو أسيد وأبو حميد وأبي سهل بن سعد يقولون أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بئر بضاعة فتوضأ في الدلو وردده في البئر ومج في

(١) سورة الأنفال ٤٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤١/١٠.

الدلو مرة أخرى وبصق فيها وشرب من مائها وكان إذا مرض المريض في عهده يقول إغسلوه من ماء بضاعة فيغسل فكأنما حل من عقل^(١).

العاشرة : صلح الحديبية مناسبة لإقامة المسلمين الشعائر ، وأدائهم الفرائض العبادية من غير خوف من المشركين وهجماتهم وتعليدهم ، وسعيهم في سفك الدماء ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

من معجزات النبي صلح الحديبية

وقد تكون المعجزة الواحدة متعددة في موضوعها ، وذات نفع عام وفضح للمناققين ، واسقاط لما في أيدي المشركين .

وتتعدد معجزات الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية وفيها دعوة لتعاهد نعمة الإيمان ، والشكر لله عز وجل على فضله على النبي والمسلمين ، ومن مصاديق الشكر التنزه عن الإرهاب ، والإمتناع عن إيذاء الناس أو إخافتهم ، ومن مصاديق الشكر في المقام إزدراء الإرهاب مثل :

الأولى : تسبيح الحصى بين يديه .

الثانية : شفاء المرضى بواسطة ريقه

الثالثة : سلام الحجر عليه .

الرابعة : تكثير الطعام بين يديه .

الخامسة : كلامه مع بعض الحيوانات .

السادسة : حديث الإسراء .

(١) الخصائص الكبرى ١١٠/٢ .

(٢) سورة القصص ٥ .

السابعة : حنين الجذع له ، والذي كان يخطب عليه عندما صنع له منبر.

وهل صلح الحديبية من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، فهو معجزة جليلة وظاهرة وعامة المنافع المترشحة عنها آنية عاجلة وآجلة ، ومتجددة إلى يوم القيامة ، وهو تأسيس لأنظمة السلم المجتمعي في الأرض ، ودعوة للمؤسسات والمنظمات والأفراد بنبذ العنف والإرهاب ، وبالرجوع إلى الصلح والموادعة ، قال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(١).

ووردت الآية أعلاه بصيغة الإطلاق في طرفي الصلح والخير ، وهو من الإعجاز في تقوم الحياة الدنيا بالصلح والموادعة والرأفة .
وتحتل معجزة صلح الحديبية وجوهاً :
الأول : إنه معجزة حسية .

الثاني : إنه معجزة عقلية بلحاظ صيرورة الصلح وما فيه من التنازل عن حق فتحاً عظيماً متصلاً في نفعه إلى يوم القيامة .
الثالث : المعنى الجامع ، فصلح الحديبية معجزة حسية وعقلية .
والمختار هو الأخير.

ومن خصائص معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم العقلية أو الحسية أمور :

الأول : عدم إنحصار موضوع المعجزة .
الثاني : تعدد المنافع من المعجزة .
الثالث : النفع العام من المعجزة .
الرابع : تجدد النفع من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : دخول رهط من الناس في الإسلام مع كل معجزة .

السادس : قانون المعجزة النبوية سلام وأمن .

السابع : دعوة المسلمين والمسلمات إلى التفكير في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإتخاذها نبزاساً وحرزاً من الإرهاب والتعدي .

لقد كان في خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى صلح الحديبية ومقدماته ، ووقوع الصلح ونبوته ، ودعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معجزات متعددة تفيد الصلاح والإصلاح وفضح النفاق منها ما ورد عن أبي قتادة في جريان ماء البئر قليلة لتكفي الصحابة كلهم .

قانون لا يقدر على تسمية الصلح فتحاً إلا الله

من إعجاز القرآن تضمنه لأسماء لم تطرأ على الأوهام ، وبيان منافعها واستدامة موضوعها ، وبقائها كنوزاً علمية تقتبس منها القوانين والمسائل وما يتعلق بالمسميات في القرآن أكثر من الأسماء في الذخائر والعلوم منها تفضل الله عز وجل بتسمية الصلح فتحاً ونصراً ، وهذه التسمية لطرف واحد من طرفي الصلح ، إذ قال تعالى بخصوص صلح الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١).

لقد نصر الله عز وجل النبي محمداً وأصحابه في معركة بدر ، وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢)، حيث سلّت السيوف وسقط القتلى من الطرفين ، وأيهما أكبر النصر أم الفتح في المقام ، المختار هو الثاني ، ومع هذا تم من غير إراقة دماء ، نعم هو نتيجة لصبر وجهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

وسلم وأهل بيته وأصحابه ضد الإرهاب والظلم وغزو قریش المتكرر للمدينة المنورة لإرادة الإبادة الجماعية للمسلمين.

لقد أنعم الله عز وجل على المسلمين بالفتح وقهر المشركين بالصلح ليشكروا الله عز وجل بيسط الأمن في الأرض ، وتحقيق مصداق الخليفة في الأرض ، ولم تقل الآية (انا فتحنا فتحاً) إنما قيدت الفتح بأنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١).

وهل هو خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينقطع بوفاة وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، الجواب لا ، وتقدير الآية على وجوه :

الأول : إنا فتحنا لك أيام حياتك فتحاً.

الثاني : إنا فتحنا لك بعد الصبر والدفاع فتحاً.

الثالث : إنا فتحنا لك لاثبات صدق نبوتك.

الرابع : إنا فتحنا لك ولأمتك فتحاً.

الخامس : إنا فتحنا لأجيال أمتك فتحاً باقياً إلى يوم القيامة.

ويكون تقدير الآية بخصوص عنوان هذا الجزء على وجوه :

الأول : إنا فتحنا لك فتحاً لإستئصال الإرهاب .

الثاني : إنا فتحنا لك فتحاً من غير إراقة الدماء .

الثالث : إنا فتحنا لك فتحاً بالصلح ليتنزه المسلمون عن

الإرهاب.

الرابع : إنا فتحنا لك فتحاً ليتخذ المسلمون الصلح منهاجاً فيما

بينهم ، ومع الناس كافة ، قال تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى

فَقَاتِلُوا الَّتِي تَغْيِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا
بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾.

الخامس : إنا فتحنا لك فتحاً بالصلح ليكون شاهداً على صدق
نبوتك .

السادس : إنا فتحنا لك فتحاً لمعجزات تتوالى بعده .

السابع : إنا فتحنا لك فتحاً يجعل المسلمين في غنى عن القتال
والإرهاب .

الثالث : إنا فتحنا لك فتحاً فاعملوا لما بعده من سبل الصلاح
والرشاد .

ويبين قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١) قانوناً وهو صلح
الحديبية بداية وليس نهاية ، بداية للتبليغ العام بين الناس وتلقي
دخول الناس الإسلام ، والسعي في تفقههم في الدين وسبل الصلاح
والأخلاق الحميدة والسلم المجتمعي ، وتتضمن عقيدة الإسلام كلمة
التوحيد وأصول الشريعة من التوحيد والنبوة والمعاد ، وفروع الدين
واتقانها وضبط قواعدها وأحكامها ، كالصلاة التي هي عمود الدين
، وتتضمن الأجزاء والأركان ، وترتيب أفعالها والتلاوة الواجبة .

وهي حرب على الإرهاب وممانع منه لأنها انقطاع إلى الله
وباعث للخشية منه ، قال تعالى ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة الحجرات ٩.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة العنكبوت ٤٥.

وتلقي الذين دخلوا الإسلام بعد صلح الحديبية الفرائض
العبادية دفعة واحدة .

لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم
وخفف عنه وعن الصحابة بأن منحهم الفتح بلطفه وإحسانه ، ومن
غير قتال وغزو وفتح مدينة ، فتم صلح الحديبية في أرض جرداء
على أطراف الحرم لفتح المدن بالتوالي لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم .

لذا جاءت كلمة ﴿فَتَحَا﴾ بصيغة التنكير ﴿فَتَحَا﴾ والنكرة في
سياق الإثبات تفيد العموم ، وقيل لا تفيد النكرة هنا العموم إلا مع
القرينة كما في قوله تعالى ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أُخْضَرْتُ﴾^(١) فانها تفيد العموم
بدليل قوله تعالى ﴿هَٰذَا لَكَ تُلُوْكُ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ..﴾^(٢) .

ومن معاني مصاحبة الفتح لأيام الحياة الدنيا شكر المسلم لله عز
وجل بالتقيد بسنن التقوى ، ومنها الإمتناع عن الظلم والإرهاب
والإضرار العام بالناس .

فمن خصائص الفعل الإرهابي أنه مع كونه محدوداً يتعلق
بشخص أو أشخاص معدودين يقع عليهم ضرر الإرهاب ،
ومحدودية مكانه فان ضرره عام خاصة في زمن العولمة ، ووسائل
الإعلام والتواصل الإجتماعي ، والنفرة بالفطرة من الفعل
الإرهابي.

لتبقى تسمية الصلح فتحاً دعوة للمسلمين للصبر والرضا بفضل
الله ، والعناية بالأخوة الإيمانية ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

(١) سورة التكوين ١٤.

(٢) سورة يونس ٣٠.

(١) واللفظ مع الناس جميعاً والصبر على الأذى ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

قانون انحسار الإرهاب ببركة القرآن

لقد جاء إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر وابنه إسماعيل ليقوما في مكة عند محل المسجد الحرام الذي كان شبه مهجور ، وفي دعاء إبراهيم عليه السلام ورد في التنزيل ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣).

لتؤكد هذه الآية أن البيت الحرام موجود قبل إبراهيم عليه السلام وهو الذي يدل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٤).

وتدل عليه النصوص المتعددة وأن آدم عليه السلام هو أول من حج البيت الحرام وحجه على نحو متعدد .

(عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن آدم أتى هذا البيت ألف أتيه ، لم يركب قط فيهن من الهند على رجليه ، من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة ، وأول حجة حجها آدم وهو

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

(٣) سورة إبراهيم ٣٧.

(٤) سورة آل عمران ٩٦.

واقف بعرفات أتاه جبريل فقال : يا آدم برّ نسكك ، أما إنا قد طفنا بهذا البيت قبل أن تخلق بخمسين ألف سنة^(١) .

وهل بيعة الأنصار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإيوائهم ونصرتهم له استجابة من الله عز وجل لدعاء إبراهيم عليه السلام ﴿فَجَعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٢) الجواب نعم ، وهل كان إبراهيم عليه السلام يعلم بأن نصرة الأوس والخزرج تقع للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأقرب نعم ، إذ كانت بدايات هذه النصرة بالبيت الحرام حيث بيعة العقبة الأولى والثانية .

لقد اختص الله عز وجل بالأكثر والأغلب من علوم الغيب ، قال تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) ، كما قال للملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) ، عندما احتجوا على خلافة الإنسان في الأرض للفساد والقتل بغير حق ، ومن الإعجاز في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥) .

ويلاحظ عدم احتجاج الملائكة على منصب الخلافة أو الخليفة ، إنما ذكروا خصوص المفسدين في الأرض لإرادة تنزيهاها والأمن العام للناس ، وإنعدام الإرهاب ، فالملائكة لم يرضوا بالإرهاب

(١) الدر المنثور ١/ ٢٥٢ .

(٢) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٣) سورة الاسراء ٨٥ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٥) سورة البقرة ٣٠ .

واشتكوا إلى الله عز وجل منه قبل وقوعه ، لتكون خاتمة الآية وعداً من الله عز وجل لإنحسار الفساد في الأرض .

والنسبة بين الفساد والإرهاب العموم والخصوص المطلق ، فالفساد أعم ، أما النسبة بين الإرهاب وسفك الدماء فهي العموم والخصوص المطلق ، ولكن الإرهاب هو الأعم .

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يطوف على وفود القبائل لحج البيت الحرام في السنة الرابعة لبعثته وما بعدها لأمر :
الأول : عرض نبوته على الناس .

الثاني : الدعوة إلى التوحيد ، ولم تنحصر هذه الدعوة بزيارته لوفود القبائل في مساكنها بل كان ينادي في أسواق عكاظ ومجنة وذئ الحجاز :

يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .

أي أن مجيئكم إلى مكة بسبب التوحيد ومن أجل التوحيد ، فيجتمع فيه الأمر الإلهي والسبب والعلة والموضوع والنتيجة .

الثالث : كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينتفع من مناسبة الأشهر الحرم أيام حج البيت ، وامتناع قريش قهراً وانطباقاً عن إيذائه ، فيأتي قبائل العرب قبيلة قبيلة وإلى جانب دعوته إلى التوحيد فإنه يقول لهم (يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم بها العجم فإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة وأبولهب وراءه يقول لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب) ^(١) .

ليبان أن السيادة والأمن في النشأتين لا تكون بالإرهاب أو التعدي على الأملاك العامة والخاصة ، وإخافة الناس الأمنين .

وقد تقدم ذكر أسماء القبائل التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتهم في منى ومنهم بني عامر بن صعصعة وفزارة وغسان ، وكنده وكلب وعذرة ، فلم يستجيبوا له .

وهل كان لإيذاء وتكذيب أبي لهب ورؤساء قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم موضوعية في صدور هذه القبائل عن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الجواب نعم ، إذ كانوا يقولون أن أسرتك وعشيرتك أعلم بك وهو يكذبون ما تقوله ، وتعلنه عن نبوتك ، لذا نزلت سورة كاملة في ذم أبي لهب ، قال تعالى ﴿ تَبَتُّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ ﴾^(١) ، لتكون إنذاراً وتوبيخاً له وللذين على شاكلته في محاربة النبوة .

وهل ذكر أبي لهب في القرآن بصيغة الذم لأنه أكثر الناس إيذاءً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، المختار أن ذمه لوجوه :
الأول : أبو لهب من أكثر الناس إيذاءً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : صلة قربي أبي لهب بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو عمه صنو أبيه .

الثالث : اشتراك أبي لهب مع كفار قريش في حصارهم لبني هاشم ، بينما دخل بنو هاشم مؤمنهم وكافرهم في شعب أبي طالب في الحصار وامتنعوا عن تسليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكفار قريش ليقتلوه .

الرابع : منع إفتتان الناس بمحود أبي لهب بالنبوة ، وهو عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : رؤية أبي لهب آيات النبوة من حين ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأم أبي لهب لبنى بنت هاجر بن خزاعة ، بينما أم عبد الله أبي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم ، وهي أم كل من :
الأول : عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : أبو طالب بن عبد المطلب .

الثالث : الزبير بن عبد المطلب .

الرابع : البيضاء بنت عبد المطلب .

الخامس : مرة بنت عبد المطلب .

السادس : عاتكة بنت عبد المطلب .

السابع : أروى بنت عبد المطلب .

الثامن : أميمة بنت عبد المطلب .

وليس من وأد عند بني هاشم .

وأبو لهب الذي اشتهر بكنيته التي كناه بها أبوه لحسن وجهه ، وقيل كني أبا لهب مقدمة لما يصير إليه من لهب نار جهنم ، و(اصطرع أبو طالب وأبو لهب ، فصرع أبو لهب أبا طالب ، وجلس على صدره ، فمد النبي صلى الله عليه وسلم بذؤابة أبي لهب ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ غلام .

فقال له أبو لهب : أنا عمك ، وهو عمك ، فلم أعتته علي .

فقال : لأنه أحب إلي منك . فمن يومئذ عادى أبو لهب النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ، واختبأ له هذا الكلام في نفسه (١) .

(١) مختصر تاريخ دمشق ٤٠٧/٨ .

ونزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) ليكون الإنذار من الشرك ، ومن الظلم ، ومن الإرهاب .

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في التصدي للإرهاب وبيان حرمة ، ومن الإعجاز في محاربة القرآن والسنة للإرهاب .

حتى إذا ما أظهر رأسه باغواء الشيطان وجنوده من الجن والإنس واغتربه بعض الأفراد والجماعات توجه إليهم القرآن والسنة من جديد للتوبة والإنابة ، وهجران الإرهاب وبيان خلوه من المنفعة أو الفائدة للذات أو الغير أو الملة ، وهو الذي يدل عليه الوجدان .

لقد كان هناك تناسب عكسي بين نزول القرآن والإرهاب ، فكلما نزلت آية قرآنية افترض جانب من الإرهاب ، وضاعت مساحته وتخلّى عنه جماعة وطائفة من الناس ، وهو من أسرار نزول القرآن نجوماً ، ومن بركات القرآن عجز كفار قريش عن تحقيق غاياتهم الخبيثة من الإرهاب والغزو والظلم ، وإشاعة المنكرات وسفك دماء الأبرياء والمستضعفين ، إذ نزل القرآن لحفظهم ومنع التعدي عليهم وإرهابهم .

وهل كانت آيات القرآن حاضرة بين صفوف جيوش الكفار في معركة بدر وأحد والخندق لتذرهم وتزجرهم ، المختار نعم . وهو من أسرار هزيمة المشركين في معركة بدر ، وعجز ثلاثة آلاف مشرك من تحقيق النصر في معركة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وهو من مصاديق قانون انحسار الإرهاب ببركة القرآن ، كما كان القرآن حاضراً بجلاء بين صفوف المسلمين يشيد بحضورهم

، ويحثهم على الذب عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،
وعن القرآن .

فمن بركات القرآن دفاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والصحابه عن آياته وسوره التي نزلت في مكة ، وآياته وسوره التي
نزلت في المدينة ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١) ^(٢).

قانون إجتهد النبي (ص) بالدعوة من أيام البعثة الأولى

يجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة والتبليغ من
جهات :

الأولى : التبليغ العلني في موسم الحج من السنة الرابعة للبعثة
النبوية وإلى حين الهجرة إلى المدينة في السنة الثالثة عشرة منها.

الثانية : الدعوة اليومية لقريش ، قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣).

الثالثة : دعوة أهل مكة والساكنين بجوار البيت الحرام ، قال
تعالى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٤).

الرابعة : اتخاذ النبي المسجد الحرام محلاً للدعوة .
لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على أداء
الصلاة في المسجد الحرام بمرأى ومسمع من قريش ، وفيه مسائل :

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) انظر الجزء السابع والخمسين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه
الآية وبيان أسباب نزولها وموضوعها.

(٣) سورة الشعراء ٢١٤.

(٤) سورة الشورى ٧.

الأولى : قانون صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام دعوة إلى الإسلام .

الثانية : قانون صلاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام من ذكر الله قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً .

الثالثة : قانون صلاة النبي في المسجد الحرام حرب على عبادة الأوثان ، ودم للذين كفروا .

الرابعة : إرادة النبي تغليب الحوار والإحتجاج .

الخامسة : التذكير بملة إبراهيم عليه السلام ، ووجوب عبادة الله .

السادسة : زجر المشركين عن الإرهاب ، ومنع أجيال المسلمين منه .

ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في المسجد الحرام في بدايات الدعوة وحده بل كان الإمام علي السلام وأم المؤمنين خديجة يصليان معه صلاة جماعة أحياناً ، وكذا الصحابة الأوائل .

ليكون من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تشريع صلاة الجماعة من أول أيام البعثة النبوية لما فيها من سبل الهدى ، وقد تقدم حديث عفيف الكندي ، وكيف انه كانت له تجارة مع العباس عبد المطلب ، وينزل في ضيافته في مكة ، فشاهد في موسم الحج في منى كيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ثم قام يصلي ، وجاء خلفه الإمام علي عليه السلام وخديجة .

لتكون هذه الصلاة دعوة عملية إلى الإسلام والأمن المجتمعي ، ونداء استغاثة إلى أولي الأبواب لإتقاذ أنفسهم من براثن الكفر والضلالة والعتو والتعدي وقهر المستضعفين .

وجاء شد العضد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن حين ابتداء دعوته من جهات :

الأولى : نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية : ابتداء سور القرآن بنزول قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١)، وهل ذكر الله كثيراً من مصاديق قوله تعالى ﴿اقْرَأْ﴾، الجواب نعم .

الثالثة : قصر السور المكية ، وحفظ الناس لها .

الرابعة : لقد كان الإنذار والوعيد في السور المكية من ذكر الله ، وفيها ترغيب للناس بذكر الله ، وصيرورته جزء من الواقع اليومي لتمتلاً الدنيا بالبهجة وتنزل على المسلمين وعامة الناس البركة ، فتواظب أمة على الذكر وتتنزه عن الظلم فيأتي الخير والرزق الكريم للناس جميعاً ، وتصرف عنهم ضروب البلاء ، لذا فاجتناب الإرهاب باب لنزول أفراد غير متناهية من الرحمة من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

الخامسة : إسلام عدد من أهل البيت والصحابة الأوائل رجالاً ونساءً

السادسة : دفاع أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحياطته له ، وفدائه بنفسه وأولاده ليكون في ذبّه عن رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأيينه له نسخاً ونقضاً لقبیح فعل أبي

(١) سورة العلق ١.

(٢) سورة الأعراف ٥٦.

لهب ، ومنعاً للناس للإفتتان بمحاربته للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه عمه.

السابعة : تحمل بني هاشم الحصار الذي فرضته قريش عليهم بسبب نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد جعل الله عز وجل البيت الحرام محلاً لذكره ودعائه ، ومنه مناسك الحج فهي ذكر قولي وعملي لله عز وجل ، وفي خطاب وأمر إلى إبراهيم عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(١).

ليكون هذا الحجى والزحف العام سلاماً ودعوة للأمن العام ، ومقدمة لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليرى رجالا قريش ميل الناس في موسم الحج إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانصاتهم له.

فيتعظوا ويحْتَبُوا إِيذَاءَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأَصْحَابَهُ ، ويدل نداء إبراهيم بالحج وحجى الناس من الأماكن القريبة والبعيدة إلى مكة على إرادة الله استتباب الأمن في الأرض والمقرون بالذكر ، وبعث النبي محمد لتحقيق السلم المجتمعي العام ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢).

ليبان أن النبي محمداً الإمام في محاربة الإرهاب والزجر عنه ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣).

(١) سورة الحج ٢٧.

(٢) سورة البقرة ٢٠٨.

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

وأدركت قریش عجزها عن صدّ ومنع الناس عنه ، خاصة أن الحج يقع في أشهر منها شهر ذي القعدة وذی الحجة وهما من الأشهر الحرم ، فلا يستطيعون الإضرار بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فساروا إلى أبي طالب ليحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ترك الدعوة ، وهذا المسير مكرر ، وممن مشى إلى أبي طالب ليثني النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن دعوته عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان صخر بن حرب ، وأبو البختري ، والأسود بن عبد المطلب وأبو جهل ، واسمه عمرو بن هشام ، والوليد بن المغيرة ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، والعاص بن وائل بن سعيد ، فقالوا (يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه . فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه) (١).

بحث أصولي: أقسام الخبر من جهة الصدق والكذب

وينقسم الخبر من جهة المتن إلى أقسام :

القسم الأول : خبر مقطوع بصدقه .

ومنه الخبر الذي يفيد العلم واليقين ، ويمتنع ديبب الكذب إليه ، ويترشح العلم عن الضرورة أو الإستدلال والنظر ومنها :

الأول : البديهيّات والمتسالم عليها عقلاً ونظراً مثل الاثنين نصف الأربعة ، ومثل الملازمة بين طلوع الشمس والنهار ، وبين إطلالة الهلال وبداية الشهر القمري كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٢).

(١) أنظر السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٧٣.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

الثاني : الخبر الذي يدرك بالإستدلال مثل الكبرى كل ممكن محتاج الصغرى الإنسان ممكن ، النتيجة الإنسان محتاج .

الثالث : ملازمة الصدق للخبر مثل نزول القرآن من عند الله عز وجل .

الرابع : قانون الخبر الصادر عن رسول الله صدق لإخباره عن الله عز وجل ، ولعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) .

الخامس : خبر الطائفة والجمع الكثير عن صفة خاصة أو طائفة يتصفون بها فلا بد في قولهم صدق ، كقول كل فرد من الجماعة أنا فقير .
أو بيان طائفة لأمر وأحكام الشريعة كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢) .

لتدل الآية أعلاه على أن المراد من الطائفة ليس الفرد الواحد كي يستدل بها على حجية خبر الواحد لأنه لفظ الطائفة قد يراد منه لغة الفرد الواحد ، إنما يراد في الآية الجماعة كي يحفظوا الأحكام ويمتنعوا عن التحريف أو التغيير فيها .

السادس : الخبر الذي تتفق عليه الأمة فهو من الإجماع الذي يكون حجة .

السابع : الخبر المتواتر الذي يرويه جماعة عن جماعة ، وبما يدل على عدم تواطئهم على الكذب سواء كان النداء لفظياً كحديث المنزلة ، أو معنوياً كحديث الإسراء .

(١) سورة النجم ٣-٤ .

(٢) سورة التوبة ١٢٢ .

الثامن : الخبر المحفوف بالقرائن التي تشهد له بالصدق ، وتمنع من نعته بالكذب .

القسم الثاني : الخبر المردد بين الصدق والكذب فلا يمكن القطع بصدقه ، ولا بكذبه ، وهو على أقسام :

الأول : الذي يترجح فيه طرف الصدق سواء من جهة رجال السند أو المتن والموضوع .

الثاني : الذي يترجح فيه طرف الكذب كخبر الفاسق ويدل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١) على عدم الملازمة بين خبر الفاسق والكذب ، فليس كل ما يخبر به الفاسق كذباً وزوراً ، لذا أمرت الآية أعلاه بالتبين عندما يأتي الخارج عن طاعة الله عز وجل بالخبر وعدم طرحه من رأس .

الثالث : الخبر الذي يتساوى فيه طرف الصدق والكذب ، وتقع مباحث علم الأصول في القسم الأول أعلاه كخبر العدل والثقة ونحوه وهو المسمى خبر الواحد ، أو خبر الآحاد ، وجعلت فيه شروط من جهات :

الأولى : شروط خاصة بالراوي .

الثانية : شروط بذات المتن .

الثالثة : ألفاظ الخبر .

القسم الثالث : الخبر المقطوع بكذبه وعدم صحته ، وهو ساقط ولا يأخذ به العقلاء ويرد من جهة المتن ، ولا تصل النبوة إلى السنة ومناقشته مما يكون خلاف الضرورة أو الفعل أو الحس والوجدان ، ومنه مثلاً مدعي النبوة كذباً وهو على قسمين :

الأول : مدعي النبوة قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن غير معجزة تدل على صدق دعواه .

الثاني : مدعي النبوة بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو خاتم النبيين قال تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^(١).

ولم يرد لفظ (خاتم) في القرآن إلا في الآية أعلاه .
وقد اجتهد علماء الإسلام لإسقاط الخبر الموضوع والذي يتعارض مع الكتاب والسنة ، وما يكون من الكذب .
وقيل تدل الآية على أن الأصل في مجهول الحال عدم العدالة فلا يؤخذ بشهادته أو روايته .

ولا دليل على استقراء هذا المعنى من آية البحث إنما جاءت بمفهوم الشرط وخصوص الذي ثبت فسقه وخروجه عن الطاعة .
وهل تدل الآية على إرادة خصوص المتجاهر في الفسق لأن هذا التجاهر يكشف حاله ، المختار الآية أعم .

إنما يتعلق الجهر بالفسق بخصوص جواز الغيبة للمتجاهر بالفسق ، والمختار أنه ليس غيبة لأن الله عز وجل نهى عن الغيبة مطلقاً قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) فلا بد من اختيار اسم وعنوان آخر له .

ففي الآية تأديب واصلاح للمسلمين وتنمية للأخلاق الحميدة ، واجتناب فعل السيئات لأنه قبيح بذاته ويجلب الأذى لصاحبه فيجعله منبوذاً لا تصدق الجماعة بقوله ، ولا تقبل شهادته .

(١) سورة الأحزاب ٤٠.

(٢) سورة الحجرات ١٢.

لقد أراد الوليد بن عقبة إيذاء بني المصطلق لعداوة سابقة معهم قال ابن جزى : (إن جاءكم فاسق بنياً فتبينوا سببها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم فروى أنه كان معادياً لهم فأراد إذايتهم فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنهم قد منعوني الصدقة وطرردوني وارتدوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم بغزوهم ونظر في ذلك فورد وفدهم منكبين لذلك.

وروي أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متلقين له فرآهم على بعد ففرع منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال وروى أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه فانصرف وقال ما قال فالفاسق المشار إليه في الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفاسق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم^(١).

من معاني الآية عدم تصديق وإتباع الخبر الذي يؤجج العواطف ، ويشير المساعر ، ويحرك أسباب الفتنة النائمة ، أو الذي يوجه فتنة مستحدثة في الوطن وبين أفراد الشعب أو الملة الواحدة ، سواء كان الخبر حقيقة وصدقاً أو كذباً لقاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

لابد من الإحتراز من نقل الأخبار التي تحض على الإرهاب ، أو التي تزين صورته ، وتتجاهل ضرره ويجب الإعراض عن أهل الشغب والنفاق والغوغاء لأن الإسلام دين السلام والأمن والتراحم.

(١) ابن جزى / التسهيل لعلوم التنزيل ٦٦/٣.

واستدل على حجية خبر الواحد بآية السؤال ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، ولكن القدر المتيقن منها تحصيل العلم ويأتي التعبد بالجواب الصادر من أهل الذكر وليس من الراوي والناقل للخبر أو الفتوى فقد لا يرقى الراوي إلى مرتبة أهل الذكر. والأمر بسؤال أهل الذكر دليل على حرمة الإرهاب لأنهم ينهون عنه.

ولا بأس من قراءة آيات القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس والنظر في الآيات التي تدل على حجية خبر الواحد أو على خلافه.

ومن الآيات التي تدل على حجيته قوله تعالى ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢)، فقبل موسى عليه السلام التحذير، وخرج إلى أرض مدين، وكان فيه نجاته من قوم فرعون.

مساجد المدينة دعوة لنبيذ الإرهاب

قد تقدمت الإشارة إلى هذا القانون في الجزء السادس والثلاثين بعد المائتين، والمساجد التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة في المدينة المنورة معجزة حسية خالدة ظاهرة للأجيال، ويحتمل وجوهاً:

- الأول: إنشاء المسجد النبوي معجزة.
- الثاني: كل مسجد في المدينة المنورة أيام النبوة معجزة.
- الثالث: مساجد المدينة المنورة مجتمعة معجزة واحدة.

(١) سورة الأنبياء ٧.

(٢) سورة يس ٢٠.

الرابع : المسجد النبوي معجزة مستقلة ، والمساجد الأخرى معجزة أخرى .

الخامس : المساجد التي انشئت قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومسجده معجزة ، وما أنشئ بعد الهجرة النبوية ليس بمعجزة .

والمختار هو الثاني أعلاه ، نعم معجزة بناء المسجد النبوي آية خالدة إلى يوم القيامة ، ولكن هناك مساجد صغيرة في المدينة سبقت انشائه ، وأول مسجد بني في الأرض هو المسجد الحرام ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ثم المسجد الأقصى .

و(عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟

قال : المسجد الحرام .

قلت : ثم أي؟

قال : المسجد الأقصى قلت : كم بينهما؟

قال : أربعون سنة)^(٢) .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التباين في مساحة وبناء المساجد ، فقد ينشأ المسجد على أرض صغيرة أو كبيرة ، وقد يبنى من القصب أو الطوب أو الطابوق ، وقد يكون بلا سقف أو سقفه من الجريد وجذوع النخل ، ليس له جدران عالية ، وقناديل ، وهي خالية من ذوي اللباس الخاص ، وهيئة الوقار ، وما يبعث الهيبة في النفوس .

وكان مسجد الرسول في بدايته بطول (٣٥) م ، وعرض (٣٠) م ، لتكون مساحته (١٠٥٠) م وكان إرتفاعه (٢,٥) م .

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) الدر المنثور ٢/٣٨٤ .

ومثلاً كان سور مسجد الكوفة من القصب بني سنة ١٧ للهجرة (٦٣٨) م وإن كان موجوداً بالأصل من قبل الأنبياء السابقين ، وأنشئ مسجد البصرة سنة ١٤ هجرية - ٦٣٥ م مسقفاً بالقصب على عمد من جذوع النخل ، ويحيط به خندق .

إنما كان بناء المساجد بسيطاً ، وتحدد القبلة فيه ، وليقع أثرها في النفوس ، وتكون محلاً للتذكير بالله عز وجل ، ولزوم عبادته بالصلاة والفرائض الأخرى ، قال تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمْ نَمِيتْ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

وإنشاء المدينة المنورة قديم ، إذ انشئت قبل الهجرة النبوية بنحو ١٥٠٠ سنة ، وكانت تعرف باسم يثرب ، وورد هذا الاسم مرة واحدة في القرآن حكاية عن المنافقين اثناء حصار ومعركة الخندق ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(٢) .

إذ ورد نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تسميتها يثرب ، وقال ان اسمها (طيبة) .

وكانت المدينة مثل مكة تقريباً بعيدة عن سلطان الدول العظمى آنذاك مثل دولة الروم وفارس ، ويمتحن أكثر أهلها الزراعة ، خاصة أشجار النخيل ، وتصدر المدينة التمور إلى مكة والمدن القريبة ،

(١) سورة البقرة ١٥٠.

(٢) سورة الأحزاب ١٣.

وانشئت فيها عدة أسواق مثل سوق الحرف ، وسوق زبالة ، وسوق واد بطحان ، كما أنشأ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة سوق المناخة ، وهو سوق المدينة (عن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل للمدينة سوقاً أتى سوق بني قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضر به برجله وقال: "هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج")^(١) .

وفي المدينة صناعات يدوية متعددة مثل السيوف ، والفؤوس ، والقذور ، والحلي الذهبية والفضية يدير عدداً منها اليهود .
وقد سادت في المدينة حروب متقطعة بين الأوس والخزرج لنحو مائة وعشرين سنة آخرها حرب بُعث قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات .

لقد هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة للنجاة من إرهاب وبطش كفار قريش ، ففتح الله عز وجل له أبواب الدعوة .

بعد أن كان صابراً على أذاهم وسعيهم في منعه وأصحابه من الصلاة في المسجد الحرام ، مع أنه لم يبن وترفع قواعده إلا للصلاة ، وفي دعاء إبراهيم ورد في التنزيل ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى

(١) تاريخ المدينة المنورة ٢٠٠/١.

(٢) سورة إبراهيم ٣٧.

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ^(١).

والمشهور أن مسجد قُباء أول مسجد بني في المدينة المنورة ، لأن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بناه وصلى فيه أول دخوله لأطراف
المدينة ، وقيل هو أول مسجد لعامة المسلمين في المدينة .

ولكن ورد (عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا
النبي صلى الله عليه وسلم سنتين نعلم المساجد ونقيم الصلاة)^(٢) .
وحتى مسجد قُباء ذكر أن الصحابة الأنصار والمهاجرين الذين
سبقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بنوه .

والمشهور والمختار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي
بنى مسجد قُباء ، وكان أول عمل له عند دخوله المدينة لبيان أن
الهجرة عمل عبادي خالص لوجه الله .

(و)عن الشموس بنت النعمان قالت نظرت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد قباء فرأيت أنه يأخذ
الحجر أو الصخرة حتى يهصره أي يميله وأنظر إلى بياض التراب
على بطنه وسرته .

فيأتي الرجل من أصحابه فيقول بأبي وأمي يا رسول الله أكفيك
فيقول لأخذ مثله حتى أسسه ويقول إن جبريل عليه السلام هو يؤم
الكعبة قالت فكان يقال إنه أقوم مسجد قبله قلت لعل هذا في بناء
غير الأول بعد تحويل القبلة ، فقد روى ابن شبة إن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لما ورد قباء صلى بهم في مسجد قباء إلى بيت
المقدس .

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣/٢٦٧.

ثم روى إنه صلى الله عليه وآله وسلم بنى مسجد قباء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم وقال جبريل يؤم بي البيت وأن أبن راحة كان يقول وهم يبنون في مسجد قباء. أفلح من يعالج المساجدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المساجدا فقال عبد الله. يقرأ القرآن قائما وقاعدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقاعدا^(١).

ويقع مسجد قُباء عند بني عمرو بن عوف في أطراف المدينة من جهة مكة حيث قدم عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته .

وجاء الأنصار يسلمون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولبت عندهم بضع عشرة ليلة بنى فيها مسجد قُباء وصلى فيه قبل أن يتوجه إلى مركز المدينة ويبنى مسجده .

وأصل اسم قُباء أنه بئر وسميت القرية باسمه وفيها مساكن بني عمرو بن عوف ، ويقع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة المنورة ، وتم بناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له في أول أيام السنة الأولى للهجرة النبوية الموافق سنة ٦٢٢ م .

و(عن أبي سعيد الخدري قال : اختلف رجلان رجل من بني خدرة ، وفي لفظ : تماريت أنا ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى .

فقال الخدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال العمري : هو مسجد قباء . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو هذا المسجد ، لمسجد رسول الله

(١) السهمودي (٨٤٤-٩١١) هجرية/خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ١/١٨٤.

صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : في ذلك خير كثير ، يعني مسجد قباء^(١).

لقد دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بلواء السلم ورايات الذكر ومواضع العبادة ، وهي رسالة إلى أهل ذلك الزمان ، وكل زمان إلى يوم القيامة أن الإسلام دين الذكر والسلم الذي يتبرأ من الإرهاب ، ويتعد عنه .

وسيبقى بناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للمساجد في المدينة شاهداً على الملازمة بين بنائها وعمارتها بالصلاة وبين التقوى والخشية من الله عز وجل ، وهو وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : بناء المساجد تقوى .

الصغرى : الإرهاب ضد التقوى .

النتيجة : الإرهاب ضد بناء المساجد .

التقى الجمعان

لقد ورد لفظ ﴿التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٢) أربع مرات في القرآن كلها في لقاء قتال بين أهل الإيمان والمشركون ، وهي :

الآية الأولى : قوله تعالى ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) والآية خاصة بمعركة بدر التي وقعت

في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وفيه قوله

تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) الدر المنثور ٥/١٦٢.

(٢) سورة آل عمران ١٥٥.

(٣) سورة الأنفال ٤١.

وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيِ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١﴾ .

ليبيان إعجاز قرآني وهو تفسير ماهية الجمعين ، والتضاد بينهما في العقيدة والمبدأ ، فوقع القتال بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من جهة وبين الكفار ، فنصر الله عز وجل نبيه ، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢) .

والمختار أن المقصود بالخطاب نصركم هو أن الله عز وجل نصر النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأجيال المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة ، وقد تقدم تفسير ﴿التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ بالتقدير (٣) .

لقد زحفت جيوش قريش صبيحة يوم بدر من جهة (العَقَنَقْل - وَهُوَ الْكَيْبُ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ إِلَى الْوَادِي) (٤) .

فلما رآهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يخف ولم يرتجف منهم ، ولم يندب أصحابه للقاء في الحال ، إنما توجه إلى سلاح الدعاء ، وهو من الشواهد على صدق نبوته ، ومن معجزاته لأن الدعاء سلاح الأنبياء .

وقد يقال كل مؤمن يدعو الله ، والجواب هذا صحيح ، ولكن دعاء النبي بالسراء والضراء ، وعند الرخاء والشدة ، وهل هو من

(١) سورة آل عمران ١٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٣) أنظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ١٠٩ .

(٤) السيرة / ابن هشام ٦٢١/١ .

مصاديق قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(١) الجواب نعم .

وفيه دعوة لأجيال المسلمين بالصبر على الأذى ، وعدم ترتب فعل على الغضب والغبن ، ولزوم نبذ العنف والإرهاب ، قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

والنسبة بين الذكر الذي تذكره الآية أعلاه والدعاء هي العموم والخصوص المطلق ، إذ قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيْلَانِهَا وَفَخَرَهَا ، تُحَادِّثُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَصَرِّكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمُ الْغَدَاةَ)^(٣).

أي اللهم أهلك المشركين هذا الصباح ، لبيان موضوعية مضامين هذه الآية في تحقيق النصر والغلبة على الذين كفروا.

لقد تفاخر بعض الصحابة عند إنكسار كفار قريش ، فقائل يقول : قتلت ، قائل : أسرت ، فنزل قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾^(٤) ، لبيان أن الدعاء والذكر يجلب النصر الفعلي من عند الله سبحانه .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام يوم بدر (أعطني قبضة من حصباء الوادي ، فرمى بها في وجوههم وقال :

(١) سورة آل عمران ١٩١.

(٢) سورة الأنفال ٤٦.

(٣) السيرة / ابن هشام ٦٢١/١ .

(٤) سورة الأنفال ١٧.

شاهت الوجوه " فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه ، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم)^(١).

ليبان سوء عاقبة الإرهاب بأن لحق الخزي والخيبة والخسارة مشركي قريش.

الآية الثانية : قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

نزلت هذه الآية الكريمة بخصوص معركة أحد ، وترك طائفة من الصحابة مواقعهم ، وصيرورة جماعة منهم بحال الفرع عندما جاءت خيل المشركين من الخلف ، وكانت برئاسة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، ومن إعجاز القرآن ورود العفو عنهم من الله في ذات الآية الكريمة .

وعن (كليب ابن وائل قال : جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان أكان شهد بدرأ؟ قال : لا .

قال : أكان شهد بيعة الرضوان؟

قال : لا .

قال : أفكان من الذين تولوا يوم التقي الجمعان؟

قال : نعم .

ف قيل له : إن هذا يرى أنك قد عبتة .

(١) الكشف ٣٤٩/٢.

(٢) سورة آل عمران ١٥١.

فقال : عليّ به .

أما بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ضرب له
بسهمه ،

وأما بيعة الرضوان فقد بايع (له) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم ويد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من يد عثمان .

وأما الذين تولوا يوم التقى الجمعان (فإن الله قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ
تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾^(١) فاذهب فاجهد عليّ جهداً)^(٢) .

ويوم التقاء الجمعين في هذه الآية هو معركة أحد ، وهي غير
معركة بدر واللقاء فيها لبيان تعدد القتال بين النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وأصحابه من جهة وبين المشركين ، وفيه دعوة للمسلمين
والناس جميعاً لدراسة وجوه الالتقاء والإفتراق بين المعركتين ، ومن
وجوه الالتقاء بلحاظ قانون هذا الجزء أمور :

الأول : المشركون هم المعتدون في المعركتين .

الثاني : قطع المشركين المسافات الطويلة للقتال والتعدي وسفك
الدماء .

ففي معركة بدر قطعوا ثلاثمائة كيلو متر من مكة إلى ميدان
المعركة ، وأما في معركة أحد فالحجة عليهم أظهر وأبين ، إذ زحف
ثلاثة آلاف منهم بأسلحتهم ومؤنهم أربعمائة وخمسين كيلو متر
ليطلقوا على المدينة المنورة يريدون غزوها واقتحامها فخرج لهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بألف من الصحابة انخزل منهم

(١) سورة آل عمران ١٥١ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٢/٢٥٢ .

ثلاثمائة في الطريق الى المعركة مع أن طوله (٥) كم فقط بتحريض من رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول ، إذ نادى (أطاعهم وعصاني والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا ، فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام من بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضرهم عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم ، ولكن لا نرى أن يكون قتال)^(١).

وقصده من أطاعهم أي استمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الذين ألحوا بالخروج للقتال خاصة أولئك الذين فاتهم حضور معركة بدر من الأنصار .

وكان رأي عبد الله بن أبي سلول البقاء في المدينة لقتالهم واتخذ من هذه المسألة ذريعة باطلة للإنسحاب .

وعندما زحف المشركون في معركة الخندق حفر المسلمون الخندق ، ولم يكونوا قد تهيأوا له في معركة أحد ، كما أن المنافقين إنسحبوا من المراقبة داخل الخندق بحجة انكشاف بيوتهم ونحوها مع إثارتهم الهلع والفرع والخوف في المدينة ، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّا زُرَّاهُ﴾^(٢).

ليكون من معاني تقدير قوله تعالى ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ بخصوص معركة أحد (يوم التقى الجمعان مع إنخزال وغدر

(١) الدر المنثور ٢/٤٨٠.

(٢) سورة الأحزاب ١٣.

المنافقين) ومع هذا لم ينتقم أو يبطش بهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل لم يدع إلى اعتزالهم وهو من معاني الرحمة العامة في نبوته ، وفيه دعوة للمسلمين للصبر وتحمل الأذى ، وعدم اللجوء إلى العنف ، إنما هو الدعاء والتقوى.

فلم يسخط النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عبد الله بن أبي سلول ، وكان لا يرده في مسألة ، وحينما حاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني قينقاع من اليهود لنقضهم العهد ، ونزولهم على حكمه وكانوا حلفاء للخزرج وعبد الله بن أبي سلول من رؤساء الخزرج جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يهبهم له فوهبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وكان عددهم (ثلاثمائة وأربع وأربعمائة) ^(١).

ليبان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقتل يهود المدينة وأنه يغفو عنهم ويهبهم حتى لرأس النفاق مع أن الأنصار لم يعودوا يكرمونه لشدة إيذائه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي نزل في ذمه قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلَئِنَّ الْعُرَّةَ لَبِسُورَةٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢).

ليبان أن النبي محمداً لم يقتل اليهود ، ولم يسب نساءهم إنما كان في حال دفاع ضد المشركين الذين لم يكتفوا بلقاء الجمعين في معركة بدر وأحد ورجوعهم بالخزي والخيبة في كل منهما إنما زحف

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١١٤/٥.

(٢) سورة المنافقون ٨.

عشرة آلاف منهم في معركة الخندق ، ولم يكتفوا بالنزول على بعد (٥) كم من المدينة بل بادروا للهجوم ، عليها وغزوها واستباحتها لولا أن فاجأهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بحفر الخندق بمشورة من سلمان الفارسي في معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإرادته السلم ونبذ العنف وصرف أسباب ومقدمات القتال.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّيِّبِ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^{(١)(٢)} والآية بخصوص معركة أحد أيضاً ، والتي كانت خسارة المسلمين فيها أكثر من أي معركة أخرى ، إذ فقدوا سبعين شهيداً مع كثرة جراحات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه.

ويدل عليه قوله تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) ، لبيان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خرجوا مع كثرة جراحاتهم في اليوم الثاني لمعركة أحد خلف جيش المشركين بعد أن بلغهم خبر عزمهم على العودة للإغارة على المدينة^(٤).

(١) سورة آل عمران ١٦٦.

(٢) أنظر الجزء التاسع والأربعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية .

(٣) سورة آل عمران ١٧٢.

(٤) أنظر الجزء السادس والخمسين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

ومع مجئ الآية أعلاه في بيان دفاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فانها أظهرت التضاد بين القرآن والإرهاب بأن قيدت الأجر العظيم في النشاطين بأمرين وهما :

الأول : الإحسان وورد لفظ (احسنوا) بصيغة الإطلاق في موضوعه وجهة مطلقة وتقدير الآية : واحسنوا الى الناس جميعاً ، ولا يخفى على أحد التباين والتضاد بين الإحسان والإرهاب فهذه الآية تدل على حرمة الإرهاب والتفجيرات العشوائية ضد أي طائفة أو جماعة أو أفراد وباسقاط الثأر والانتقام.

الثاني : التقوى والخشية من الله عز وجل ، ومنها الرأفة بالعباد واجتناب سفك الدماء والتفجيرات وحينما توعد قاييل أخاه هايل بالقتل تمسك هايل بالتقوى ليفارق الدنيا بها ذخيرة وحرزاً ، وفي التنزيل ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَكَمْ يَتَقَبَّلُ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

وهل اذن الله بقوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(٢) ، سبب أو علة لما أصاب المسلمين ، الجواب لا ، إنما تخبر الآية عن كرامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عند الله ، وأنه سبحانه لا يرضى أن يصيبهم شئ إلا بعد إذن منه ، وليبيان نكتة عقائدية وهي أن للمصيبة التي تنزل بالمؤمنين حداً محدوداً لا تتجاوزوه ، كما يسمونه في هذا الزمان بالخط الأحمر ،

(١) سورة المائدة ٢٧.

(٢) سورة آل عمران ١٦٦.

وإن كان قياساً مع الفارق ، فالآية بشارة عدم تعدي المصيبة أكثر مما وقع .

وفيه دعوة للمسلمين للصبر عند المصيبة والتحلي بالحكمة ، وعدم الهلع والمبادرة إلى الانتقام والإرهاب.

ومن الآيات في المقام عدم وقوع خسارة كبيرة للمسلمين في معركة الخندق التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة مع أن جيش المشركين فيها أكثر من ثلاثة أضعاف عددهم في معركة أحد التي وقعت في السنة الثالثة للهجرة .

ترى ما هي النسبة بين هذه الآية والآية الأخرى المتقدمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾^(١) الجواب هو العموم والخصوص المطلق.

ففرار وتولي طائفة من الصحابة من ميدان المعركة جزء من المصيبة التي تعرض لها المسلمون ، وهو مقدمة لها ، وفيها إنذار للصحابة بأن هزيمة وفرار طائفة منكم سبب لخسارة جسيمة تصيب الجيش ، وخطر يهدد حياة وشخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستدامة التنزيل ، فلا بد من الإعتاظ والإعتبار في المعارك اللاحقة .

ومن أهم الغايات الحميدة لهذا الإعتاظ سيادة السلم والأمن ، وتوقف حال الإقتتال وسفك الدماء ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ، في رد الله عز وجل على الملائكة

(١) سورة آل عمران ١٥٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

حينما احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، لتدنيسها بالفساد من قبل طائفة من الناس وسفكم الدماء.

لتأتي معركة حنين ومع مباغته هوازن وثقيف للمسلمين يومئذ فانهم لم يفرّوا ، ومن انسحب منهم سرعان ما عاد إلى ميدان المعركة ، وأحاط بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقاتل بين يديه ، وهل ينفع الذكر في المقام ، الجواب نعم من وجوه:

الأول : قانون ذكر الله والمواظبة عليه واقية من الفرار ، ومانع من إغراء العدو ومواصلته الإرهاب والقتل.

الثاني : قانون الملازمة بين ذكر الله وحسن التوكل عليه وكل منهما حصن من الإرهاب والظلم والتعدي وكذا بالنسبة للجمع بينهما.

الثالث : ذكرت آية البحث حالات المؤمنين وليس فيها الفرار والهزيمة ، فقد ذكرت القيام والقعود والإستلقاء ، والصبر في الميدان من مصاديق قوله تعالى ﴿قِيَامًا﴾^(٢) ، ومنه صلاة الخوف والمطاردة.

الرابع : ذكر الله على كل حال مناسبة للصبر وتحمل الأذى في سبيل الله ، لبيان قانون ذكر الله برزخ دون الإرهاب فالذي يواظب على ذكر الله عز وجل يجتنب الإرهاب والإضرار بالناس وأموالهم ، وبالممتلكات العامة ، ويعلم أن الله عز وجل يفعل ما يريد ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) سورة الملك ١.

الخامس : من ذكر الله في آية البحث الدعاء وسؤال النصر على مشركي قريش ، ورجاء فضل الله بتعجيل النصر ، ويتسالم المسلمون على قانون في الدعاء غنى عن الإرهاب شدة الأذى الذي لاقاه الأنبياء فقد لجأوا إلى سلاح الدعاء ، ويدل في مفهومه على حرمة الإرهاب وكأنه من الأمر بالشئ نهي عن ضده.

ومن الإعجاز في آيات معركة أحد خلوها من ذكر هزيمة للمسلمين في المعركة .

فقد ثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وثلة من أهل بيته وأصحابه في وسط الميدان ، واضطر ثلاثة آلاف مشرك للإنسحاب في يوم المعركة بعد أن قذف الله في قلوبهم الرعب ، وقتل منهم اثنان وعشرون ، وأدركوا أن هذا الرعب سبب لوقوع المزيد من القتل في صفوفهم ، إن استمروا بالقتال ، قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^{(١)(٢)}.

ليان كفاية الله عز وجل للمؤمنين بفضله ولطفه واحسانه وهو الذي يذب عنهم ويصرف عنهم البلاء ، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٣) ، لذا فان اللجوء إلى الإرهاب خلاف تلقي فضل الله وكفايته بالشكر والصبر والتقوى.

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) أنظر الجزء الواحد والثمانين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية في (٤١٠) صفحة.

(٣) سورة الزمر ٣٦.

الآية الرابعة: قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ

مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾^(١) إذ ورد لفظ ﴿الْجُمُعَانَ﴾ ولم ترد معه كلمة ﴿التَّقَى﴾ فلم يلتق موسى وأصحابه مع جيش فرعون الذين هم مليون فرد ، فلا طاقة لهم بهذا الجيش العرمرم.

وفي الجمع بين هذه الآيات بيان لجهاد وصبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في سبيل الله بملاقاة المشركين بالسيوف وكما كان جيش فرعون مدججاً بالسلاح ، وبنو إسرائيل شبه عزل فكذا كان مشركو قريش في أسلحتهم الكثيرة ومؤنهم وليس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلا مسمى السيوف .

ولكن موسى وأصحابه لم يلتقوا في ساحة الميدان مع فرعون وجنوده ، بينما أصر المشركون على قتال وقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

وموضوع الآية أعلاه خروج موسى وأصحابه من مصر وإصرار فرعون وجنوده على اللحاق بهم ، ولم يرد لفظ ﴿مُدْرِكُونَ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، ومن غرور وطغيان فرعون وقوله ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٣) عدم إدراك حقيقة وهي خروج موسى عليه السلام وبني إسرائيل بأمر من الله عز وجل ﴿وَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

(١) سورة الشعراء ٦١.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

(٣) سورة النازعات ٢٤.

أَنْ أُسْرِ بِعَبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسًّا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿١﴾.

وهل تفيد الآية أعلاه إخبار الله عز وجل لموسى عليه السلام من أول خروجه من مصر بأنهم سيصلون إلى البحر الأحمر وأنهم سيعبرونه بمعجزة ، أم أن قوله تعالى ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾ ^(٢) كان عند وصول موسى وقومه إلى البحر الأحمر وأول الإخبار عن المعجزة ، المختار هو الأول ، وفي التنزيل حكاية عن موسى ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي﴾ ^(٣) وهو لا يتعارض مع مجئ الأمر من الله لموسى بأن يضرب البحر بعصاه ساعة الوصول إلى البحر .

لقد أشار أدلاء فرعون عليه بأن لا يعبر البحر إنما سحره موسى ، ويكون السحر بمقدار عبورهم ، وأشاروا على فرعون أن يذهب من مكان يضيق فيه البحر وإن كان بعيداً ، ولكنه أصر على العبور ساعتئذ ثم استدراج جبرئيل عليه السلام له نكاية به ، وانتقاماً منه لإدعائه الربوبية في الأرض ، وهو من مصاديق قوله تعالى في الرد على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٤) حينما احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٥) مع أن طائفة من الناس يفسدون في الأرض ، وقد يقتل الرجل أخاه بغير حق .

(١) سورة طه ٧٧.

(٢) سورة طه ٧٧.

(٣) سورة الشعراء ٦٢.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

كما في ولدي آدم ، ليعث الله عز وجل الأنبياء بالتعاقب لإصلاح الأرض وتعاهد السلم المجتمعي فيها ، وقال تعالى في الثناء على المسلمين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١).

ومن مصاديق التفضيل أعلاه الإحسان للناس جميعا ، وإشاعة مفاهيم الرحمة والموادعة في الأرض ، والتنزه عن الإرهاب والتفجيرات ، وتركهم البطش والعنف الذي تنفر منه نفوس الناس ، فهذه النفرة من الفطرة ، وأسرار نفخ الله من روحه في آدم ، وفي التنزيل ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٢).

ومن أشد الفساد دعوة فرعون أنه رب الناس ، وإتباع قومه لهذه الدعوى الزائفة ، فلا يأتي العذاب والبلاء العام بدعوة وإدعاء شخص ، وإن كان هو الملك ، إنما يأتي عند إنقياد الأمة للزور والبهتان والشرك الجلي ، وفي التنزيل ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ﴾^(٣).

ليبان لزوم سعي المؤمنين بالإصلاح في الأرض سواء في بلاد المسلمين أو غيرهم ، للحسن الذاتي للإصلاح وأنه خير محض وضد للإرهاب ، ومانع منه فلا بد من تنزه كل مسلم ومسلمة عن الإرهاب والتفجيرات والإغتيال وسفك الدماء.

فمن علم الله عز وجل أن ذات الملائكة نزلوا إلى الأرض ليستدرجوا فرعون وجيشه ، وينظروا إلى هلاكهم ، وإلى نجاة النبي

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) سورة السجدة ٩.

(٣) سورة الشعراء ١٥١-١٥٢.

الرسول موسى عليه السلام وأصحابه بمعجزة من عند الله ، لا يقدر عليها الخليفة في الأرض بمفرده .

لييان قانون وهو المعجزة فرع الخلافة الخاصة في الأرض ، ولما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، وتلقى مشركو قريش وحلفاؤهم رسالته بالكذب وسل السيوف ، فلا بد أن ينزل الملائكة لنصرته ، وينظروا إلى هلاك طائفة من المشركين ، وهزيمة الباقين ، ثم توبة أكثرهم ودخولهم الإسلام ، وهذه التوبة من مصاديق رد الله على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ولييان قانون طريق الإرهاب شائك ولا بد من تركه وهجرانه واللجوء إلى الله بانابة وتوبة نصوح ، وقد أمر الله عز وجل النبي محمداً أن يبادر الناس إلى الاستغفار والتوبة مع الوعد بالسعادة والرزق الكريم كما ورد في قوله تعالى ﴿وَأَنۢ أَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوا۟ إِلَيْهِ يُصۡغِرۡكُمْ مَّا عَا۟سَآءُۖ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّو۟ا۟ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمۡ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾^(٢).

ومن خصائص آيات الذكر إخبارها عن قانون وهو ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لله عز وجل عندما ﴿التقى الجمعان﴾ في معركة بدر وأحد والخندق وحنين وغيرها من الكتاب والسرايا .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة هود ٣.

ومواظبتهم على الذكر في حال الرخاء والشدة ليؤسس النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدرسة الذكر ومصاحبته للسلم في حياته اليومية وفي المتدييات والمجالس وفيه حرز وواقية من الإرهاب وتنزه عن سفك الدماء.

إذ ورد ذكر ﴿التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ في القرآن بخصوص معركة بدر ، وأحد لبيان شمول موضوعه لمعارك الإسلام الأخرى لوحدة الموضوع في تنقيح المناط .

ولييان شدة الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قومه ، ودنو القتل منه في كل معركة ، حتى أن سهام وحجارة القوم وصلت إليه في معركة أحد ، وسالت الدماء من وجنته ، وكسرت الرباعية من أسنانه ، وهو لا ينقطع عن الذكر والدعاء والإستغفار وسؤال الهداية لقومه وفيه دعوة لأجيال المسلمين بالصبر على الأذى ، وعدم اللجوء إلى التعدي ومنه الإرهاب .

علم مصاديق وحدة المسلمين في كل آية من القرآن

مع أن عدد آيات القرآن محدود وهي (٦٢٣٦) آية فإن العلوم التي تنبثق وتقتبس وترشح عنها لا متناهية ، وهو من إعجاز القرآن والشواهد على أنه كتاب منزل من عند الله عز وجل ، ولا بأس بتأليف هيئات علمية متعددة لإستنباط العلوم والقوانين من آيات القرآن ، ولا تنقطع هذه الهيئات فهي متجددة في كل زمان.

وهل هو من مصاديق النفر لطلب العلم كما في قوله تعالى ﴿وَمَا

كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نُقِرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي

الَّذِينَ وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١﴾ ، الجواب نعم ،
ليبان قانون وهو جعل النفر وبذل الوسع لطلب العلم واستقراء
العلوم والمسائل من كنوز القرآن مستمراً ومتصلاً لأن هذه العلوم
من اللامتناهي وخزائن القرآن لاتنفد أبداً.

وهل يساعد هذا الإستقراء في نشر ألوية السلام والأمن ، وتنزيه
الأرض من الإرهاب ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٢).

وليكون هذا النفر عنواناً لوحدة المسلمين ، وبعيداً عن الطائفية
والولاء للمذهب وطارداً للإرهاب ليكون تحقيق واستنباط واستقراء
هذه الآيات مناراً وضياءاً للأجيال ، قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ
الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَكَوَرَتْهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ (٣).

فمن خصائص وإعجاز القرآن اكتشاف علوم منه في كل يوم ،
إلى جانب موافقته للمستحدث من العلوم والإكتشافات ،
وموضوعيته وحضور آياته ، بما يتضمن النفع الأمثل والأعم من
هذه الإكتشافات ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ

(١) سورة التوبة ١٢٢.

(٢) سورة الاسراء ٩.

(٣) سورة النساء ٨٣.

يَعْلَمُ ﴿١﴾ ونشر ألوية السلم في الأرض .

ويمكن تقسيم مصاديق وحدة المسلمين في الآية القرآنية إلى أقسام:

الأول : المصاديق الثابتة في كل آية ، ومنه مسائل :

الأولى : تسليم كل مسلم ومسلمة بنزول الآية القرآنية من عند الله عز وجل .

الثانية : إقرار المسلمين والمسلمات بسلامة الآية القرآنية من التحريف ، وخلوها من الزيادة ، وعصمتها من النقصان ، قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٢).

الثالثة : تلاوة كل مسلم ومسلمة الآية والسورة القرآنية في الصلاة.

الرابعة : استماع المسلمين لآيات القرآن باصغاء وتدبر ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣).

الخامسة : سعي وجهاد المسلمين للحفاظ على الآية القرآنية ، وتعاهدها وتوارثها كما أنزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السادسة : إتخاذ المسلمين الآية القرآنية إماماً ومنهاجاً ، قال تعالى

(١) سورة العلق ٥.

(٢) سورة فصلت ٤٢.

(٣) سورة الأعراف ٢٠٤.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

السابعة : الإقرار بأصول وفروع الدين .

الثامنة : عمل المسلمين والمسلمات بمضامين الآية القرآنية ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾^(٢) ، عمل المسلمين في كل زمان بالكتاب النازل من عند الله ، فلا بد من أمة تعمل بالتوراة وأخرى بالإنجيل ، وعمل ويعمل المسلمون بأحكام القرآن .

فمن معاني العبادة في الآية أعلاه هداية الناس للعمل بأحكام التنزيل ويتنافى الإرهاب مع العبادة التي أرادها الله عز وجل للناس لذا تجد نفرة الناس عامة من الإرهاب .

ولأن العبادة علة خلق الناس فلا بد أن يزول المنافي لها ، ولا يستمر في الأرض ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَنَكُثُ فِيهِمُكَثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٣).

وفي الآية أعلاه تحد ووعيد للظالمين ، وبعث للسكينة في نفوس المؤمنين والناس جميعاً ولزوم الإعتاظ والعبرة من الأمم السالفة ، ومن آيات القرآن ، وما فيها من البشارة والإنذار والأمر بالموادعة ، والسلم والنهي عن العنف والإرهاب والظلم.

التاسعة : الرجوع إلى الآية القرآنية عند الاختلاف وأسباب الخصومة ، قال تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

(١) سورة البقرة ٢.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

(٣) سورة الرعد ٢٧.

وَالرَّسُولُ^(١)، وهل الإرهاب مما يتنازع فيه المسلمون ، الجواب لا ،
لدلالة الكتاب والسنة على حرمة ، والمنع منه .

العاشرة : الصدور عن آيات القرآن في العبادات والمعاملات
والأحكام ، قال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ
تُحْمَوزُونَ﴾^(٢) وعن عبد الله (بن مسعود قال: كان الرجل منا إذا

تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن)^(٣) .
الحادية عشرة : التقيد بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
واتباع نهجه ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤) .

الثانية عشرة : التقاء المسلمين في علم التفسير ، والإجماع على
موضوعية التأويل ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل
والمبين وأسباب النزول وعدم اختصاص موضوع الآية بها وأن
المدار على عموم المعنى .

الثالثة عشرة : وحدة المسلمين في الإمتثال للفرائض والواجبات
العبادية وفق ما جاء به القرآن والسنة ، وقال النبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(٥) وقال (لتأخذوا عني
عني مناسككم)^(٦) .

وفيه دعوة نبوية للإستقامة والصلاح والإبتعاد عن الإرهاب .

(١) سورة النساء ٥٩ .

(٢) سورة الأنعام ١٥٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٨/١ .

(٤) سورة الحشر ٧ .

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٣٤٥/٢ .

(٦) تفسير ابن كثير ٥٥٢/١ .

الثاني : المصاديق الخاصة بآيات من القرآن ، فمن خصائص آيات القرآن أن النسبة بين معانيها عموم وخصوص من وجه ، فلتتقي آيات القرآن بوجوه إعجازية كثيرة .

وتأتي كل آية منه بمعاني ودلالات خاصة ، ومنها وظيفة الآية القرآنية في إصلاح المجتمعات ، ونبذ الخصومة ، والحض على التنزه عن الإرهاب والظلم والتعدي .

ولابد من إجتهد العلماء في هذا الباب المستحدث لإستنباط الأدلة والشواهد التي تبين موضوعية الآية القرآنية في الواقع اليومي للمسلمين ، وبما فيه تأخيرهم وصلاتهم ، قال تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَقْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(١).

الثالث : يلتقي المسلمون والمسلمات بقول (بسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة وخارجها ، وعند الإبتداء بأمر ذي بال ، ومثلاً قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) يلتقي فيه المسلمون من جهات :

الأولى : نطق كل مسلم بالحمد والثناء على الله .

الثانية : التسليم الأستقرائي العام من المسلمين والمسلمات بأن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) من القرآن ، وهي الآية الثانية من سورة الفاتحة ، كما ورد في خمس آيات أخرى من القرآن ، ولكن كشرط من آية وليس آية مستقلة إلا في سورة الصافات باضافة حرف العطف

(١) سورة الأنفال ٤٦.

(٢) سورة الفاتحة ٢.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

الواو ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

الثالثة : الحمد لله من الذكر الكثير الذي أمر الله سبحانه به ،
وليس من مسلم أو مسلمة إلا ويصدق عليه أنه يذكر الله كثيراً ، قال
تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٢).

لقد أمر الله عز وجل المسلمين بالمواظبة والمداومة على ذكره
تعالى سواء بالصلاة أو تلاوة القرآن أو التسبيح والتهليل للإمتناع
عن اتيان القبيح ، ولولوج السيئة والحرام ، وإرتكاب الظلم ، وفعل
الإرهاب.

قانون الثاني الذاتي والغيري عن الإرهاب

يدل قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) على جعل
نفوس الناس تميل إلى العدل وتحرص على نشر شأيب الرحمة
والتعاون والنفرة من الظلم والتعدي ، وهو من المؤهلات الضرورية
لنيل مرتبة الخلافة لذا تفضل الله عز وجل ونفخ من روحه في آدم
عليه السلام لبعث الحياة فيه ، وجعله وحواء يسكنان الجنة .

وقد أنعم الله عز وجل على الناس ببعث الأنبياء على نحو
التعاقب والتوالي وتصحيم المعجزة والوحي إلى أن نزل القرآن
ضامناً لأحكام الشريعة ، ولتبدأ كل سورة منه بـ (بسم الله الرحمن
الرحيم) التي هي دعوة للسلم والأمن ، ولواء سماوي لنشر معاني
المودة والألفة بين الناس .

(١) سورة الصافات ١٨٢.

(٢) سورة الاحزاب ٤١.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

ولا يعلم منافع وجود البسملة في أول سورة من القرآن في إصلاح النفوس ونبذ القتال وسفك الدماء إلا الله عز وجل ، بعيداً عن إنشغال طائفة من المفسرين هل البسملة جزء من كل سورة عدا التوبة ، أم أنها جزء من سورة الفاتحة وحدها ، أم جاءت للفصل بين السور .

والمختار أنها جزء من كل سورة من القرآن عدا سورة التوبة .
وورودها في المصحف في أول كل سورة عدا التوبة ، متواتر خطي يفيد القطع بجزئيتها من السورة إلا أن يرد دليل قطعي على الخلاف ، إنما القول بأنها للفصل وحده ظني ، والقطعي مقدم على الظني ، إلى جانب النصوص العديدة التي تفيد أنها جزء من السورة ، ولا يرقى حديث عن أنس بن مالك لمعارضتها .

ونزل القرآن بأداء الفرائض العبادية وهي حصانة للإنسان من فعل السيئات ، ودعوة للغير للإتعاظ ، كما نزل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) .

ومن المعروف والصالح والعدل والإنصاف ، ومن المنكر الإرهاب والظلم والتعدي لبيان قانون وهو عدم إكتفاء المسلم بالإحتراز من الإرهاب ومجاهدة النفس إنما يسعى لمنع غيره من الإرهاب والظلم ، وإخافة الناس وإراقة الدماء .

ومن خصائص القرآن تعضيد آيات القرآن بعضها لبعض من جهات :

الأولى : وحدة الموضوع .

الثانية : بيان الحكم وعلته .

الثالثة : سلامة الآية القرآنية من التحريف .

الرابعة : إتحاد المقاصد والغايات السامية .

الخامسة : شهادة الآية القرآنية لأختها على نزولها من عند الله عز وجل .

السادسة : تعضيد الآية للآية الأخرى في هداية الناس إلى الصلاح ونبذ العنف والتطرف والغلو .

إذ تبعث آيات القرآن المسلمين والمسلمات على التآني بأنفسهم من الإرهاب حتى إذا جاء بصورة فردية نادرة تبرأوا منه ، وعلنوا انكارهم له .

هل الجنة والنار مخلوقتان الآن

لقد اختلف علماء الإسلام هل الجنة والنار مخلوقتان الآن .
أم يخلقان فيما بعد لعدم الحاجة لهما الآن ، وأنهما لا يخلقان إلا يوم القيامة ، وبه قالت طائفة من المعتزلة والخوارج .
والمشهور والمختار أن الجنة والنار مخلوقتان الآن ، وقد ذكر كل فريق أدلته .

ولا يصح الإنشغال كثيراً بوجوه إختلاف لا أصل لها ، وبما يضر بالتدبر في الموضوع والحكم والدلالة فالأهم هو التدبر في نعيم الجنة والسعي إليه ، وأذى النار والإمتناع عن أسباب الدخول إليها ،

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).

فقول بعضهم أن وجودهما الآن عبث لأنهما للجزاء تجزأ ولعل فيه إنشغالا للمسلمين عن تصور التضاد والتناقض بين الجنة والنار ، وقد وردت آيات عديدة تدل على وجودهما ، فورد لفظ ﴿أُعِدَّتْ﴾ مثلاً أربع مرات ، وكلها تتعلق بخلق الجنة والنار وهي :

الأولى : قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

الثانية : قال تعالى ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

الثالثة : قال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِن تَعْلُوا فَاقْنِصُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^{(٤) (٥)}.

الرابعة : قال تعالى ﴿وَأَقْنِصُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^{(٦) (٧)}.

(١) سورة التحريم ٦.

(٢) سورة آل عمران ١٣٣.

(٣) سورة الحديد ٢١.

(٤) سورة البقرة ٢٤.

(٥) أنظر الجزء الرابع من هذا السفر الذي يتضمن تفسير هذه الآية الكريمة .

(٦) سورة آل عمران ١٣١.

(٧) أنظر الجزء الثالث والعشرين بعد المائة من هذا السفر الذي يتضمن تفسير هذه

وقيل صيغة الماضي في الآيات أعلاه تأكيد وجودهما في المستقبل ، ولكنه خلاف الظاهر والنصوص ، فقد ثبت في حديث الإسراء أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم دخل الجنة ، ففي حديث ابن عباس (وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقدام .

وعن أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال : ما فرض الله على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة

قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك

فراجعت ربي فقال : هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال : ارجع إلى ربك قلت : قد استحييت من ربي

ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيتها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها مسك^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من

باطنها، وبطانها من ظاهرها، يسكنها من امتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام) (١).

وبلحاظ موضوع آية البحث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما اسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يننون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم ربما بنيتم وربما أمسكنم؟ فقالوا: حتى تبيئنا النفقة، فقلت لهم: وما نفقتكم؟

فقالوا: قول المؤمن في الدنيا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال: بنيينا، وإذا أمسك أمسكنا) (٢).

ليان أن قول ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الوارد في آية البحث طريق إلى دخول الجنة، وذخيرة لبناء قصر فيها، وكذا بالنسبة لمطلق الذكر في قوله تعالى في أول قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (٣) والذكر الكثير واقية من الإرهاب وقبحه.

ومن إعجاز القرآن عدم وقوفه كثيراً عند خلق الجنة والنار، إنما أكدت آياته لزوم السعي وبذل الوسع للفوز بالجنة، ومجاهدة النفس للنجاة من النار وشدة حرها، ومن إعجازه جعل الجنة والنار حاضرتين في الوجود الذهني للمسلم، ولهدايته وحرصه على الإستقامة والتنزه عن الظلم.

(١) البحار ٨/ ١١٩.

(٢) البحار ٨/ ١٢٣.

(٣) سورة البقرة ١٩١.

ومن إعجاز آية البحث مجيؤها بالوقاية والتوقي من نار جهنم ،
وبيان الملازمة بين عظيم صنع الله وبين يوم الحساب ، والجنة عنوان
جامع للنعيم في الآخرة .

والإجماع على المعاد والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب
ثم الجزاء الذي ينحصر بجهتين ، إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ، مما
يلبي على المسلمين والناس جميعاً السعي اليومي الجاد لدخول الجنة
، والإمتناع عن مقدمات دخول النار ، ومنها التعدي والظلم وإخافة
عامة الناس في الأرض التي هي ملك طلق لله عز وجل .

ولا يرضى الله سبحانه عن إرهاب عباده إنما خلقهم للإمتحان
والإختبار والجزاء وهو سبحانه ﴿ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

ومن الآيات التي تجمع بين ذكر الجنة والنار قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾^{(٢)(٣)} .

وهذا الجمع من إعجاز القرآن لما فيه من وجوب النجاة من النار
ولهيها ، وعدم كفاية هذه النجاة والإمتناع عن المعاصي والظلم
والإرهاب بل لابد لدخول الجنة من أداء الفرائض العبادية ،
والتحلي بالتقوى والصبر ، قال تعالى ﴿ وَتَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ

(١) سورة آل عمران ٩٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) انظر الجزء الخامس بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية
الكريمة .

النَّارَ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ
فَإِذْ مَوْزَنُ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

آيات الناس زاجر عن الإرهاب

لقد ورد لفظ الناس (٢٤٠) مرة في القرآن ، وورد مكرراً في الآية أعلاه وكل من الآيات التالية :

الأولى : قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٢﴾.

ليبيان النعم العظيمة على الناس مجتمعين ومتفرقين ، مؤمنين وكفاراً ، فليس من حصر لفضل الله عز وجل على أي إنسان على نحو القضية الشخصية ، وكذا ما يناله من النعم النوعية العامة ، وفيه حجة لإجتنب الإرهاب من وجوه :

الأول : من شكر العبد لله عز وجل على فضله العظيم التنزه عن الإرهاب .

الثاني : مادام الله عز وجل له فضل على كل إنسان فلا بد من إجتنب الاضرار بالذي يتغشاه فضل الله عز وجل .

الثالث : الخشية من العقاب الإلهي بسبب التعدي على أهل فضله وإحسانه ومواطن ومحال هذا الفضل ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوُوا مَا فَضَلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ ﴾ ﴿١﴾.

(١) سورة الأعراف ٤٤.

(٢) سورة البقرة ٢٤٣.

الثانية : قوله تعالى ﴿مَنْ أَجْلَ ذَلِكَ كُتِبَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(١).

في الإرهاب في هذا الزمان قتل وسفك دماء فجاءت الآية أعلاه إنذاراً تغليظاً وتذكيراً بأهوال يوم القيامة ، وشدة وقوف الذي يقتل فرداً واحداً فكأنه قتل الناس جميعاً ، ومن الناس المؤمنون والصالحون .

ثم ذكرت الآية الضد من القتل والإرهاب ، وهو قانون إنقاذ فرد واحد ذكراً أم أنثى إنما هو إنقاذ للناس جميعاً برهم وفاجرهم ، وحسابهم على الله عز وجل ، لبيان الإثم على الإرهاب ، والأجر والثواب على إعانة الناس ، ودفع الأذى والضرر عنهم .

وهل بذل الإنسان الوسع لصرف أحدهم عن الإرهاب من إحياء النفس الذي تذكره الآية ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة النساء ٣٢.

(٢) سورة المائدة ٣٣.

(٣) سورة الأنعام ١٦٠.

(٤) سورة يونس ٤٤.

والإرهاب من الظلم ، ونزل القرآن وجاءت السنة النبوية ببيان قبحه ، والنهي عنه ، ويدل الوجدان والوقائع على أن الإرهاب ظلم للنفس والغير .

وتبين الآية وجوب إجتهد المسلم والناس جميعاً في التفقه في الدين ، والتزهد عن الظلم الذي هو ظلمات في النشاطين .

الرابعة : قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١).

وفيه شاهد على استدامة مبادئ التوحيد في الأرض وتناميها حتى بين مجتمعات الكفر والشرك ، وليس من حصر لوجوه وأسباب تثبيت كلمة التوحيد في الأرض وعامة الأمصار ، إذ تتوالى نعم الله عز وجل على الناس ، وكل نعمة تذكرهم بوجوب عبادة الله عز وجل ، ويحتاج الناس إلى مفاهيم التوحيد لإستدامة الرزق بل ودوام الحياة .

والتوحيد أصل الأصول ، والتقيد بمفاهيمه إنشغال مبارك وإنصراف عن الإرهاب والظلم والتعدي .

الخامسة : قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(٢).

(١) سورة يوسف ٣٨.

(٢) سورة الإسراء ٦٠.

إبتدأت الآية بإكرام الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو الخصوص ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ وهل تلحق به الأمة ، الجواب نعم .

ومن بركات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنتفاع الناس جميعاً مما قال له الله عز وجل ومنه إصلاح أحوالهم ، ويدفع عنهم الضرر ، وينجيهم من الكيد والمكر والإرهاب .

وفي الآية بشارة الأمان للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله عز وجل يصرف عنه أذى المشركين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

و(عن ابن عباس في قوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾^(٢) قال : هي رؤيا عين ، أريها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس ، وليست برؤيا منام)^(٣).

وإخبار الله عز وجل عن إحاطته بالناس شاهد على علمه بكل ما يفعلون وأن مقاليد الأمور بيده سبحانه ﴿وَكَوْشَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤).

ففي الآية بيان للزوم إحتتاب الإرهاب وعدم الحاجة إليه ، وهل إحاطة الله عز وجل بالناس رحمة أم إحاطة إنتقام ، الجواب هو الأول .

(١) سورة المائدة ٦٧ .

(٢) سورة الإسراء ٦٠ .

(٣) الدر المنثور ٦/٢٩٤ .

(٤) سورة النحل ٩ .

ولا تتعارض معها الإنذارات من الله عز وجل ، سواء كانت آيات تنزيل أو فعلية وشواهد حسية ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾^(١).

و(عن قتادة في قوله : { وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً }^(٢)) قال : إن الله يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يعتبون ، أو يذكرون ، أو يرجعون . ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم يستعقبكم فاعتبوه)^(٣).

السادسة : قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٤).

تبين الآية إعجاز القرآن ، وتضمنه العلوم المختلفة وما يحتاجه الإنسان من أحكام الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود والبراهين والحجج الجلية ، والأدلة الواضحة التي تؤكد وجوب عبادة الناس لله عز وجل ، وذكره لأبناء عالم الآخرة .

وهل في القرآن بيان لقبح الإرهاب ، ولزوم عدم اللجوء إليه ، الجواب نعم ، إذ وردت الآيات بدم الظلم التعدي وسوء عاقبتها ، والإرهاب فرد من كل منهما وهو من مصاديق ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ في الآية أعلاه.

(١) سورة الإسراء ٥٩.

(٢) سورة الإسراء ٥٩.

(٣) الدر المنثور ٦/٢٩٤.

(٤) سورة الإسراء ٨٩.

السابعة : قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَذَابَ اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَذَابَ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

تبين الآية أن الإيمان سور الموجبة الكلية في العقيدة والقول والعمل ، ومنه الصبر على الأذى والتعدي ، وعدم مقابلته بالمثل .
لقد تمادى مشركو قريش بالإرهاب والطغيان فأظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصبر مع استمراره بالدعوة إلى الله عز وجل ، وعدم الإفتتان بالذين كفروا وأموالهم وما عرضوه عليه ، فلا بد للمؤمنين من الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصبره ، والإمتناع عن الإرهاب الإبتدائي والإرهاب الذي هورد وثار وظن.

الثامنة : قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

تبين الآية المنزلة الرفيعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسؤوليات الجسام التي حملها في رسالته ، بأن أرسله الله عز وجل لجميع الناس العربي والأعجمي ، والأبيض والأسود ، والذكر والأنثى ، وقيل من معاني كافة للناس أي تكفهم وتزجرهم.

(١) سورة العنكبوت ١٠.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

ووردت لغة العموم في تبليغ الرسالة ودعوة الناس للإسلام في آيات منها ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١) ومنها قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢).

ومن إعجاز الآية بيان موضوع رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي من وجهين :

الأول : البشارة .

الثاني : الإنذار .

فاستجابت أمة من الناس لدعوته منهم المسلمون وتوجه لهم الخطاب بإقامة الصلاة والفرائض العبادية الأخرى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع وجوب الإبتعاد والتزهد عن الإرهاب ، فهو ليس من البشارة ولا الإنذار بل هو ضد لهما .

التاسعة : قوله تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

تبين الآية بديع صنع الله عز وجل ، وتدعو الناس للتدبر في المخلوقات وعظمتها ، وأن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، والذي يقدر على الكبير يقدر على الصغير بالأولوية .

وهل في هذه الآية إحتجاج ودعوة للناس للتدبر عند صناعة الإنسان الآلي ، أو منه ولادة الإنسان من البويضة وتلقيحها ،

(١) سورة الأعراف ١٥٨.

(٢) سورة الفرقان ١.

(٣) سورة غافر ٥٧.

الجواب نعم ، فالآية تمنع من الإفتتان بالصناعات الهائلة في هذا الزمان والأزمة اللاحقة إذ يعجز الناس عن خلق مثل السموات ولكن الله عز وجل ، خلقها بالكاف والنون ، وهو لا يتعارض مع خلقها في ستة أيام ، فكل جزء منها بمشيئة الله وأمره في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١) ، وفي التنزيل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يُعْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(٢) إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٣).

إن التدبر في خلق السموات والأرض سبيل للخضوع والخشوع لله عز وجل والإنشغال بذكره والخشية منه ، ومن يخاف الله عز وجل بالغيب يمتنع عن الظلم والعنف والتعدي والإرهاب ، ويدرك أن الله عز وجل قادر على إصلاح المجتمعات ، وتنزيه الأرض من الفساد ، إنما جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إختبار وامتحان ، ويبعث التدبر في خلق السموات والأرض على التظامن والمسكنة وإدراك الحاجة إلى رحمة الله عز وجل ، والإمتناع عن الإرهاب والبطش بالآخرين .

وتمنع الآية الإنسان من الغرور ، والدول من الحروب والإقتتال وتدعو إلى الصلح والمودة بين الناس ، والتذكير بأن السموات والأرض ملك لله عز وجل وهو الذي يمسكها فيلزم شكره تعالى على هذه النعم .

(١) سورة يس ٨٢.

(٢) سورة الأحقاف ٣٣.

ومن هذا الشكر الإمتناع عن الإضرار بالناس وممتلكاتهم ، وعن إخافتهم وبث الرعب والفرع بين الناس بغير حصر ، فلا يفرق الإرهاب بين مؤمن وكافر ، ولا قريب وبعيد ، فيجب الإمتناع والإحتراز منه .

العاشرة : قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١). (٢)

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي العدل والإنصاف والأمانة ، ترى ما هي النسبة بين العدل والإرهاب ، الجواب هو التنافي والتضاد ، لذا فان الإرهاب خلاف الغايات الحميدة من بعثة الأنبياء والرسول .

وفيه دعوة لأجيال المسلمين والناس جميعاً للتنزه عن الإرهاب خاصة وأن الأنبياء جاءوا بشرائع مختلفة وما من أمة من الموحدين إلا وتتبع رسولاً ، وليس من رسول إلا وجاء بجرمة الإرهاب والمنع والتبرأ منه .
ومن نعم الله عز وجل الحديد وصناعاته في الحرب والسلام واتخاذ زينة ، قال تعالى ﴿وَمَا يُوقَدُ مِنْهُ إِلَّا النَّارُ انْتِفَاءً حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ (٣) .

وتدعو هذه الآيات المسلم للتنعم والإنشغال من النعم في الحياة الدنيا ، وترك الناس يتمتعون بها ، ولا يلقي بنفسه بالتهلكة باقداًمه على فعل إرهابي يضر الناس أيضاً وينشر الخوف بغير حق .
تبين الآية قانون مصاحبة المعجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما من نبي إلا وقد جاء بالمعجزة التي تدل على صدق

(١) سورة الحديد ٢٥ .

(٢) سورة .

(٣) سورة الرعد ١٧ .

دعواه النبوة ، ليتعقبها قبول الناس ما يأتي به من العبادات والأحكام ، والبشارة والإنذار ، وذكرت الآية علة إرسال الرسل . وهي التقوى وإصلاح المجتمعات ، وامتناع الأفراد عن إرباد النظم العامة ، والأعراف السائدة.

قانون الناس عيال الله^(١)

من خصائص الخلق حاجتهم المستمرة إلى الله عز وجل ، فليس من مخلوق إلا وهو محتاج في وجوده واستدامته ورزقه إلى الله عز وجل ، وهو سبحانه ينعم على الناس والخلائق بغير حساب . ويريد الله عز وجل من الناس الرحمة والرفقة فيما بينهم . وورد عن (يوسف بن عطية ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الخلق عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)^(٢).

والحديث ضعيف سنداً بيوسف بن عطية وهو الصنفار ضعفه أبو حاتم والدارقطني ، وقال أبو داود : ليس لشيء . وقال البخاري : منكر الحديث . وقال ابن حجر العسقلاني : (هو ضعيف جداً)^(٣) . ولا تخلو هذه النعوت من قسوة .

ومن خصائص الحياة الدنيا جعل الله عز وجل لها دار الرحمة والعفو والإمهال من عند الله عز وجل على الناس جميعاً .

قال تعالى ﴿كَبَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾^(١) وليس من إنسان إلا وينال وينال من رحمة الله عز وجل وعفوه وستره كل يوم في فيض متصل

(١) قد تقدمت الإشارة إلى هذا القانون في الجزء الأربعين من هذا السفر في تفسير الآية (٢٢٣) من سورة البقرة.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي ٣٤٠/٧ .

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ١٩٦/١ .

، وترغيب بالتوبة والإنابة ، لذا يتعارض الإرهاب مع مضامين وعمومات الآية أعلاه.

ترى ما هي النسبة بين الآية أعلاه وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، إذ كتب الله عز وجل الرحمة على نفسه للخلائق كلها ، وقبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها ، وما رسالته إلا فرع هذه الرحمة .

ومن لم يتبع النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم باجتناّب الإرهاب والتنزه عنه فإن الله عز وجل يخيب سعيه ، ويطل كيده ، ويجعله يندم على فعله كما أن الله عز وجل يقطع ويستأصل الإرهاب جملة وتفصيلاً ، قال تعالى ﴿وَلَئِكَ الْيَوْمَ نَدْلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣).

ومن معاني رحمة الله عز وجل بالخلق وأنهم عياله أنه سبحانه لا يرضى بالظلم والجور والتعدي والإضرار بالآخرين ، فيأتي البلاء على الظالم ولو بعد حين .

قال تعالى ﴿يُبْتِئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤) فيتحقق الثبات في منازل الهدى والإيمان .

(١) سورة الأنعام ١٢ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٠ .

(٤) سورة إبراهيم ٢٧ .

والقول الثابت الإقامة على التوحيد والتسليم بالنبوة والمعاد حين مغادرة الحياة الدنيا ومفارقة الروح الجسد .

و(عن ابن عباس { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ^(١) .

قال : المخاطبة في القبر : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ^(٢) .

ويثبت الإيمان في الأرض بالتقوى ، والصبر ، والعكوف على أداء الفرائض ، وليس بالإضرار بالآخرين وما يبعث النفرة في النفوس من ذات الفعل الإرهابي ، ولوم كثير من الناس الطائفة التي ينتمي إليها صاحب هذا الفعل وهي بريئة منه .

فقد ثبت بالحس الوجداني ان وقوع الفعل الإرهابي على نحو القضية الشخصية ، وإن صدر من جماعة وتنظيم .

ويدعو حديث الناس عيال الله عز وجل الوارد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين إلى التراحم والتوادد وإلى التحلي بالأخلاق الحميدة ، والمعاملة الشرعية الصحيحة مع الناس ، بعيداً عن الظلم والتغابن والتحاسد .

فمن باب الأولوية القطعية التنزه عن الإرهاب وسفك دماء الأبرياء ، وسيبقى الإسلام دين الرحمة لعامة الناس ، ودين الخشية من الله عز وجل في التعامل مع عام الخلق على إختلاف المذاهب والملل .

لذا جاءت آيات القرآن بالثناء على المحسنين وفعل الإحسان مطلقاً ، قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٣) .

(١) سورة إبراهيم ٢٧ .

(٢) الدر المنثور ٥٣/٦ .

(٣) سورة الأعراف ٥٦ .

كما ورد الحديث عن الأسود بن عبد الله بن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخلق عيال الله فاحب الناس إلى الله من احسن إلى عياله) ^(١).

(والعيال : جمع عَيْل) ^(٢).

والعيال : الكل والثقل ، قال تعالى ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ^(٣)

، وألف الحافظ أحمد بن حرب النيسابوري توفي سنة ٢٣٤ هجرية كتاباً اسمه (عيال الله) ارتحل لطلب العلم ، وسمع من سفيان بن عيينة ، وابن أبي فديك وغيرهما .

قال ابن حجر (له مناكير ولم يترك وكان يقال أنه من الأبدال صحبه بن كرام وله ترجمة طويلة في تاريخ نيسابور للحاكم عاش ثمان وخمسين سنة وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين أخذ عنه بن سفيان راوي صحيح مسلم) ^(٤).

ومن لطف الله حبه للناس ، وهذا الحب فرع الخلق ومنصب الخلافة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٥).

وفيه دلالة على لزوم إكرام الإنسان لأخيه الإنسان أو لا أقل الإمتناع عن إيذائه والإضرار به من وجوه :

الأول : كف أذى الفرد الواحد عن الآخر .

الثاني : كف أذى الجماعة عن الفرد .

الثالث : كف أذى الجماعة عن الجماعة .

الرابع : كف أذى الفرد عن الجماعة .

(١) المعجم الأوسط ٢٥٦/٥.

(٢) العين ١٢٨/١.

(٣) سورة النحل ٧٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني (٧٣٣-٨٥٢) هجرية / لسان الميزان ٦٢/١.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

الخامس : كف أذى السلطة عن الفرد والجماعة .

السادس : كف أذى الطائفة وأهل ملة عن الأخرى .

قانون السلام جامع بين آيات نداء الإيمان

قد تقدمت الإشارة إلى هذا القانون في الجزء الثالث والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر المبارك ، وآيات نداء الإيمان هي الآيات التي تبدأ بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إذ تتضمن الإكرام من عند الله للمسلمين من جهات :

الأولى : الشهادة لهم بالهدى والإيمان .

الثانية : تفضل الله عز وجل بتوجيه الأوامر والنواهي إلى المسلمين.

الثالثة : إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أمته.

الرابعة : بيان قانون وهو التنافي بين الإيمان والإرهاب وإلى يوم القيامة ، بلحاظ تجدد نداء الإيمان كل يوم ، وفيه شاهد بوجود أمة من المؤمنين في كل زمان .

ومن آيات نداء الإيمان التي تدعو إلى السلم ونبذ الإرهاب :

الآية الأولى : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) من إعجاز هذه الآية الأمر العام للمسلمين باتخاذ سلاح يومي لمواجهة المسائل الإبتلائية والفتن العامة والخاصة من وجوه :

الأول : سلاح الصبر .

الثاني : صلاة الصلاة .

الثالث : الجمع بين الصبر والصلاة .

والنسبة بين الصبر والصلاة عموم وخصوص مطلق ، فالصبر أعم ، ويدل كل فرد من هذه الوجوه الثلاثة في مصداقه العملي وفي مفهومه على حرمة الإرهاب ، وعدم إمكان نفاذه لفعل المسلم .

ثم بين الله قانوناً يتغشى الحياة الدنيا والآخرة ، وهو حب الله للصابرين ، ويتنافى الإرهاب مع الصبر ، مما يدل على أن إختيار طريقه حجب للذات عن الفوز بمراتب حب الله عز وجل للعبد ، وتدعو الآية إلى منع النفس الغضبية والشهوية من التغلب على الإنسان في قوله أو فعله ، ثم جاءت الآية التي بعدها التي تدل على لزوم الرضا بقضاء الله ، والثناء على الله لمقامات الشهداء ، وعدم الثأر والانتقام منهم بأعمال بعيدة عن الصبر ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١).

لقد سقط عدد من الشهداء في معارك الإسلام ، ففي معركة بدر فقد المسلمون أربعة عشر من الصحابة .

وفي معركة أحد سقط سبعون شهيداً إلى جانب سبعين شهيداً في سرية بئر معونة ، ويقال لهم القراء ، ولم يخرجوا لقتال إنما للتبليغ وغيرها من الوقائع في تعدي وإرهاب قريش وقتلهم للمسلمين غدرًا ومكرًا وتعدياً .

فيجب أن لا يقابل الإرهاب بمثله .

إنما يتحلى المسلمون بالصبر وذكر الله عز وجل ورجاء الفرج من عنده ، ففي الأمر الألهي بالصبر والصلاة وعد كريم ، وزجر عن الانتقام والبطش والإرهاب ، وهذا الأمر والزجر من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة ١٥٤.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

ومن معاني الجمع بين الصبر والصلاة في الآية التحلي بالتقوى في أمور الحياة الدنيا وملازمة العبادات وأداؤها في أوقاتها ، وفيه قهر للإرهاب وتبرء منه ، وقد تقدمت الإشارة إلى قانون ملازمة الصبر للمسلم عصمة من الإرهاب ، وسيأتي بيانه إن شاء الله .

الآية الثانية : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(١) ابتدأت هذه الآية بالثناء على المسلمين والمسلمات ثم ذكرت أمرين من عند الله وهما :

الأول : الأكل من الطيبات ، وبيان أنها من رزق الله لهم .

الثاني : الشكر لله عز وجل على هذا الرزق وهو الهداية والإيمان ، مع بيان وجوب شكر العباد لله عز وجل ، ليكون هذا الشكر سبباً لإستدامة النعم .

ترى ما هي النسبة بين الشكر لله والإرهاب ، الجواب هو التضاد والتنافي ، فمن الشكر لله عز وجل التحلي بالتقوى والصلاح ، واجتناب إيذاء الناس أو الإضرار بهم في أبدانهم وحياتهم ، ومصالحهم العامة والخاصة .

ومن إعجاز القرآن مجئ آية تدل على هذا التضاد في ذات الموضوع ، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * وكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ، لتؤكد هذه الآيات مجمعة حرمة الإرهاب بمفهومه في هذا الزمان ، إذ أن النسبة بين التعدي

(١) سورة البقرة ١٧٢.

(٢) سورة المائدة ٨٧-٨٨.

وبينه عموم وخصوص مطلق ، لقانون الإرهاب تعد على الذات والغير .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم }^(١) وقال { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم }^(٢) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك)^(٣).

(وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز . أنه قال يوماً : إني أكلت حمصاً وعدساً فنفخني .

فقال له بعض القوم : إن الله يقول في كتابه { كلوا من طيبات ما رزقناكم }^(٤) فقال عمر ، هيهات ذهبت به إلى غير مذهبه ، إنما يريد به طيب الكسب ولا يريد به طيب الطعام)^(٥).

ولكن الآية أعم وتشمل الطيبات من الطعام ، وهو الأصل في موضوع الآية ، لبيان لزوم الثفات المسلم إلى النعم في الأكل والشرب ، وشكر الله عز وجل عليها ، وعدم الذهاب إلى الإرهاب والتعدي.

(١) سورة المؤمنون ٥١.

(٢) سورة البقرة ١٧٢.

(٣) الدر المنثور ١/٣٢٧.

(٤) سورة البقرة ١٧٢.

(٥) الدر المنثور ١/٣٣٧.

الآية الثالثة : قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَكُمْ بِهِ بَأْذَنِي إِلَّا أَنْ تَنْفُسُوا فِيهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾^(١) لبيان وجوب الإنفاق في سبيل الله ، ومنه الزكاة ، ولا يجوز دفع الردي منها ، وتشمل الآية الإنفاق والصدقة المستحبة أيضاً من الرزق الحلال ، ومن الطيب من الطعام والحبوب والثمار والتجارات ، وهل يدخل النقد والأوراق النقدية في هذا الزمان في الآية ، الجواب نعم ، لما لها من قوة شرائية وإمكان تصريف الفقير بها لقضاء حوائجه.

(عن ابن عباس قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون ، فأنزل الله { يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم . . . } الآية . وأخرج ابن جرير عن عبيدة السلماني قال : سألت علي بن أبي طالب عن قول الله { يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم . . . } الآية^(٢) .

فقال : نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة ، كان الرجل يعمد إلى التمر فيصرمه فيعزل الجيد ناحية ، فإذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الرديء . فقال الله { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه }^(٣) يقول : ولا يأخذ أحدكم هذا الرديء حتى يهضم له^(٤) .

(١) سورة البقرة ٢٦٧.

(٢) سورة البقرة ٢٦٧.

(٣) سورة البقرة ٢٦٧.

(٤) الدر المنثور ٢/١٩٨.

وهل الأخلاق الحميدة والقول الحسن من الإنفاق المحمود ،
الجواب نعم (وقال أسامة بن شريك: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاءته الأعراب من كل مكان، فقالوا: يا رسول الله، ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: "حسن الخلق")^(١).

الآية الرابعة: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

من إعجاز القرآن مدرسة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ وتدعو كل آية منها إلى تعاهد سنن التقوى ، وتحول دون فعل السيئات وإرتكاب الآثام والظلم ، والتعدي والإرهاب .

ومن الإعجاز أن لفظ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ ورد خمس مرات في القرآن ، كله في سورة البقرة التي هي سورة مدنية ، وسيأتي البيان والتفصيل .

وقد ثبت في الفلسفة عدم إجتماع الضدين ، وبين ما كتب الله عز وجل على المسلمين وبين الإرهاب منافرة ومعاندة وتضاد ، والكتابة هنا الوجوب واللزوم ، ولم يوجب الله عز وجل على الناس عامة وعلى المسلمين خاصة إلا ما هو خير محض ، ونفع للذات والغير في الدارين ، ومنه فريضة الصيام .

وقد أوجبها الله عز وجل على الأنبياء السابقين ، وعلى الموحدين قبل الإسلام ليكون مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتسهيلاً

(١) تفسير ابن كثير ٢٤٤/٦.

(٢) سورة البقرة ١٨٣.

للمسلمين في أداء الصيام والفرائض الأخرى ، وحرماً على الشرك وعبادة الأوثان .

وفي الصيام تنزه عن الغل والحقد والحسد والكذب والغيبة ، وهل في الصيام حرب على النفاق الذي ابتدأ بالظهور في السنة الثانية للهجرة بعد نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في معركة بدر ، وهي ذات السنة التي فرض الله عز وجل فيها الصيام على المسلمين والمسلمات ، الجواب نعم .

ليكون الصيام من مصاديق جند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) والصيام واقية من الفتن وصارف لها ، ولا يعلم ما اندفع ومحى منها بصيام المسلمين والمسلمات وشهر رمضان كأمة متحدة في الفعل العبادي إلا الله عز وجل .

وهل في الصيام حصانة من الإرهاب ، الجواب نعم ، وهو مانع من الإعانة عليه ، وتهيئة مقدماته ، فالصيام أمن من الإرهاب والإقدام على سفك الدماء والتفجيرات .

و(عن عبيدة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الصيام جنة ما لم يخرقها .

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصيام جنة ما لم يخرقها . قيل وبم يخرقها؟ قال : بكذب أو غيبة)^(٢) .

وإذا كان الكذب أو الغيبة في قضية عين شخصية ينخرم معها قانون وقاية الصيام لصاحبه من النار ، فمن باب الأولوية أن الإرهاب مانع من الفوز بثواب الصيام .

(١) سورة المدثر ٣١ .

(٢) الدر المنثور ١/ ٣٦٣ .

وتقدير الآية بخصوص موضوع هذا الجزء على وجوه :

الأول : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام عصمة من الإرهاب .

الثاني : كتب عليكم الصيام للتقيد بسنن التقوى .

الثالث : كتب عليكم الصيام للأمن من ضده في القول والفعل والسمع .

الآية الخامسة : من معاني السلام في آيات النداء قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١) ، وفي هذا الدخول احتراز من الإرهاب ، وابتعاد عنه .

لقد جعل الله عز وجل الأرض دار خلافة الإنسان وسخر النعم للناس جميعاً برهم وفاجرهم ، ومن معاني ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، عدم رضا الله عز وجل باخافة وإفزع الناس بالإضرار البدني والمادي بأفراد منهم بعمل إرهابي مقصود . ولكن الضرر النفسي يتغشى الناس جميعاً القريب والبعيد ، مما يلزم العصمة من الفعل الإرهابي .

ومن الإعجاز في الآية أعلاه إبتدائها بالثناء على المسلمين والشهادة لهم من الله عز وجل بالإيمان ، وهل تحضر هذه الشهادة في الآخرة ، الجواب نعم ، ليكون قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أعظم النعم على المسلمين .

ومن معاني هذه الثناء والشهادة أهلية المسلمين للتقيد بالأمر والنهي الواردين في ذات الآية ، وحتى الفرد القليل النادر الذي

(١) سورة البقرة ٢٠٨ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

يخرج عن مضامين هذه الآية يجب أن يعود إلى رشده ويمتنع عن الإضرار بالناس ، ومن أقبح ضروب هذا الإضرار الإرهاب والتفجيرات والإغتيالات .

وفي الآية بيان لعدم الوقوف عند النطق بالشهادتين بل لا بد من أداء الفرائض العبادية كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والخمس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدخول في السلم والقواعد العامة للأمن والسلم المجتمعي ، وتعاهد حقوق الإنسان ، والتقيّد بالقوانين التي تنظم الصلات بين أفراد المجتمع بما يستديم معه الاستقرار .

وعن ابن عباس ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾^(١) يعني الطاعة . وقال قتادة أيضاً الموادة^(٢) .

(عن ابن عباس { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة } كذا قرأها بالنصب يعني مؤمني أهل الكتاب ، فإنهم كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين ببعض أمر التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم يقول : ادخلوا في شرائع دين محمد ولا تدعوا منها شيئاً ، وحسبكم بالإيمان بالتوراة وما فيها)^(٣) .

ومن إعجاز الآية تعقب النهي للأمر ، فبعد أن أمر الله في الآية بدخول جميع المسلمين في السلم والتقيّد بالضوابط والسنن العامة في التعايش المجتمعي ، والأخوة الإنسانية ، ومفاهيم التراحم نهى الله عز وجل عن إتباع خطوات الشيطان التي هي تقيض السنن الحميدة أعلاه ، ومنها السلم المجتمعي ، وإشاعة معاني الرأفة .

(١) سورة البقرة ٢٠٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٦٥ .

(٣) الدر المنثور ١/٤٨٣ .

وهل الإرهاب والتفجيرات العشوائية وقتل الأبرياء من خطوات الشيطان ، الجواب نعم ، لبيان إعجاز القرآن في تنزيه المسلمين عن الزلزل ، قال تعالى ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١).

الآية السادسة : قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢) ، والإرهاب حرام كتاباً وسنة ، ومن طاعة الله عز وجل ورسوله الإمتناع عن الإرهاب ، والمسلمون والمسلمات على هذا الإمتناع فهم مطيعون لله ورسوله باجتناب الإرهاب ، ولا عبرة بالقليل النادر الذين يجب أن يبادروا إلى التوبة والإنابة والصدور عن القرآن الذي يحرم في منطوقه ومفهومه الإرهاب .

(وعن أبي إمامة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : في حجة الوداع : وهو على (الجدعاء) يعني ناقته فدعا في الركاب يتناول.

قال : ليسمع الناس فقال : ألا تسمعون ، يطول بها صوته فقال قائل من طوائف الناس : ما تعهد إلينا يا رسول الله.

فقال : إعبدوا ربكم وصلّوا خمسكم وصوموا شهركم وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا أولي الأمر تدخلوا جنة ربكم)^(٣).

فطريق الجنة التقوى وأداء الفرائض ، و(عن ابن عباس في قوله { وأولي الأمر منكم } يعني أهل الفقه والدين ، وأهل طاعة الله

(١) سورة البقرة ١٩٥ .

(٢) سورة النساء ٥٩ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٥٣/٢ .

الذين يعلمون الناس معاني دينهم ، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، فأوجب الله طاعتهم على العباد .

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله في قوله ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) ، قال : أولي الفقه وأولي الخير^(٢).

وينهى الفقهاء وأهل الخير عن الإرهاب .
ومن مفاهيم الآية النهي عن طاعة الذين يأمرون بالإرهاب ويحرضون على التعدي والتخريب حتى وإن كان هذا التحريف باسم الدين لمنافاته للدين والكتاب والسنة .

الآية السابعة : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَقْسَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣) ، في الآية تأديب وتعليم وإرشاد للمسلمين عندما يخرجون في سفر أو سرية أو تجارة بأن يمتنعوا عن إيذاء الناس والإضرار بالمصالح والأمن العام .

ومن إعجاز هذه الآية بعث السكينة في نفوس الناس على اختلاف مشاربهم من المسلمين في حلهم وترحالهم ولا ينحصر موضوعها بمن يسلم على المسلمين وحرمة إيذائه بل يشمل التبيين وعدم التعجل والإضرار بالناس والممتلكات.

(١) سورة النساء ٥٩ .

(٢) الدر المنثور ١٥٣/٢ .

(٣) سورة النساء ٩٤ .

والنسبة بين التبين في الآية وبين إجتناب إيذاء من يلقي السلام عموم وخصوص مطلق ، إذ أن التبين أعم .

ومن أظهر أسباب نزول هذه الآية ما ورد عن عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أضم ، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم الحرث بن ربعي أبو قتادة ، ومسلم بن جثامة بن قيس الليثي .

فخرجنا حتى إذا كنا ببطن أضم ، مربنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له ، معه متبع له وقطب من لبن .

فلما مربنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه وحمل عليه مسلم بن جثامة لشيء كان بينه وبينه ، فقتله وأخذ بعيه ومتاعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ (١)(٢) .

ولم يرد لفظ (فتبينوا) في القرآن إلا ثلاث مرات ، مرتين في هذه الآية ومرة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٣) ، لبيان وجوب التبين وعدم الإقدام على فعل فيه أذى أو ضرر للناس ، سواء كان عاماً أو خاصاً ، وتنتهي الآية عن العجلة في الحكم والفعل .

(١) سورة النساء ٩٤ .

(٢) الدر المنثور ٢٠١/٣ .

(٣) سورة الحجرات ٦ .

وجاء زمان العولمة ووسائل النقل السريعة جواً وبراً ، ليتغشى السفر أقطار الأرض ويستطيع المسلم زيارة الأمصار كلها سواء كان من أهل المشرق أو المغرب أو يقيم فيه مما يلزمه التحلي بالأخلاق الحميدة والتبين وإجتنب سوء الظن بالناس ، والتحريض على العنف وإشاعة التطرف ولغة التكفير .

وهل يشترط بالسلام في قوله تعالى ﴿أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾^(١)، تحية الإسلام وقوله (السلام عليكم) الجواب لا، فيجزي في المقام التحية مطلقاً ، قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَةٍ فَاُجِبُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٢).

ومع النهي الوارد في آية البحث فانما تتضمن البشارة والوعد الكريم ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾^(٣).

ومن معانيه أن الغايات الحميدة والمقاصد السامية لا تُنال بالإرهاب والظلم والتعدي ، إنما تأتي بالتقوى وبفضل من الله عز وجل .

وتذكر الآية المسلمين بحال الضعف والإستضعاف التي كانوا عليها ليكون من شكرهم لله عز وجل على نعمة العز والأمن التنزه عن الإرهاب وإخافة الناس وإشاعة الكدورة في المجتمعات بسبب سفك الدماء والقتل العشوائي.

(١) سورة النساء ٩٤.

(٢) سورة النساء ٨٦.

(٣) سورة النساء ٩٤.

وتدعو الآية المسلم أن يكون سفيراً للقرآن والسنة في حال السفر أو الإقامة في البلاد غير الإسلامية وحتى في البلاد الإسلامية أيضاً للتعارض والتضاد بين حسن السمعة والإرهاب.

وقد ذكرت آية البحث علة نعت الذي يسلم على المسلمين في السفر ﴿يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(١).

ومع ذم هذا الإبتغاء لسوء مقدمته فإن الأصل هو إبتغاء الآخرة ، كما قال تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(٢) ، ولا تطلب بالإرهاب وإثارة الفرع والرعب بين عامة الناس .

فان الإرهاب ليس فيه إبتغاء لا للدنيا ولا للآخرة ، ليكون النهي عنه وفق أحكام هذه الآية من باب الأولوية القطعية.

وأختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣) ، فهو سبحانه يعلم النوايا والمقاصد ، وعالم الأقوال والأفعال والحجة التي تبعث على الصبر في لزوم ترك الإرهاب.

ومن معاني خاتمة الآية الإنذار من قتل المؤمن وغير المؤمن بغير حق ، لذا فانها زجر عن الإرهاب ، ومنع من إشاعته أو لصقه بالإسلام وهو منه برئ بدليل آيات القرآن والسنة النبوية.

وسيأتي مزيد بيان في (قانون السلام جامع بين آيات نداء الإيمان) جزء لاحق إن شاء الله .

(١) سورة القصص ٧٩.

(٢) سورة القصص ٧٧.

(٣) سورة النساء ٩٤.

قانون قتل الأولاد من الإرهاب

يمكن تتبع الموارد التي نزل القرآن بالنهي عن القتل فيها (لبيان قانون دلالة التنزيل على حرمة إشاعة القتل) ومنها النهي عن قتل الأولاد ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(١).

لبيان قبح وأد البنات سواء خشية السبي واحتمال حصول الفقر المدقع لأن الله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين ، كما نزل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٢).
(وعن ابن عباس ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ قال : خشية الفقر)^(٣).

وورد مثله عن قتادة.

والمختار أن النسبة بين الآيتين أعلاه عموم وخصوص مطلق ، فقوله تعالى أعلاه ، أي حدوث الولادة أيام الفقر والقحط والفاقة وحبس السماء مطرها ، وقلة العشب.

والفقر الخاص عند بعض الأسر بالعجز عن توفير قوت الزوجين اليومي وحدث غزوات واقتتال بين القبائل ، ورجحان كفة الغزاة وخشية وقوع البنات في السبي وما يلحقه من الذل ، ولم يعلموا أن في الوأد ذل الدنيا والآخرة.

(١) سورة الاسراء ٣١.

(٢) سورة الأنعام ١٥١.

(٣) الدر المنثور ١٦٠/٤.

أما قوله تعالى ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ فهو أعم ويشمل احتمال ورجحان حدوث الفقر والفاقة ومعارك وغزو بين القبائل لوجود ثأر ونحوه وحدوث فاقة وفقر .

ووردت الآيتان بصيغة النهي العام للمسلمين وعامة الناس ، وبالمنع من قتل الأولاد مطلقاً من الذكور والإناث لبيان أن موضوع الآيتين أعم من وأد البنات لأن القرآن لم ينزل لزمان دون زمان ، أو قوم وأمة دون غيرها .

وتشمل الآيتان النهي عن قتل الأولاد ذكوراً وإناثاً ، ومنه وأد البنات الذي وردت حرمة والوعيد عليه بقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(١) .

ولا تنحصر حرمة قتل الأولاد بأشخاصهم وكونهم صبيان أبرياء إنما يشمل دخولهم الإسلام مع بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم محمد وصلاتهم ، وانتفاع الآباء والأمهات منهم كما في قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

وهل اقترنت حرمة الوأد ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن البركات نزلت معه أم أنه عام وسابق للبعثة ولاحق لها ، الجواب هو الثاني .

ومن إعجاز نظم الآيات مجئ النهي عن قتل النفس التي حرم الله بعد آية ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾^(٣) ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾^(١) .

(١) سورة التكوين ٨-٩ .

(٢) سورة النحل ٩٧ .

(٣) سورة الاسراء ٣١ .

ليان قانون وهو وقف القتل وسفك الدماء ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سواء داخل الأسرة الواحدة أو مع الناس جميعاً ليدخل بينها حرمة قتل ذوي القربى أو عقوق الوالدين فقد قرن الله عز وجل الإحسان إليهما بطاعته ، قال تعالى ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٢).

وهل قيام الابن بالإرهاب وسفك الدماء يتعارض مع الإحسان للوالدين ، الجواب نعم ، فهو إيذاء لهما وعقوق بها كانا على قيد الحياة أو لا .

وقد ورد النهي بلفظ (لا تقتلوا) في القرآن في الآيات :
الأولى : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٣) ، ترى ما هي النسبة بين قتل الأنفس والأولاد ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فتدخل حرمة الوأد في دلالات الآية أعلاه .

الثانية : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (٤).

(١) سورة الأنعام ١٥١.

(٢) سورة البقرة ٨٣.

(٣) سورة النساء ٢٩.

(٤) سورة المائدة ٩٥.

الثالثة والرابعة : قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نُرْزِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

الخامسة : قوله تعالى ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٢).

السادسة : قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نُرْزِقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾^(٣).

السابعة : قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٤) ،
وتدل هذه الآية على حرمة الإرهاب والتفجيرات ، وقصر حبسها ،
وتمكن وسلطان أولياء الدم فيها ، وسيأتي البيان بجزء لاحق إن شاء الله .



(١) سورة الأنعام ١٥١.

(٢) سورة يوسف ١٠.

(٣) سورة الإسراء ٣١.

(٤) سورة الإسراء ٣٣.

قانون هدم الأصنام حرب على الإرهاب

قد تقدمت الإشارة إلى هذا القانون في الجزء الواحد والعشرون بعد المائتين من هذا التفسير المبارك .

لقد كان البيت الحرام ولم تكن هناك أصنام ، وتعاهد العرب البيت الحرام بالحج والتطهير وذكر الله عز وجل إذ ورث إسماعيل وذريته دين التوحيد عن إبراهيم عليهما السلام .

ومن الإعجاز أن إسماعيل عليه السلام كان نبياً رسولاً أيضاً ، لتثبيت سنن التوحيد في الأرض وبيان أحكام الحلال والحرام حتى بعد إنتقال إبراهيم عليه السلام إلى الرفيق الأعلى .

وقد وردت نصوص نبوية متعددة في تعيين وذم الذي أدخل عبادة الأوثان في مكة وسوء عاقبته وخلوده في المنام .

و(عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن أول من سيب السوائب ، وعبد الأصنام ، أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإنني رأيته يجر أمعاءه في النار)^(١).

و(عن أبي سعيد الخدري قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر ، فاستأخر عن قبلته ، وأعرض بوجهه ، وتعوذ بالله ، ثم دنا من قبلته حتى رأيناه يتناول بيده ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلنا : يا نبي الله ، لقد صنعت اليوم في صلاتك شيئاً ما كنت تصنعه .

قال : نعم ، عرضت عليّ في مقامي هذا الجنة والنار ، فرأيت في النار ما لا يعلمه إلا الله ، ورأيت فيها الحميرية صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ، ولم تسقها ، ولم ترسلها فتأكل من خشاش

الأرض حتى ماتت في رباطها ، ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ، وهو الذي سب السوائب ، وبحر البحيرة ، ونصب الأوثان وغير دين إسماعيل ، ورأيت فيها عمران الغفاري معه محبته الذي كان يسرق به الحاج .

قال : وسمى لي الرابع فنسيته . ورأيت الجنة فلم أر مثل ما فيها ، فتناولت منها قطعاً لأريكموه فحيل بيني وبينه ، فقال رجل من القوم : كيف تكون الحبة منه؟

قال : كأعظم دلو فرته أمك قط . قال محمد بن إسحاق : فسألت عن الرابع فقال : هو صاحب ثنيتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نزعهما^(١).

ثم جاءت كل قبيلة بصنم خاص نصبت في البيت الحرام ، يجتمعون عنده ، ويقصدونه ، وكأنهم يحجون إليه .

ونزل القرآن بدمهم وإنذارهم ، وإخبارهم عن سوء عاقبة الأمم التي عبدت الأوثان ، قال تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَّيِبٍ﴾^(٢).

وفيه وعيد لكفار قريش وأن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله تأتي على أوثانهم على نحو القطع والحتم ، هو الذي أدركته قريش بخبرتها وشواهد التنزيل ، فسارعت في سباق مع النبي

(١) الدر المنثور ١/٤.

(٢) سورة هود ١٠٠-١٠١.

صلى الله عليه وآله وسلم لمنعه من الإستمرار بالدعوة مع الوعيد والتهديد ، وهو من الإرهاب الظاهر والقيح في موضوعه وغاياته .

لقد أبى الله عز وجل إلا أن تكون الأرض وما عليها ملكاً خالصاً له سبحانه ، ولا بد من عبادته فيها ، فدبّ الشرك إلى بيته الحرام ، قال تعالى ﴿أَنْ طَهَّرَ آبِئْتِي لِلطَّافِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١).

ويتنافى وجود الأصنام في البيت الحرام مع الطهارة موضوعاً ، ثم تعقبها آية الإنذار إلى قريش بقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٢).

ومن الظلم الإرهاب فيأخذ الله عز وجل بالبلاء والعذاب الجماعات والأفراد الذين يمتنون الإرهاب وتخويف عامة الناس ، ويدخلون الرعب إلى البيوت والمنتديات ، ومن أشهر أنواع الظلم عبادة الأوثان ونصبها في البيت الحرام .

وجاءت الآية أعلاه بصيغة الجمع (القرى) للإشارة إلى مكة وما حولها لإختيار أهل مكة والقرى والمدن القريبة منها عبادة الأوثان ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَلْتَنْذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٣).

ولم يكن عمرو بن لحي الخزاعي الذي أدخل عبادة الأوثان في مكة من عامة الناس بل كان سيد مكة يومئذ ، وذا شأن وجاء ، ولم تزح عبادة الأوثان عبادة الله عز وجل في مكة وما حولها ، فكان

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة هود ١٠٢.

(٣) سورة الأنعام ٩٢.

هناك أناس موحدون على حنيفة إبراهيم عليه السلام ، كما كان اليهود والنصارى يدخلون مكة للتجارة ونحوها .

وهل كان هؤلاء الأفراد يبنون لقريش قبح عبادة الأوثان ، المختار نعم ، وكانوا ينقلون البشارات ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، ولا بد أن تقضي هذه البعثة على عبادة الأوثان لعدم إجماع الضدين ، ولغلبة الحق على الباطل ، والتوحيد على الوثنية .

وصحيح أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يهدم الأصنام في بدايات البعثة وقبل الهجرة إلا أنه والقرآن كان يدعو إلى هدمها ، ويبين ضررها ، وخلود الذي يعبدها في النار ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

وكان هذا البيان من أسباب دخول طائفة من الناس الإسلام ، فصحيح أن قريشاً حاربوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن دعوته وجدت أذاناً صاغية ، وأناساً سخروا عقولهم للتدبر في آيات القرآن ، وحقيقة بطلان الأصنام .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، الجواب نعم .

فمن مصاديق الآية أعلاه بعثة النفرة في نفوس الناس من عبادة الأوثان ، وهي عرض زائل حتى إذا ما دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة في عام الفتح كان أكثر أهلها مسلمين .

(١) سورة النساء ٤٨.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

قانون قبح الإستدراج إلى الإرهاب

الأصل هو التنافي بين الفطرة الإنسانية والإرهاب ، فيمتلك كل إنسان موانع من الإرهاب واللجوء إليه وهذه الموانع من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، ولكن كل فرد منها كاف لمعرفة قبح الإرهاب والأضرار المترتبة عليه ، وكيفية الإحتراز منه ، وفي التنزيل ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

ويقال (استدرجه أي خدعه وأدناه)^(٢).

و(يقال: امتنع فلان من كذا وكذا حتى أتاه فلان فاستدرجه أي خدعه حتى حمله على أن درج في ذلك)^(٣).

ليان قبح الإستدراج إلى فعل السيئات والمنكر والقبيح مطلقاً ومنه الإرهاب ، فلا يصح إغواء الشاب بالإنجرار إلى الإرهاب وتزيين صورته له ، وحمله على الإتيان بالفعل الإرهابي ، ولا بد للأنظمة والمؤسسات الإصلاحية والثقافية والتربوية الإجتهد بتأديب الشباب بالنصح والإرشاد والفقاهة والتعليم وفرص العمل للعزوف عن الإرهاب ، وإجتنب الغواية والغاوين به.

ويتبرأ الشيطان من أتباعه كما ورد في التنزيل ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُونَنِي وَلَا تُؤْمُوا

(١) سورة النور ٦٣.

(٢) القاموس المحيط ١/١٧٧.

(٣) تهذيب اللغة ٣/٤٧٤.

أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

وهل المراد من الشيطان خصوص ابليس ، الجواب لا ، قال تعالى ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَكَوْشَاءَ رَبِّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (٢).

ويحرم استدراج الشاب إلى العمل الإرهابي بمفهومه في هذا الزمان لأنه ضرر محض عليه وعلى الناس ، وفيه مجلبة للشر على العائلة وأهل الملة .

ومن الفطرة نفرة الإنسان من صيرورته سبياً في نشر الرعب بين الناس وسفك الدماء من غير أن يحقق أي غاية يسعى إليها .

ولقد سعى كفار قريش لإخافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه وقتل طائفة منهم وأسر أخرى فأخزاهم الله عز وجل وقذف في قلوبهم الرعب فصاروا عاجزين عن بلوغ مقاصدهم الخبيثة ، وجاء هذا القذف سريعاً ودفعة واحدة بدليل قوله تعالى ﴿سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْجِئُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

وهل يعود الإرهاب بالرعب على صاحبه ، الجواب نعم ، لمخالفته العقل والوجدان والنظام العام ، قال تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي

(١) سورة ابراهيم ٢٢.

(٢) سورة الأنعام ١١٢.

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١﴾.

لقد جاء الأمر بقول الأحسن وهو أفضل من الكلام الحسن ،
ليدل بالأولوية القطعية على لزوم إجتناّب إرهاب وإخافة الناس
بالقول ، وأشد منه ما كان الإرهاب بالفعل والتعدي والظلم العام
والخاص .

ومن خصائص الإرهاب في زمن العولمة ترتب الأذى العام على
الفعل الإرهابي المحدود في مكانه وزمانه ، وحشد الناس كافة ضد
فاعله والجهة التي ينتمي إليها ، مع إدراكهم لبراءتها من فعله .
لذا فمن إعجاز القرآن إعلانه قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة
نهيّه عن الإرهاب ، وحرمة الصاّقه بأهل الإيمان ، مع بيانه للتضاد
بينه وبين الإرهاب ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٢).

لقد أسس القرآن لمعالم الإيمان في الأرض وهي في تضاد مع
إرهاب كفار قريش ، وإخافتهم الناس وسعيهم في استدراج القبائل
لإيعانتهم في حربهم ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
والمسلمين ، وهو استدراج للإرهاب فلم يلاقوا إلا الخزي والخسارة
ليبيان موعظة حسية للأجيال وهي سوء عاقبة الإرهاب لوحدة
الموضوع في تنقيح المناط.



(١) سورة الاسراء ٥٣.

(٢) سورة الاسراء ٩.

قانون التضاد بين القصاص والإرهاب

من معاني الرحمة العامة في القرآن نهي النبي عن القتل مطلقاً إلا عند الضرورة ، وهذه الضرورة مقيدة ومحددة كما في حال الدفاع عند هجوم وغزو المشركين للمدينة ، وليس القتل على نحو التعيين ، مع النهي عن التعدي.

ومن أبشع ضروب التعدي القتل والتفجيرات ، إذ حض الله على الصبر ، واللجوء إلى الدفاع عند الحاجة ، قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).
﴿الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

كما ورد بخصوص القصاص من الذي يقتل غيره عمداً وهو من التعدي الذي تذكره الآية أعلاه ، فقال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

ومن الإعجاز في الآية أعلاه أنها ذكرت القصاص وليس تنفيذه على نحو القطع ، لوجود مرتبة بين الحكم بالقصاص وبين تنفيذه وقد يقع فيه صلح أو تخفيف أو قبول دية أو عفو كما في قوله تعالى ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣).

ليبيان القتل بسبب الإرهاب والتفجيرات ليس من شرائع الإسلام ، وقد نزل القرآن بالنهي عنه .



(١) سورة البقرة ١٩٠.

(٢) سورة البقرة ١٧٩.

(٣) سورة البقرة ٢٣٧.

قانون آيات (قل) دليل على التضاد بين القرآن والإرهاب

من حب الله عز وجل للناس ، وتجدد مفاهيم خلافتهم في الأرض نزول القرآن وكثرة ما فيه من الأوامر الإلهية الموجهة إلى النبي محمد وأكثرها بصيغة (قل) أي أنها لا تنحصر بهذا اللفظ مثل ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾^(١).

وتتعدد الأوامر في الآية أعلاه من وجوه :

الأول : فادع أي ادع إلى التوحيد والإسلام وعبادة الله وحده ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٢).

الثاني : استقم .

الثالث : كما أمرت ، لبيان أن النبي محمداً عبد لله عز وجل أكرمه الله عز وجل بالنبوة والوحي ، وأنه مأمور بتبليغ الرسالة كاملة ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٣).

الرابع : قل أمرني الله لا اتبع أهواءهم .

الخامس : قل آمنت .

والنسبة بين لفظ أمرت الأول والثاني في الآية أعلاه العموم والخصوص المطلق ، فأمرت الأول شامل للعبادات والمعاملات

(١) سورة الشورى ١٥.

(٢) سورة الحج ٦٧.

(٣) سورة المائدة ٦٧.

والأحكام ، أما الثاني فيختص بالحكم بالعدل بين الناس مع إقترانه بالتذكير بوجوب عبادة الله عز وجل وحده لبيان المائز في حكم وفصل النبي وعلماء الشريعة بين الناس ، مع أنهم مأمورون بالحكم بالعدل مع تذكير أطراف الخصومة والنزاع بسنن التوحيد ، وما يريده الله عز وجل من العباد وتلقي طاعة الله واجتناب معصيته بالتنزه عن الإرهاب.

السادس : الإيمان بنزول القرآن وكل كتاب سماوي من عند الله.

وفي خطاب للمسلمين والمسلمات كافة ، قال تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخُنْ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

السابع : قل امرت لا عدل بين الناس .

الثامن : قل الله ربنا وربكم .

التاسع : قل لنا اعمالنا ولكم اعمالكم.

العاشر : قل لاحجة ولا خصومة بيننا وبينكم .

الحادي عشر : قل الله يجمع بيننا .

الثاني عشر : قل إلى الله المصير .

ويتضمن كل فرد من هذه الأوامر الدعوة إلى الصلاح ونبذ الفساد والعنف والإضرار العام بالناس على اختلاف عقائدهم ودينهم.

كما وردت أوامر من الله عز وجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصيغ متعددة منها مثلاً ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ * وَعَبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١﴾.

وقد يأتي أمر جامع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾.

لقد ورد لفظ (قل) في القرآن (٣٣٢) مرة كلها موجهة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء أربعة منها. وجاء مقترناً بالواو (وقل) إحدى وعشرين مرة ، ومقترناً بالفاء (فقل) ثماني عشرة مرة .

وقد تعين الجهة التي يتوجه لها قول النبي مثل ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ ﴿٣﴾.

وقد يأتي القول قانوناً عاماً موجهاً للناس جميعاً منه ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَشْرَاكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٤﴾. وقد ورد بهذا المعنى لفظ (قل) ست مرات في الآية أعلاه والآيات الأخيرة من سورة الملك.

(١) سورة الحجر ٩٨-٩٩.

(٢) سورة الحج ٧٧.

(٣) سورة الفتح ١٦.

(٤) سورة الملك ٢٣.

وقد يأتي لفظ (قل) مطلقاً من غير تعيين جهة يتوجه إليها مثل ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(١).

وكثير من لفظ (قل) موجه إلى الكفار لاقامة الحجة عليهم ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُسَّ الْمِهَادُ﴾^{(٢)(٣)}.
ومن خصائص لفظ (قل) دلالة على تقديم لغة الإحتجاج وأنها الأحسن والأأنفع في الصلاح ، ودفع الفساد ﴿قُلْ بَلْ مَلَكٌ بَرَّاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤).

ولقد كان إبراهيم عليه السلام رجل سلم ، تحمل أشد الأذى بالصبر ، واختار الهجرة المتعددة للإعراض عن القوم الكافرين من غير أن يحاربهم أو ينتقم منهم .
وتتضمن الآية أعلاه الإقتداء بسيرته ، مع التذكير بنجاته من القوم الظالمين ، وجعل النبوة في ذريته ، فليس في ترك الإرهاب والظلم إلا البركة والصلاح والنفع القريب والذي يأتي في قادم الأيام.

ويخبر القرآن بأن كل ما في السموات والأرض هو لله عز وجل وأنه سبحانه هو الرحيم بالخلائق مما يلزم الإمتناع عن الإضرار

(١) سورة الجن ١.

(٢) سورة آل عمران ١٢.

(٣) انظر الجزء الواحد والخمسين من هذا السفر الذي يتضمن تفسير هذه الآية الكريمة.

(٤) سورة البقرة ٢٣٥.

بالناس وإشاعة الخوف في ملك الله عز وجل وأن الحساب والجزاء يوم القيامة.

قال تعالى ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وتؤكد آيات القرآن على اتباع ملة إبراهيم ، ومنها الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باعلان إتباعه لها ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

ليبان التباين بين كل من الصراط المستقيم والدين القيم وملة إبراهيم والحنيفية من جهة والإرهاب من جهة أخرى ، خاصة وأن ملة إبراهيم جلية ومعروفة عند الأمم وهي اتخاذ التوحيد والصبر منهاجاً وعدم قيامه برد الإرهاب والبطش بمثله ، لم يقتل ولم يسفك دماً واختار الهجرة والإعراض عن القوم الكافرين وثباته على مبادئ التوحيد.

وجاءت الآيات بمواساة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على الأذى الذي يلاقون من المشركين ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، فلا تدعو هذه الآية إلى تعريض الذات والغير إلى التهلكة إنما تتضمن الإخبار بأن ما يأتي قهراً أو انطباعاً بسبب بطش المشركين فانه مما كتبه الله عز وجل على المؤمنين وفيه الأجر والثواب.

(١) سورة الأنعام ١٢.

(٢) سورة الأنعام ١٦١.

(٣) سورة التوبة ٥١.

فالأية أعلاه من آيات الصبر والرضا بقضاء الله وقدره ، قال تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

ليبان حرمة الإرهاب حتى مع المشركين وقيل نسخت هذه الآية ، والأصل عدم النسخ ، لأن احتمال الأذى والصبر عليه مندوب .
إنما يعتني المؤمن بدينه واصلاح نفسه لأموال الدين والدنيا ويقابل الناس بالإحسان والصفح والعفو عند تلقي الأذى .

لتكون هذه المقابلة دعوة للهداية والإيمان ، قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢) ، وليس بعد صبر المؤمنين إلا الأجر والثواب والفوز ، وقال تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣) ، وفيه حض للمؤمنين على الغبطة والسعادة لما عندهم من النعم العظيمة وترك إيذاء الغير .

وفي الآية أعلاه ورد عن أنس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قال : فضل الله القرآن ، ورحمته أن جعلهم من أهله)^(٤).

ليبان لزوم الصدور عن القرآن الذي يدعو إلى السلم المجتمعي ، وينهى عن الإرهاب ويبين أضراره العامة.

(١) سورة الجاثية ١٤.

(٢) سورة فصلت ٣٤.

(٣) سورة يونس ٥٨.

(٤) سورة الدر المثور ٢٤٢/٥.

وهل تدل الآية على لزوم تعاهد العمل بالقرآن بالإمتناع عن إثارة واستفزاز الدول الكبرى ونفرة شعوب عديدة ، الجواب نعم ، وهو من أحكام الصبر والتقية مجتمعين ومتفرقين .

وتنزه الآية أعلاه المسلمين من الحسد في أمور الدنيا وجمع الأموال ، وعلو الشأن في الدولة والمجتمع لبيان أن كنز الإيمان هو ثروة ونعمة عظيمة تمنع المسلمين من الإغترار بالغير أو الإضرار به .

و(عن ابن عباس ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ قال : النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قال : علي بن أبي طالب .

وأخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه ، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١) ، من عرض الدنيا من الأموال^(٢) .

ومع كثرة الآيات التي ورد فيها الأمر إلى النبي محمد (قل) فليس فيها ما يستقرأ معه جواز الإرهاب ، أو الحض عليه أو الإخبار عن كونه أمراً مباحاً ، إنما هو أمر حرام كتاباً وسنة .

وستبقى آيات (قل) منار هدى للمسلمين والمسلمات وطريق صلاح واستقامة ، ومادة لإقتباس الدروس والمواظ منها .

وفي سورة يوسف وردت خطابات متعددة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

(١) سورة يونس ٥٨ .

(٢) الدر المنثور ٢٤٤/٥ .

أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾^(١)، لبيان التضاد بين دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين لله عز وجل وبين العمل الإرهابي والتفجيرات وسفك الدماء .

وتدل الآية أعلاه وآيات أخرى من سورة يوسف على عدم اختصاص هذه السورة بقصة يوسف عليه السلام ، وعلى قانون حضور رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أي قصة من قصص الأنبياء وهو من مصاديق تفضيله .

وهل هذا التفضيل دعوة للمسلمين للشكر لله ، الجواب نعم ، ومن وجوه الشكر الصبر والخلق الحميد وإشاعة الأمن في المجتمعات كافة ، وبعث الطمأنينة من المؤمن لتنزهه عن الغدر .

لقد تقدمت الإشارة في الجزء الثلاثين بعد المائتين إلى هذا القانون بعنوان الأمر (قل) زاجر عن الإرهاب لما فيه من تثبيت معاني الرحمة والتراحم في الأرض ، إذ أن الأمر (قل) فرع قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

وبيان مصاديق هذه الرحمة في أمور الدين والدنيا ولغة الإحتجاج التي هي ضد للإرهاب إذ أن أمر الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإحتجاج على الذين كفروا في آيات كثيرة شاهد على لزوم الإستغناء عن الإرهاب ، وحرمة الذهاب إليه ، وبيان قانون وهو خلو الإرهاب والظلم من النفع .

إنما نزلت الأوامر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليأمر المسلمين بأداء الفرائض والإنفاق في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استعداداً لليوم الآخر ، قال تعالى

(١) سورة يوسف ١٠٨ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾^(١)، وليس في الآية أعلاه إلا ما هو هو ضد للإرهاب ، ونفرة منه.

وقد تأتي الأوامر الإلهية إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير لفظ (قل) ولكنها تفيد ذات المعنى والدلالة وكأنه من الأشباه والنظائر كما في قوله تعالى ﴿تَبٰى عِبَادِيَ اَنِي اَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ^(٢).

والنسبة بين لفظ (عبادي) في الآية أعلاه والآية المتقدمة من سورة إبراهيم عموم وخصوص مطلق ، فالآية أعلاه هي الأعم لعدم التقييد بصفة الإيمان ، فتشمل الناس جميعاً ، وفيه دعوة للمسلمين للصبر على الناس رجاء التوبة والإنابة ، ولأن الله عز وجل هو الغفور وهو الرحيم.

وقد يأتي الأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ (بشر) أو (أنذر) أو (ييسر) كما في قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٣)، لبيان التنافي بين طريق الفوز بالأجر والثواب وبين الإرهاب والتعدي والظلم .

ومن معاني الجمع بين الآيتين اصلاح المسلمين للأمن ووراثه الأرض بالتقوى والصبر وحسن السمات مع الناس جميعاً.



(١) سورة إبراهيم ٣١.

(٢) سورة الحجر ٤٩-٥١.

(٣) سورة الإسراء ٩.

قانون الملازمة بين الإرهاب والخوف

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار السلم والأمن والإحسان المتبادل بين الناس بما يبعث السكينة في النفوس فتكون مقدمة لذكر الله والتدبر في الخلائق ، واتخاذ هذا التدبر وسيلة لتثبيت الإيمان في النفوس ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

ولكن جماعة قليلة أو طائفة تختار أسباب الفزع وبث الرعب بين الناس وإيقاع قتلى وجرحى ، وإحداث تخريب وفساد ، فيضج الناس منهم ، ويستهجنون هذا الفعل ، ثم لا يقفون عند حد الإستهجان لتحديث المواجهة مع الإرهاب بالرجال والسلاح والمال ثم المحاكم والسجون ، وما فيها من الذل والقهر والشماتة والخسارة من الطرفين بالأرواح ، وضياع الأموال العامة بالإنفاق الكثير على أمر طارئ على أنظمة وحياة الشعوب مع جامع مشترك بين الطرفين وعامة الناس وهو الخوف .

ليبان الضرر الفادح للإرهاب بديبب الخوف إلى قلب القريب والبعيد ، والصديق والعدو ، وذات الذي يتصف بالفعل الإرهابي ، وتكثر الإشاعات التي تبعث على زيادة الخوف والإنشغال بالإرهاب وآثاره وأضراره ، إنما يريد الله عز وجل للحياة الدنيا أن تبقى دار الألفة والغبطة والسعادة والهدى .

لذا ترى البشارة مقدمة على الإنذار في دعوة الأنبياء ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾^(١)، فاشتطت الآية أعلاه للنجاة في
النشأتين أمرين :

الأول : الإيمان .

الثاني : الإصلاح .

والإرهاب تخريب وهو ضد للإصلاح والأمان العام والخاص ،
مما يدل على أن الذي يتخذ الإرهاب منهاجاً وطريقاً يجب عن
نفسه نعمة الأمن ، ويصاب بالخوف والندامة والحزن في الدنيا
والآخرة.

وهل تدل الآية أعلاه على قانون هذا البحث وهو الملازمة بين
الخوف والإرهاب حتى في عالم الآخرة ، الجواب نعم.

مما يستلزم من الشباب المسلم وغيرهم من أهل الكتاب وأهل
الملل كافة الإبتعاد عن الإرهاب فكراً وعقيدة وقولاً لأضراره
الخاصة والعامة ، وعدم ترتب النفع عليه سواء بالواقع المنظور أو
البعيد ، وفي الدنيا أو الآخرة ، إنما هو مجلبة للخوف والفرع والذل
والإستضعاف ، قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَادَّارَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ﴾^(٢).

ومن الشكر لله عز وجل على نعمة الأمن والطمأنينة للذات
والأسرة والناس جميعاً ترك الإرهاب .

وقيل نزلت الآية أعلاه بأهل مكة لعنادهم وكفرهم وجحودهم
بالنبوة ، وموضوعها أعم بما هو سابق للإسلام وما هو لاحق لبعثة

(١) سورة الأنعام ٤٨.

(٢) سورة النحل ١١٢.

النبي محمد باستعارة الاذاقة ووصف اللباس كناية عن السوء والأذى والعقوبة التي تلحقهم مما يلزم التنزه عن الإرهاب ، وتأديب الأبناء والناشئة باجتنابه والإبتعاد عنه فهو ضرر محض ، وفي التنزيل ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

مبارزة (بدر) قهر للإرهاب

لقد وقعت معركة بدر في اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية ، وهي أول معركة تقع بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من جهة وبين مشركي قريش من جهة أخرى .

وتدل آيات القرآن والسنة النبوية والشواهد التاريخية على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يقصد القتال ولم يطلب لمعان السيوف وسفك الدماء ، لبيان تحقق مصداق لإحتجاج الملائكة عندما أخبرهم الله عز وجل عن جعل الإنسان خليفة في الأرض ورد الله عز وجل عليهم كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فاظهر المشركون الفساد في الأرض بعبادة الأوثان وإشاعة المعاصي والرذائل ثم سعوا في قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) سورة التوبة ١٠٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

وسلم وجعلوه أحد خياراتهم ، كما ورد في التنزيل ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

وليس من فعل أشد جرماً من قتل النبي الذي إختاره الله عز وجل من بين البشر لتبليغ رسالته وأنزل عليه الوحي وكانت هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة طلب المشركين قتله في فراشه رحمة بالناس وهو من مصاديق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

إذ تدخل نجاته من القتل في مصاديق هذه الرحمة ، وهل كان فيها رحمة بالكفار ، الجواب نعم .

فلم ييؤءوا بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ، ولأن الهجرة طريق ومناسبة لهدايتهم .

وقد دخل شطر منهم الإسلام ، ومنهم بعض رؤساء الشرك ممن كانوا يقودون الجيوش لمحاربته ، إلا من مات أو قتل على الكفر ، ومنهم المشركون الذين قتلوا في معركة بدر.

لقد خرج نحو ألف من أهل مكة مدججين بالسلام بذريعة إنقاذ قافلة أبي سفيان ، وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يعترضون سبيلها ، والتي تتألف من ألف بعير محملة بالبضائع قادمة من الشام.

وهل من الصدفة والإتفاق أن أغلب أهل مكة لهم أموال وتجارات في هذه القافلة خاصة ، وأنها تصل مكة في موعد قريب من

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

موسم الحج الذي تفد فيه العرب من كل صوب إلى مكة ، وتعمر فيها أسواقها الموسمية مثل سوق عكاظ وذي المجنة وذي المجاز إلى جانب أسواقها الدائمة.

المختار لا ، وقد يكون نوع مكيدة وخطة خبيثة لبعث الناس على النفير عندما يصلهم إخبار أبي سفيان رئيس القافلة بأنها تتعرض لهجوم وشيك خاصة وأن من رجالات القافلة عمرو بن العاص ذي الكيد والمكر الذي رأس وفدأ من قريش إلى الحبشة فسألوا النجاشي تسليم أهل البيت والصحابة الذين هاجروا إليها.

ولكن النجاشي استدعى الصحابة وسمع منهم آيات من سورة مريم وسور أخرى فامتنع عن تسليمهم .

وعن عبد الله بن مسعود (قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن ثمانون رجلاً ومعنا جعفر بن أبي طالب ، وبعثت قريش عمارة ، وعمرو بن العاص ، ومعهما هدية إلى النجاشي .

فلما دخلا عليه سجدا له وبعثنا إليه بالهدية ، وقالوا : إن ناساً من قومنا رغبوا عن ديننا وقد نزلوا أرضك .

فبعث إليهم حتى دخلوا عليه فلم يسجدوا له .

فقالوا : ما لكم لم تسجدوا للملك ، فقال جعفر : إن الله بعث إلينا نبيه فأمرنا أن لا نسجد إلا لله .

فقال عمرو بن العاص : إنهم يخالفونك في عيسى وأمه . قال : فما يقولون في عيسى وأمه .

قالوا : نقول كما قال الله : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهها بشر.

فتناول النجاشي عوداً فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزن هذه .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه نبي ، ولوددت أني عنده فأحمل نعليه ، فانزلوا حيث شئتم من أرضي^(١) .

وفي قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢) ، ورد عن ابن عباس أنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبي طالب، وابن مسعود وعثمان بن مظعون، في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة. فلما بلغ ذلك المشركين، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم)^(٣) .

وساق قريباً من الخبر أعلاه ، وموضوع الآية أعم وهو متجدد وشاهد على حرمة الإرهاب والتفجيرات في بلاد النصرى .

وهل من صلة بين خيبة قريش وعجزها عن إعادة الصحابة المهاجرين إلى الحبشة ، وبين معركة بدر وإصرارهم على القتال فيها .

المختار نعم ، فقد أدركت قريش قانون اتساع الإسلام كل أسبوع ، وكل شهر ، ودخول الناس فيها طوعاً وأنه يزحف على سلطانهم في مكة ، ويسقط هيبتهم وشأنهم بين القبائل وعند ملك الروم والحبشة وفارس ما داموا مقيمين على الكفر والضلالة ، ويزجرهم عن المعاصي ، ويمنعهم من الزنا والربا .

(١) الدر المنثور ٣/٣٠٣ .

(٢) سورة المائدة ٨٢ .

(٣) تفسير الطبري ٤٩٩/١٠ .

وحينما وصل رسول أبي سفيان وهو ضمضم بن عمرو يندب قريشاً خرجوا سراعاً لنجدة قافلته خاصة وأنه لم يكن مع القافلة سوى ثلاثين أو أربعين رجلاً.

ثم علموا في الطريق بوساطة رسول من أبي سفيان بسلامة القافلة وفيه دعوة لقريش للرجوع والإمتناع عن مواصلة السير ، وفيه حجة عليهم وزجر عن معركة بدر ، فهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١).

نعم رجع إلى مكة نفر وجماعة من وسط الطريق إلى بدر لثبوت سلامة القافلة ، وانتفاء سبب الإستمرار بالمسير ، وهل اكتشفوا أن المسير ورسالة أبي سفيان لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكر وأنه ليس من صحة الخبر تعرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

الجواب لا بد من دليل أو أمانة أو قرينة ، نعم لا يدل قوله تعالى ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

على نية المسلمين الإستحواذ على القافلة ، لأن الود كيفية نفسانية.



(١) سورة الأنعام ١٤٩.

(٢) سورة الأنفال ٧.

مقارنة بين كسر إبراهيم الأصنام وإزاحة النبي محمد (ص) لها من الأرض

لقد وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثمائة وستين صنماً ، فقام بتكسيدها وتهشيمها (قال ابن مسعود وابن عباس : لما إفتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً ، صنم كل قوم بخيالهم ومعه مخصرة فجعل يأتي الصنم فيطعن في عينه أو في بطنه ثم يقول ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١) يجعل الصنم ينكب لوجهه وجعل أهل مكة يتعجبون ، ويقولون فيما بينهم ما رأينا رجلاً أسحر من محمد)^(٢).

ومن معاني الحق في الآية ، القرآن والإسلام ، لبيان أن جبل الضلالة والفتنة قصير ، وأن فتح مكة غلق لباب جامع للضلالة والإرهاب ، ليكون من وجوه تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قضاؤه على عبادة الأوثان إلى يوم القيامة .

لقد قام إبراهيم عليه السلام بتكسير الأصنام في بلدته مدينة نمرود وقيل تقع في العراق على ضفاف دجلة جنوب الموصل بثلاثين كيلو متر ، إذ قال ﴿وَاللَّهُ لَا يَكِيدَنَ أَصْنَانَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾^(٣).

وأرادوا قتله بأبشع أنواع القتل بالحرق بالنار واشترك أهل المدينة جميعاً بجمع الحطب لهذه النار أي أن تكسيده للأصنام محدود مكاناً وزماناً ، وتناجى المشركون لصناعة غيرها ، لبيان تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام من وجوه :

الأول : صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته.

(١) سورة الإسراء ٨١.

(٢) الثعلبي/الكشف والبيان ٦٢/٨.

(٣) سورة الأنبياء ٥٧.

الثاني : نزول آيات القرآن التي تبين القبح الذاتي للأصنام ، وتذم عبادتها ، والتقرب والتزلف إليها ، وبطلان إتخاذها وسائط إلى الله ، قال تعالى ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(١).

الثالث : بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرايا إلى الأوثان التي حول الكعبة فكسرت كلها دفعة واحدة إلى جانب الأصنام التي ابتدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكسرها.

الرابع : نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بِمَكَّةَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْعُ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ)^(٢) ، والقيت مهشمة في الطرقات.

الخامس : لقد قضى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأصنام في عموم جزيرة العرب ، وهو من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم .

السادس : إنحسار وإنقطاع عبادة الأصنام في الأرض إلى يوم القيامة ببركة بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع : بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرايا من أصحابه لهدم أصنام معينة في أنحاء الجزيرة ، ولورأوا في طريقهم صنماً آخر فهل يكسرونه ، الجواب نعم .

الثامن : تفقه الناس ببطلان عبادة الأصنام أو إتخاذها وسائط تقربهم إلى الله عز وجل .

التاسع : تكسير الأصنام كلها معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

العاشر : محو عبادة الأوثان إزاحة للإرهاب.

(١) سورة الحج ٣٠.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٣٦١ .

الحادي عشر: تكسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأصنام المنصوبة في البيت الحرام والتي تكون فتنة لأهلها والوافدين إليها من المدن والقرى ، قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(١).

الثاني عشر: كثرة الأصنام التي كسرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ففي يوم واحد كسرت ثلاثمائة وستين صنماً في البيت الحرام وحده.

الثالث عشر: اشتراك الصحابة في كسر الأصنام ، فقد قام إبراهيم عليه السلام بكسر الأصنام بمفرده.

الرابع عشر: تكسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأصنام علانية ، بينما قام إبراهيم بكسرها خفية وفي غيبتهم ، إذ كان لهم عيد يجتمعون فيه خارج المدينة.

وقالوا لإبراهيم ألا تخرج معنا فترى بعض الوقائع عن ديننا ، فقال : اني سقيم ، وكا قد توعدهم قبلها ﴿وَاللَّهُ لَأكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾^(٢) ، فسمعه بعضهم .

ترى لماذا لم يهدم الأصنام بحضورهم ، الجواب يجهزون عليه ويقتلونه في الحال وان كان الله عز وجل قادر على أن ينجيه بآية من عنده سبحانه وإرادة إطلاع أهل البلدة دفعة على كسرها عند عودتهم .

ولما خرجوا ولم يبق إلا الضعفة وكبار السن فجاء إبراهيم من أهله بطعام وصار يقربه إلى الألهة ويطلب منهم أن يأكلوا ، كما ورد في قوله

(١) سورة الحج ٢٧.

(٢) سورة الأنبياء ٥٧.

تعالى ﴿فَرَأَى إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١﴾، بلحاظ أن الإله يجب أن يكون أفضل من الذي يوليه ويعبده فلا بد أن يكون متكلماً ويفعل ما يدل على أنه حي وكذ بالنسبة للملائكة ، ولكن الآلهة كانت جمادات ، عملوها ونحتوها بأيديهم.

الخامس عشر: ترك إبراهيم صنماً كبيراً في بهو واسع للحجة عليهم ليسألوه عن كسر الأصنام المجاورة له بينما كسر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كل الأصنام.

السادس عشر: لقد عاد المشركون إلى البلدة وغضبوا لكسر الأصنام وتوعدوا من كسرها ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ ^(٢)، فاشاروا إلى إبراهيم عليه السلام بصفة فتى ﴿سَمِعْنَا قَتْلَ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ^(٣)، بينما كسر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأصنام والناس صاروا يعلمون أنه نبي رسول من عند الله.

السابع عشر: ليس من ضرر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما كسر الآلهة.

الثامن عشر: قانون لم ولن تصنع أصنام في الجزيرة بعد أن كسرها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه.

التاسع عشر: ليس من معارضة أو احتجاج على كسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأصنام ، وهو من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة الصافات ٩١-٩٢.

(٢) سورة الأنبياء ٥٩.

(٣) سورة الأنبياء ٦٠.

العشرون : لقد زاول المشركون أيام نمرود أشد ضروب الإرهاب على إبراهيم عندما كسر الأصنام ، بينما كسرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستئصال الإرهاب .

الواحد والعشرون : من معاني كسر الأصنام لزوم عدم اتباع الغواية وأهل الضلالة والتطرف والعناد.

الثاني والعشرون : كسر الأصنام أمر بسيط ظاهر ، لبيان أن مفاهيم الشريعة ظاهرة وواضحة .

الثالث والعشرون : كسر الأصنام دعوة للصدور عن القرآن والسنة ودعوتها للسلم وإشاعة الأمن بين الناس ، وليس عن رؤساء التكفير والعنف الذين يدعون بالدلالة التضمنية أو الإلزامية والمفهوم إلى الفتك والبطش.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد : ٢٢ / ١١٥٦

التاريخ : ٢٠٢٢ / ٦ / ٥

توصية المرجعية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 نبارك لكم جهودكم وجهادكم في إنشاء دور للمؤمنين ذوي
 الفاقة ، ونرجو ملاحظة ما يلي :
الأول : جعل التبرع والمساهمة الشهرية على شعبتين :
الأولى : حد أعلى وهو الثابت عندكم .
الثانية : استحداث حد أدنى خمسة آلاف دينار مع جواز النقل
 والانتقال بينهما لقوس صعود أو نزول ، وكل على خير
 وللإستدامة ، وقاعدة نفي الحرج .
الثاني : بناء مجتمعات صغيرة ولو من خمسة دور للتخفيف
 في الجهد والكلفة والوقت ، ولتجلى العمل بوضوح وللمندوحة
 في الوقت كي تنتزع وقتاً للتدريس لقاعدة تقديم الأهم على
 المهم لأهل العلم والفضيلة ، وقد أنشأ شرطي من الحلة مجمعاً
 من (٢٥) دار للفقراء بمشروع ألف دينار فقط ، ولا بأس
 بالبناء العمودي المحدود .
 ولو كان عندكم فراغ لبعتنا لكم الجزء الخامس والثلاثين بعد
 المائتين من تفسيرنا للقرآن ويقع بعنوان (التضاد بين القرآن
 والإرهاب) والجزء السادس والثلاثين بعد المائتين ويختص
 بتفسير الآية (١٩١) من سورة آل عمران في آية علمية لم
 يشهد لها التاريخ مثيلاً ، ونطبع أجزاءه المتتالية على نفقتنا
 الخاصة والحمد لله ، وهو من أفضل موارد الخمس والزكاة .

الثالث : ونذكر سماحتكم أنه في سنة (٢٠٠١) أردت عقد دورة فقهية وأصولية في النجف الأشرف لوكلاء المرجعية في المحافظات ، وفاجأنا رجال الأمن صبيحة يوم الإفتتاح بلزوم الحصول على الموافقة ، وقال تعالى ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَتَمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ، وإذا تهيئت مستلزمات الدورة تقام إن شاء الله خاصة مع الحاجة إليها ، والنفع الخاص والعام منها.

الرابع : ولو تبرع فرد بسهمين كل واحد خمسة آلاف فهل له ذات الأجر لمن تبرع بعشرة آلاف في الشهر الواحد لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، أم له أجر أكثر لإفادة المباني زيادة في المعاني ، أم بحسب القصد واللاحظ والحال ، والمختار كل له أجر وثواب مضاعف ، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْنُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

الخامس : التوسعة في موضوع الإنفاق من طرفكم بما يشمل الحاجات الانية الطارئة مثل الغذاء والدواء ، للأولوية أحياناً ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

مَكْتَبَةُ الْجَمْعِ الَّذِي
الشيخ صالح الطائي

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق
- ٥- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي
- ٦- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٧- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام .
- ٨- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ٩- سعادة سفير العراق في الفاتيكان
- ١٠- سيادة رئيس محكمة استئناف بغداد / الكرخ
- ١١- سعادة أ.د. رئيس جامعة دمشق .
- ١٢- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ١٣- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية السعودية
- ١٤- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ١٥- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة واسط / العراق .
- ١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
- ١٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.
- ٢٠- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ٢١- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية الهاشمية.
- ٢٢- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية / بيروت.
- ٢٣- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / ٥
٢٨ / ٤ / ٢٠٠٨

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

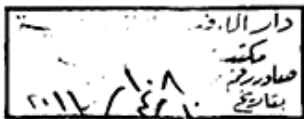
شيخ الأزهر
مختار
(الدكتور) محمد سيد طنطاوي

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRÉTARIAT GÉNÉRAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

احمد القحوي

مستشار الأمين العام





جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في
٢٠١٧/١٢/١٧.

تلقينا بببالغ الإعزاز إهداءكم نسخة من كتابكم
الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع
والخمسین بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام
الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢١

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٢٢٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٧

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



مستشارية الأمن القومي

بسم الله الرحمن الرحيم

كوت باري عيارا
دأب كاي بالاي نيندي جاري
العقد ١٨٠ ماسك / ١٦٥
الكاتب ١٨٢٥ ع. ١٦٥



جمهورية العراق
المحكمة الاتحادية العليا
مكتب رئيس المحكمة

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالغ الاعتزاز إهداءكم القيم (الجزء الرابع
والثلاثون بعد المائتين) من تفسيركم للقرآن،
وهو بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) .
ونقدم شكرنا وتقديرنا .

القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠٢٢/٥/١٤



بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق

مجلس القضاء الاعلى

رئاسة الادعاء العام

المكتب



العدد /

التاريخ / ٢٠١٩ / ١ / ٨

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي

م/شكر

تحية طيبة

كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

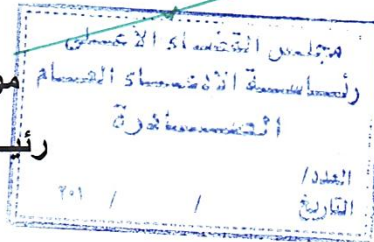
استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آمليين منكم المزيد من العطاء والتوفيق.
مع التقدير.

القاضي

موفق محمود محمد صالح

رئيس الادعاء العام

٢٠١٩/١/ ٨



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتِي تَتابعُ لِحَاكِمَةِ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اتِّحَادُ الْمَوْرِثِينَ الْعَرَبِ
الْاَمَانَةُ الْعَالَمِيَّةُ

العدد : ث / ٨٩
التاريخ : ٤ رمضان ١٤٤٣
الموافق : ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

إلى / سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء
تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعتراز اهداءكم لنا الجزء الواحد
والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير
منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات
متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم أقرأ أو
اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز
عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما حباكم به الله تعالى من
امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم
المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري
الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج
الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي
التميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

م/

المخلص

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المضهداني

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد / رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي

والفترات العلمي للدراسات العليا



سفارة جمهورية العراق
باليوزخانة كؤمـارى عـراق
EMBASSY OF THE REPUBLIC OF IRAQ



العدد: 195 / 2/7
التاريخ: 2022/4/5

الفاتيكان
HOLY SEE

الى /مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ صالح الطائي م/ تأكيد استلام كتب

نرفق اليكم المذكرة الشفوية الواردة الينا من سكرتارية دولة
حاضرة الفاتيكان بالعدد 555.389 المؤرخة في 2022/4/14
المتضمنة تأكيدها استلام هدية مكتب المرجع الطائي المكونة من
خمس أجزاء من تفسيره (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ورسالة
تعريفية بالعدد 22/2 المؤرخة في 2202/1/2 المرسله اليهم رفقة
المذكرة الشفوية لسفارتنا بالعدد 7/2/15 في 2202/1/7
يرجى التفضل بالإطلاع ... مع التقدير

السفير
رحمن فرحان العامري
2022/4/5



بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق

مجلس القضاء الأعلى

رئاسة محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية

مكتب رئيس الاستئناف



العدد : مكتب / متفرقة ٢١ / ٥٨

التاريخ : ٢٠٢١ / ١٢ / ٣٠

إلى / مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي المحترم

اشارة الى كتابكم ذو العدد ٢١/٢٢٥٠ في ٢١/١١/٢٠٢١ .
تلقينا بمزيد من الفخر والاعتزاز الجزء (السادس
والعشرون بعد المائتين) من موسوعة معالم الإيمان في
تفسير القرآن لا يسعنا إلا ان نقدم شكرنا واعتزازنا بكم
املين تقديم المزيد من العطاء الفكري والعلمي في
مسيرتكم .

مع فائق التقدير ...

خالد طه احمد

رئيس محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية

٢٠٢١ / ١٢ / ٣٠





الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

رئيس جامعة دمشق

٢٠٥٧ / ٢٢

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب احسن تفسير للمقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أتقدم اليكم بجزيل الشكر والتقدير لهديتكم القيمة الجزء
الحادي عشر بعد المائتين الخاص بقانون (آيات السلم محكمة
غير منسوخة).

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية والمزيد
من النجاح والتوفيق ، نبارك لكم جهودكم ونقدر لكم هذا
الإهداء...

رئيس جامعة دمشق

الأستاذ الدكتور محمد يسار عابدين

٢٥ نية ٢٠١١ ١٢ رمضان ١٤٣٢

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

No.:

العدد ١٧١

Date:

التاريخ ٢٠٢٠ / ١١ / ٥

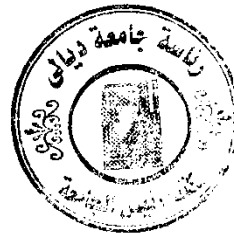
سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
استاذ الفقه والاصول والتفسير والاخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تلقينا بكل تقدير وامتنان إهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء السادس
بعد المائتين ، وتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، لأدعو الله العليّ القدير أن
يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح أنه سميع مجيب
ومن الله التوفيق

أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٠/١١/٤



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

الموقر
فضيلة الشيخ/ صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب - ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١ وتاريخ
٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان في
تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم
المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى مكتبة
الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلّت قدرته للجميع التوفيق
والسداد.
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

النمرة: ج ك/م ١٧/ح/٣ مكتب المدير
Vice Chancellor Office التاريخ: 2016/8/16م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزي.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعلنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة



الرقم : ١١٢٦ / ١ / ١٧٢
التاريخ : ١٠ / ٢ / ١٤٣٦ هـ
الملاحظات :
الموضوع :



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وزارة التعليم العالي
إمارة المنطقة الشرقية
مكتب المدير
(٠٣٢)

معالي الشيخ/ صالح الطائي سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د/ عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد : ٢٩٢ / ١
التاريخ : ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٨ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م



إلى / المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

قال تعالى ((نُفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) أنه لفرح كبير وفخر أكبر ان احظى بأجزاء من تفسيركم للقرآن الكريم ، وهو تفسير واسع اضيف الى المكتبة الإسلامية ، وسيكون له اثره الطيب في فهم نصوص القرآن الكريم ولكم به أجر وثواب الآخرة ، ولا يسعنا في هذا المقام الا ان تقدم لكم شكرنا وتقديرنا على هذا الإهداء الفريد ، متمنين لكم التوفيق والمزيد من العطاء المبارك.
مع فائق الإحترام...

الأستاذ الدكتور
مازن حسن جاسم الحسني
رئيس جامعة واسط

الأستاذ الدكتور
مازن حسن جاسم الحسني
رئيس جامعة واسط
٢٠٢٠/٨/ ٢٤

Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Basra University

Dept. of Media & Public
Relations



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
قسم الإعلام والعلاقات العامة

العدد: ٢٩/٣١/٢٠١٤
التاريخ: ١٤/٢/٢٠١٤

الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم

نهديكم أطيب التحيات ...

نتقدم بأجمل عبارات الشكر والتقدير على جهودكم المبذولة
في إهدائكم إيانا نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير
القرآن/ الجزء الواحد بعد المائة) متمنين لكم المزيد من
التقدم والنجاح.

تفضلوا بقبول وافر الاحترام ...


الأستاذ الدكتور
ثامر احمد حمدان
رئيس الجامعة



العدد: ١٠٩٤ / ٥٤ / ٧

التاريخ: ٢٠١٦ / ٦ / ٨

إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم بالصواب

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد،
سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

والله اعلم بالصواب
والله اعلم بالصواب

أ.د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٢٠١٦ / ٦ / ٨

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيَةِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ
جَامِعَةُ الْقَادِسِيَّةِ
مَكْتَبُ رَئِيسِ الْجَامِعَةِ

Ret :

Date:

العدد : ٢٤ / ٢٠١٥

التاريخ : ٢٠١٥ / ٩ / ٢٤

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير
وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم
متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.
... مع التقدير

٢
١

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ٥٦٩ ١١١٦٠٨١٤

التاريخ ١٤٤٢

الموافق ١٤٤٢

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)
تأريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في
الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم
هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن
يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم
والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامنة

بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

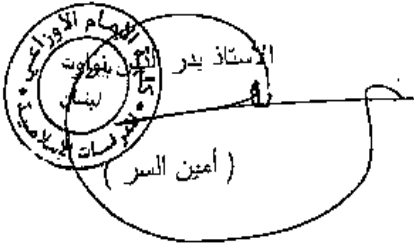
الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة رقم: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلم والإسلامية

قسنطينة

رقم 498... / ر.ج / 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د / عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

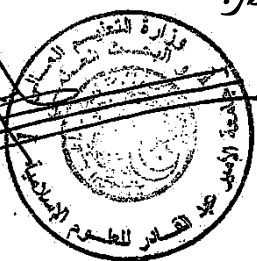
وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة

مدير الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٨٩	قانون خلافة الأرض منع من الإرهاب
٢٦	أسماء القرآن دعوة للتراحم	٩٤	بحث اخلاقي
٣٦	قانون اسم القرآن مانع من الإرهاب	٩٧	قانون ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ لا للإرهاب
٤٠	قانون المواطنة مانع من الإرهاب	١٠٢	السفارة إلى المدينة سلام وأمن
٤٢	قانون آية النفر دفع للإرهاب	١١٠	إكرام الله للإنسان تأديب له
٤٩	قانون ذهاب إرهاب قریش هباء	١١٦	قانون المعجزات العامة
٥٨	قصص الأنبياء موعظة	١٢٠	إرهاب قریش للنبي (ص) وأصحابه
٦٠	اسم (كلام الله) زاجر عن الإرهاب	١٢٨	هجرة الحبشة إعراض عن إرهاب قریش
٦٥	قانون مقابلة النبي (ص) الإرهاب بالصبر والعفو	١٣١	قانون إزاحة الأصنام بالبعثة
٦٩	قانون الإمتثال الفوري	١٣٧	حديث (أنتم الطلقاء)
٧٠	قانون دعوة النبوة سلام	١٤٢	تصديق حكماء العرب بنبوة محمد "ص"
٧٨	قانون القرآن دستور الحوار	١٤٥	حج آدم البيت نهى عن الإرهاب
٨٤	قانون احتجاجات القرآن فضح لقبح الإرهاب	١٤٨	حج آدم توطئة لبعثة النبي محمد (ص)
٨٦	الحوار لواء سلام وأمن	١٥١	هل أوصى آدم أولاده بالحج

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥٧	من منافع الإيمان بالمعاد	٢٠٠	بحث أصولي: أقسام الخبر من جهة الصدق والكذب
١٥٨	قانون الإيمان بالمعاد عصمة من الإرهاب	٢٠٥	مساجد المدينة دعوة لنبد الإرهاب
١٦٣	نظرية الصرفة	٢١١	التقى الجمعان
١٦٦	قانون تسمية الصلح فتحاً	٢١١	الآية الأولى ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾
١٧٦	دفاع النبي وأصحابه مقدمة لصلح الحديبية	٢١٤	الآية الثانية ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾
١٧٨	خصائص صلح الحديبية دفع للإرهاب	٢١٨	الآية الثالثة ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ﴾
١٨٠	معجزة تسمية الصلح فتحاً باعث للسكينة	٢٢٣	الآية الرابعة ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾
١٨٤	من معجزات النبي صلح الحديبية	٢٢٧	علم مصاديق وحدة المسلمين في كل آية من القرآن
١٨٦	قانون لا يقدر على تسمية الصلح فتحاً إلا الله	٢٣٣	قانون التآني الذاتي والغيري عن الإرهاب
١٩٠	قانون انحسار الإرهاب ببركة القرآن	٢٣٥	هل الجنة والنار مخلوقتان الآن
١٩٦	قانون إجتهد النبي (ص) بالدعوة من أيام البعثة الأولى	٢٤٠	آيات الناس زاجر عن الإرهاب

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٤٩	قانون الناس عيال الله	٢٧٣	قانون هدم الأصنام حرب على الإرهاب
٢٥٣	قانون السلام جامع بين آيات نداء الإيمان	٢٧٧	قانون قبح الإستدراج إلى الإرهاب
٢٥٣	الآية الأولى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾	٢٨٠	قانون التضاد بين القصاص والإرهاب
٢٥٥	الآية الثانية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	٢٧٩	قانون آيات (قل) دليل على التضاد بين القرآن والإرهاب
٢٥٨	الآية الثالثة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾	٢٩٠	قانون الملازمة بين الإرهاب والخوف
٢٥٩	الآية الرابعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	٢٩٢	مبارزة (بدر) قهر للإرهاب
٢٦١	الآية الخامسة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾	٢٩٧	مقارنة بين كسر إبراهيم الإصنام وإزاحة النبي محمد لها من الأرض
٢٦٤	الآية السادسة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾	٣٠٢	توصية المرجعية
٢٦٥	الآية السابعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٠٤	ردود كريمة
٢٦٩	قانون قتل الأولاد من الإرهاب	٣٢٨	الفهرس

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٣٣٥ لسنة ٢٠٢١

**طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دُرِّ الْفَيَّاضِ**